مشاهدات سائح

في الممالك الأوربية



عبد الوهاب ابو العيون

المدرس بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بالقاهرة

يطلب هذا الكتاب من

المكتبة الحديثة

بشارع خيرت بالقاهرة

« ملتزمة طبعه ونشره »

« الثمن ١٥ قرشا »

المطبعة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمـد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد، فقد دعاني حب الاستطلاع إلى زيارة أهم ممالك أوربا لمشاهدة ما فيها من المحاسن ، وبعد عودتي إلى الوطن العزيز، وصفت كل ماشاهدت من آداب وأخـلاق وعادات ومتاحف وآثار ومعارض ، وكل ما ينبغي لسائح أن يطلع عليه ، ونشرت تلك المشاهدات في صحيفة الأهرام الغراء تباعا فحازت لدى الجمهور رضاء وإقبالا ، وألح عليّ كثير من القراء راجين جمعها في كتاب ليعم نفعها وتكثر فائدتهـا ، فلم يسعني إلا إجابة ملتمسهم وتحقيق رجائهم . وقد بدأتها بارشادات هامة رأيت الحاجة اليها داعيـة لـكل من يريد الرحيل الى تلك الديار حتى تخف عنه مصاعب السفر

هذا ولا يفوتني أن أذكر بالثناء الجم والشكر العاطر مالقيته من حضرة صديقي وزميلي الأستاذ على أفندى فهمى الرشيدى من جميل المرافقة وعظيم المساعدة أثناء هذه الرحلة

والله اسأل أن يعم النفع بهذه المشاهدات، ويفيض عليها من القبول مايحقق غرضي منها ، وهو حسبنا ونعم الوكيل

عبد الوهاب ابو العيون

اهداء الكتاب

مولاى حضرة صاحب الجلالة مليك مصر المعظم فؤاد الأول زاده الله جلالا واقبالا !

فى زمنك الزاهر الذى أينعت فيه ثمار العلم وامتد ظله وتدانت قطوفه، فانجاب ظلام الجهل وانبلج ضياء العرفان ونهل من مورده كل صاد، وتطلعت أنظار المجدين إلى الوقوف على أحوال الأمم المتمدينة الراقية حتى تتشبع النفوس بما عندهم من محاسن وأخلاق وعادات ، كنت من بين الذين تطلعت أنظارهم إلى ورود ذلك المنهل العذب فأخذت عن القوم ، ماعرفته عنهم حسا ومعنى، ونقلت الى أبناء وطنى الأعزاء مايحملهم إلى بذل الغاية القصوى فى التجمل بتلك الأخلاق والعادات

هذا ، يامولاى ، ما أردت أن أقدمه بين يدى جلالتكم ، وأرفعه إلى سدتكم العلية ، فى وقت شيدتَ فيه صرح العلم ، وأعليتَ مناره ، وعقدت ألويته فوق رءوس ابنائك ، وذللتَ لهم ماوقف أمامهم حجر عثرة زمنا طويلا

فاليك ، ياصاحب الجلالة ، ويادوحة الأسرة المحمدية العلوية ، استشرف بذلك الكتاب الذى اتوّجه باسمك الكريم ، واحلى طروسه برسمك الشريف ، وأشرفه بالنسبة اليك

ولى الفخر الدائم والشرف الاثيل أن ينال من لدن جلالتكم رعاية ويحوز لديكم قبولا . أطال الله مدتك ، وأتم عليك نعمتك ، وأقر عينك بولى عهدك الفاروق ، واطلعه غرة فى جبين الدهر ، وجعله لسان صدق فى الآخرين ؟

عبدكم الخاضع

عبد الوهاب ابو العيون



حضرة صاحب الجلالة مولانا ملك مصر المعظم «فؤاد الاول»



عبد الوهاب ابو العيون

ارشادات هامة

الامور الهامة التي يعدها المسافر قبل سفره هي :

(١) الحصول على جواز السفر من قلم الاجوزة بمدينة القاهرة أو الاسكندرية أو بورسعيد أو السويس. وفي هذه المحال استمارات خاصة لذلك، يملأ المسافر خاناتها باسمه واسم والده وعمره ومحل سكنه وغرضه من السفر، ثم يمهرها من المأمور ان كان من الاهالي أو يحضر شهادة من المصلحة التابع لها ان كان موظفا. وتقدم هذه الاستمارة بعد تمام الاجراءات المتقدم ذكرها

(٢) يرسم صورته الشمسية صغيرة ويرفقها بالطلب وبعد اجراء التحريات اللازمة للتثبت من صحة ماجاء بالاستمارة المتقدم ذكرها يؤمر بترك طلبه مدة معينة ثم يرجع لاستلامه بعد مضيها فيسلم له الجواز بعد ان يدفع الرسم المعين

(٣) اذا اردت أن تزور ممالك عدة يلزم أن يكون على جوازك تواقيع من ممثلي (قناصل) الدول التي تريد زيارتها، وتدفع لذلك رسما يختلف باختلاف الممالك. واذا لم تفعل ذلك فلا يسمح لك بزيارة المملكة الا اذا استعنت بممثل (قنصل) مصري، كما حصل لي ذلك عندما أردت زيارة مملكة انكلترا: فانه لم يكن قد توقع على جوازي من ممثل انكلترا في مصر واذا امتنع ممثل انكلترا في باريس عن السماح لي بزيارتها فالتجأت الى ممثل مصر فيها فوقع عليه بما يفيد السماح لي، فلما قدمته الى ممثل انكلترا لم يتردد في قبوله. وكلما مررت بمملكة من الممالك طلبوا منك جوازك ليقفوا على صحة مافيه حتى يسمحوا لك بدخول مملكتهم

(٤) عند تمام جميع الاجراءات اقصد شركات طرق الملاحة بالقاهرة أو الاسكندرية أو بورسعيد أو السويس لتعلم منها مواعيد قيام البواخر فتختار

اليوم المناسب لسفرك وتحجز حجرة فى المكان الذى تختاره من الباخرة بعد عرض امكنتها عليك فى خارطة ، ويستحسن أن يكون ذلك قبل سفرك بخمسة عشر يوما

(٥) واذا أردت أن تقف على معلومات تهمك فعليك بمحل شركة كوك فهو الكفيل بأرشادك

(٦) لا يحسن بك أن تحمل معك نقودا لانها تعرض للخطر والحوادث ولذا يلزمك أن تأخذ تحويلا معك بالجنيهات الانكليزية على المصارف فى كل مدينة حللت بها حتى تصرف ما تريده بالقطع الحاضر مثمنا بالجنيه الانكليزى فهو عملة ثابتة القيمة متداولة فى كل مملكة

(٧) قبل اليوم الذى تقصد السفر فيه اذهب الى محل الشركة التى تريد السفر فى سفنها فيسلموك أوراقا مكتوبا عليها اسم أول مدينة تريد النزول بها من أى مملكة فتلصقها بكل حقيبة من حقائبك

(٨) اذا كنت موظفا فى مصلحة من مصالح الحكومة يلزمك أن تستخرج منها شهادتين بأنك من مستخدميها شهادة للذهاب وأخرى للاياب وبذلك يمكنك أن تنتفع من بعض شركات الملاحة بتنزيل ٢٠ ٪ أو أكثر من اجرة السفر ذهابا وإيابا فتخف عنك اجرة السفر الباهظة

(٩) اذا ركبت القطار من محطة مصر الى الاسكندرية يمر بك شخص من مستخدمى كوك ويعرض عليك أن يستلم أمتعتك عند نزولك من القطار الى الباخرة فاذا ما قبلت ذلك ـ ويستحسن منك أن تقبل ـ تدفع له عن كل حقيبة مبلغا يقدره لك ويعطيك ورقة به تبرزها عند وصولك المكس وهناك تجد حمالين قد كتب على صدورهم اسم كوك فتنادى أى واحد

منهم فيقبل عليك فاذا أظهرت له تلك الورقة أخذ جميع أمتعتك وعمل كل مايلزم فى المكس وحمل الامتعة الى سلم الباخرة، فتعطى له رضيخة (بقشيش) ثم يتسلم منه خادم الباخرة ويعرف منك رقم حجرتك فيحمل أمتعتك اليها.
وبعد أن تدخل الباخرة تذهب الى رجل فيها قد اجتمع عليه الناس لتقديم اجوزتهم اليه فتقدم اليه الجواز وبعد يوم أو أقل يرده اليك موقعا عليه منه

(١٠) تجد عند دخولك الى الباخرة قوما يبيعون نقودا أجنبية فتشترى بالعملة المصرية نقود المملكة التى ستذهب اليها، كما اشترينا نقودا ايطالية لان المعاملة بالباخرة والمدن التى تمر بها لا تكون إلا بها حيث الذهاب إلى ايطاليا

(١١) عليك تأجير كرسى طويل بمجرد نزولك الى الباخرة يكتب عليه اسمك فيكون الموئل لك طول اليوم وجل الليل، تجلس عليه عند قراءتك وراحتك وهذا هو أهم ما يعمله المسافر قبل مبارحة الميناء حتى تكون قد هيأت ما ينبغى لراحتك

(١٢) اياك ان كنت تريد زيارة عدة ممالك أن تبقى معك شيئا من نقود المملكة التى تريد الخروج منها الى غيرها فانها لا تقبل فى المملكة الاخرى الا اذا بعتها بثمن بخس لاسيما ان كانت من المعدن

(١٣) يلزم المسافر أن يصحب معه ملابس سميكة ومعطف (بالطو) لأن الجو فى بعض الممالك بارد كأيام الشتاء عندنا خصوصا فى مملكة انجلترا ولذا لا تجد شخصا فيها يلبس ملابس بيضاء صيفا كما أنه يأخذ معه معطفا يقيه شر المطر

(١٤) اذا نزلت من القطار وسلمت للحمال أمتعتك فاتبعه لان رقمه لا يكفى دليلا عليه اذا فر منك لان الرقم ربما كان مزيفا فتضيع حقائبك وما فيها وترضى من الغنيمة بالاياب إن كنت سعيدا والا فالشقاء

فى الباخرة

قصدت قضاء العطلة الصيفية فى مرابع أوربا لمشاهدة متاحفها وآثارها وزيارة معاهدها العلمية بقدر ما تسمح الظروف والاحوال

وقد اعتزمت أن أدون مذكرات مختصرة عن أهم ما أراه فى تلك الممالك أثناء سياحتى حتى لا احرم ابناء وطنى من الاطلاع على ما يهمهم الاطلاع عليه ، مقتصرا على مشاهداتى غير متعرض لذكر تاريخها

أقلعت بنا الباخرة من الاسكندرية الساعة الثالثة مساء فوصلنا الى «سرقسطة» بجزيرة صقلية فى اليوم الثالث لاقلاعها . فألقت مراسيها على بعد مائة متر تقريبا من الشاطىء لضخامتها ، ثم جعلت الزوارق تحف بنا لنقل من يرغب فى النزول الى المدينة ، وكنت ممن يرغب فى زيارة آثارها فدفعت أربعين «ليرة» إيطالية أجرة الركوب والمترجم ذهابا وجيئة . فعبرنا بقية الميناء الى الشاطىء فى أحد الزوارق . وحين نزولنا تسلم منا رجل ايصالا بما دفعنا من الاجرة وركبنا عجلة أقلتنا الى أهم أثر فى المدينة ، وهو جبل ضخم صخري حفر داخله الى مسافة بعيدة تربو على مائة متر بعلو يختلف ما بين عشرين الى ثلاثين مترا تقريبا وهو أملس من الداخل ، وكلما أوغلت فيه أظلم حتى لا تكاد تبصر شيئا . وقد حفره الرومان القدماء قبل المسيح ليكون سجنا لأشد الناس إجراما . وقد سألت عن كوة فى أعلاه ينفذ منها خيط ضئيل من النور الى داخله ، فقيل لى إن الحارس كان يتسمع منها حديث المسجونين فيعرف نوع الحديث والمتحدثين ، فيوقع الجزاء الصارم على كل من يتحدث حديثا

محظورا لايتفق مع رغبة الحاكم، ولذا كان يخشى المسجون أن يتحدث الى صاحبه أى حديث

ومن مدهشات هذا الاثر انك اذا دخلته ومزقت أى ورقة تردد صوتها بدوى مزعج . وقد سمعت من بعض المتحدثين أن الانسان اذا واجه الحائط وتكلم همسا يسمع صوته عاليا على بعد مائة متر . وحدث أنه حين خروجنا سمعنا دويا هائلا وفرقعة مزعجة ، اضطرب لهما كل السائحين ، فنظرنا فاذا الحارس يغلق الباب ليعرف السائحين أعجوبة من أعاجيب هذا الأثر .

وهـذا الحفر غاية في الفخامة والعظمة يهولك منظره من الداخل والخارج ، وتراه مكسوا بالحشائش الخضراء التى أكسبته رونقا وجمالا . وتعلوه دار قديمة جدا للتمثيل القديم مقاعدها المدرجة منحوتة فى الجبل صفوفا بعضها فوق بعض على شكل دائرة ينتهى من أسفله بمقاعد وحجر صغيرة أعدت للقائمين بالتمثيل . وهو غاية فى الابداع والاتقان ، يدخل فى قلب الناظر روعـة وجلالا . ثم سرنا بعد ذلك الى مشاهدة الانفتياترو «المدرج» وهو أيضا منحوت فى الصخر على هيئة المدرج الاول غير أنه يختلف عنه فى أن مقاعده تحيط بردهة واسعة

وقد أخذنى العجب لقيام الانسان في الزمن القديم بهذه الأعمال الجسيمة مع عدم توافر الآلات التى تساعده على القيام بذلك

واذا ضاهيت أعمال المصريين القدماء والرومانيين القدماء أيضا وجدت مدنية الامتين على جانب عظيم من العظمة والفخامة الدالتين على العلم الواسع والمقدرة الفائقة . ويظن أنه كان لهم آلات عجيبة سهلت لهم القيام بهذه الاعمال التى يقف الانسان أمامها حائرا مذهولا . وهذه الآلات التى حفرت

الجبال وجوفتها، وحددت المسلات المائلة من الصخور وأقامتها، ونقشت على سطوحها الكتابة والرسوم وزينتها، لم تصل الينا أخبارها، إما لان المؤرخين لم يقيدوها أو أنهم قيدوها ولكن أبادتها الحوادث وأهملتها الايام وجر عليها الدهر ذيول النسيان وبقيت بعض أعمالهم وآلاتهم العظيمة مجهولة. وربما كشفتها الايام القادمة كما كشفت كثيرا من أعمال المصريين القدماء وابرزها الاستكشاف شيئاً فشيئاً

رجعنا الى الباخرة بعد زيارة مدينة « سرقسطة » فاقلعت بنا قاصدة مدينة « نابلي » وسارت تشق عباب البحر، غير مكترثة بامواجه الهائلة الى أن وافت الساعة السادسة والنصف مساء فظهر لنا من بعد بركان « اتنة » ولكونى لم اشاهد بركانا قبل الآن، والمصورات الجغرافية لا تبرز صورة صحيحة ذهلت لرؤية ذلك البركان، وامسيت واقفا أمامه صامتا كالعابد لا أحول عنه نظري لحظة، اتأمل فيه وفي قدرة الخالق القدير الذى يخرج من جوف البحار نارا ولهبا

وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وكلما قربت منه ازداد ضخامة وارتفاعا، وتبينت دخانه المتصاعد الذى لا ينقطع أبدا وما زلت اشاهد عظمته وضخامته حتى أسدل الظلام بيننا وبينه حجابا كثيفا، ومرت السفينة بسرعة الظليم حتى أشرفت على مدينتى ريجيو ومسينا اذ كانت الساعة الثامنة مساء. ولقد بهرنى منظرهما بهراً، ذلك لانوارهما الساطعة التى تشق الظلام، الى شوارعهما التى كانها اسلاك من نور ممتدة إلى مسافات طويلة، مرصعة بأجزاء سوداء هي المنازل مجللة بالأضواء، فكان شكلها رائعا. والمدينتان مشيدتان على

سفحى جبلين يكتنفان المضيق — رجيو من اليمين ، ومسينى من اليسار — تتدرج منازلهما من أسفل الجبل الى أعلاه كما اكسبهما روعة وجمالا ، وزادهما بهاء نظام شوارعهما المستطيلة المتوازية الصاعدة من أسفل الجبل الى أعلاه. وعلى الجملة فان الكاتب القدير يعجز عن وصف تينك المدينتين ونظامهما وجمال وضعهما واتساع شوارعهما . وقد تساءلت كيف أمن الناس غائلة هذا البركان فأعادوا تشييد هاتين المدينتين بنظام حديث وترتيب بديع ، وكيف امنوا ثورانه مرة أخرى فيكون نصيبهم منه اخيرا نصيبهم منه أولا . مرت بنا السفينة سراعا وقد أخذ العجب مأخذه من قلوبنا . لعظمة البركان ، وجمال مدينتيه ، ونمنا هذه الليلة ملء الجفون وفى الساعة الخامسة صباحا تيقظت على صياح الرفاق وضجيجهم فرحا وسرورا ، لظهور الباخرة بين رأس « اسبرنتو » وجزيرة « كايرى » الجميلة ، والتى يعدها السياح جنة الدنيا لما تحويه من الفنادق البديعة التى يقصدها المصطافون والحدائق الغناء التى تحيط بمنازلها الحسناء الشاهقة . ومع أن سكانها قليلون فقد هيئوا فيها أسباب الراحة والهناء لكل مصطاف يقصدها . وبها مغارة تسمى المغارة الزرقاء لزرقة مياهها ، ولان المنغمس فيها يراه الناظر أزرق كالفيروز ، ويسير الناس فيها بالزوارق ، ويبلغ طول تلك المغارة نحو ١٧٥ قدما ، وعرضها يبلغ نحو عشرة أقدام ، وارتفاع سقفها فوق رؤوس السائرين لا يزيد عن أربعة أقدام

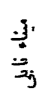
وتظهر جزيرة « كايرى » من بعد كأنها قاحلة ، ولكنك اذا دخلتها ألفيتها جنة عالية قطوفها دانية ، آهلة بالسكان ، عامرة بالمصطافين والمتفرجين

ثم ظهر لنا بركان « فيزوف » العظيم حين دخول السفينة خليج « نابلى » وسنذكره بعد عند زيارتنا مدينة « بومبي » . وفى الساعة السابعة صباحا

ألقت الباخرة مراسيها فاسرع مندوبو الفنادق الى الركاب صائحين كل باسم فندقه فاخترنا النزول فى فندق (ريفييرا) ولذا سرنا مع مندوبها الى مكتب التفتيش حيث فتشت حقائبنا ، ثم ركبنا سيارة الى الفندق الذى قصدنا اليه فوجدناه فندقا جميلا يشرف على متنزه واسع مستطيل جدا وممتد الى شاطىء البحر تزينه الاشجار الباسقة والأزهار النضرة ، وقد أقيمت على أبوابه الكثيرة عدة تماثيل مختلفة الاشكال ، غاية فى الأبداع والاتقان ، وبه طرق معبدة وملاه متعددة يقصدها الناس زرافات ووحدانا ، ولا يخلو المتنزه من الزائرين أكثر الليل .

مدينة نابلى

مدينة « نابلى » من أعظم مدن إيطاليا المعروفة بجمالها وبهائها وفخامة مبانيها وجودة هوائها وعذوبة مائها وكثرة غرائبها تحف بمينائها العجيبة عدة عمائر ومبان غاية فى الاتقان والهندام وتتصل هذه المبانى العظيمة بالمبانى المشيدة على سفوح الجبال والتلال حتى تصل الى قمتها وهى غاصة بالحدائق البديعة والخمائل العجيبة فترى المنازل بحدائقها من بعد قد رصت بعضها فوق بعض بحالة تقيد الانظار وتحير الأفكار . وأغلب شوارعها يبتدىء من اسفل التلال والجبال صاعدة الى أعلاها فيعسر عليك الصعود الى مبانيها المشيدة فوق روابيها فتستعين « بالترام » الذى يصعد مستعينا بالاتراس والسلاسل التى تمنع انحداره ، وهنالك تتجلى لك مناظر ضواحيها ومزارعها ومبانيها فتقف مشرفا عليها باهتاً لحسن منظرها وجمال موقعها وعلى الجملة فان « نابلى » تعد من المدن الكثيرة المشاهد والمتاحف والغرائب



ميناء نابلي

٢ ـ مشاهدات

فلا يمل السائح الاقامة فيها ويمكنه أن يقضى وقتا طيبا وعيشا هنيئا

وشوارع المدينة إذا قيست بشوارع بعض مدن أوربا تجدها متوسطة لكثرة الحركة والزحام والبيع والشراء ، وحوانيتها غاصة بالسلع الرخيصة فى جميع شوارعها ، وأهم تلك الشوارع شارع «روما» وهو يخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب ، ويمتد حتى تصل نهايته إلي البحر ونهايتـه الأخرى تصل إلى الجهات العالية من التلال والجبال ، والحركة فيه كثيرة مستمرة طول اليوم

وفى المدينة ميادين كثيرة أشهرها ميدان كافور بالقرب من المتحف العظيم الذى هو من أحسن متاحف ايطاليا

* * *

أهم مشاهر نابلى ومناظرها

شوارع نابلى كثيرة الزحام والحركة والبيع والشراء والاخذ والعطاء ، تموج بالذاهبين والآيبين ، ولو رأيتها يوم الأحد وهى تكتظ بالناس لظننت أهلها يحتفلون بمقدم فاتح عظيم فهى أكثر بلاد إيطاليا حركة وازدحاما

وقد أخبرنى من له معرفة باحصاء سكانها أن كل شخص منهم يصيبه متر ونصف متر من أرضها ، ولذا ترى مركباتها الكهربائية مزدحمة بالراكبين الجالسين والواقفين ، وما ركبت من محطة إلا رأيتها مزدحمة ازدحاما يضطرنى إلى الوقوف فى أى وقت من النهار أو الليل . وأجور تلك المركبات ترتفع ليلا وكل راكب تقدم أجرته بدون طلب من العامل غير محاول الخلاص

من دفع الاجرة أو متهرب منها كما شاهدت عكس ذلك فى مصر كثيراً،
وهـذا خلق فينا تجب محاربته فيعرف كل واجبه وتسير الاعمال على
محور النظام.

وقد ذكرنى ذكر معرفة الواجب ماسمعته وأنا فى مملكة سويسرة.
أن أهلها يحتفلون بمحكمة من محاكمها مضى عليها خمس وعشرون سنة لم يحكم
فيها فى جناية. وسنذكر أمانة أهل سويسرة ومعرفتهم الواجب عند
الكلام عليها.

وتكثر فى مدينة نابلى العجلات المظللة بالمظلات الجميلة لدرء حرارة
الشمس والأمطار لان جوها يشبه تمام المشابهة جو مصر

ولذا نجد المرطبات منتشرة فى جميع نواحيها،ولقد طلبت مرة كوبا من
شراب الليمون من أحد الباعة فملأ كوبا ماء باردا من صنبور دائم الجريان
وعصر فيها ليمونة وقدمها إلىّ فلم أقدر على تعاطيه لخلوه من السكر فدفعت
له ثمنها وانصرفت

وماء نابلى بارد جدا لأنه يأتى من مجار تسيل من الجبال فتجرى فى
الأنابيب المعدة لذلك الى المنازل فهى أعذب بلاد ايطاليا ماء.

لم أر فى أخلاق أهل نابلى سوءا كما قرأت وسمعت عنهم كثيرا من
الغلظة والفظاظة والشدة فى المعاملة، والتضييق على السائحين، والاستبداد
فى أجر الركوب والنقل. وقد سألت عن سبب تغير الحال فقيل لى أن حكم
موسولينى ضيق على المجرمين والنشالين وأوقع بهم العقاب الصارم وزج أغلبهم
فى السجون ولم تأخذه فيهم رحمة ولا شفقة، قد وقف لهم الشرطة بالمرصاد
يسوقونهم إلى المحاكم ويعاقبونهم على أخف هفوة تصدر منهم فتغير الحال

وتحنن ، وأمن الناس على جيوبهم وحقائبهم . ومع انتشار الشرطى الفاشيستى فى كل دور الحكومة والمحطات لا تخلو مكاتب التفتيش (الجمارك) وغيرها من الرشوة واغتنام الفرص لأخذها ، فهم أكثر أهل أوربا استعدادا لها فلم يقلع الحكم الفاشيستى من نفوسهم جذور الفوضى والأخلال في الأعمال والاضطراب فيها . وأنك لتتصور تلك الفوضى فى أعمال البرق «التلغراف» من المقال الآتى :

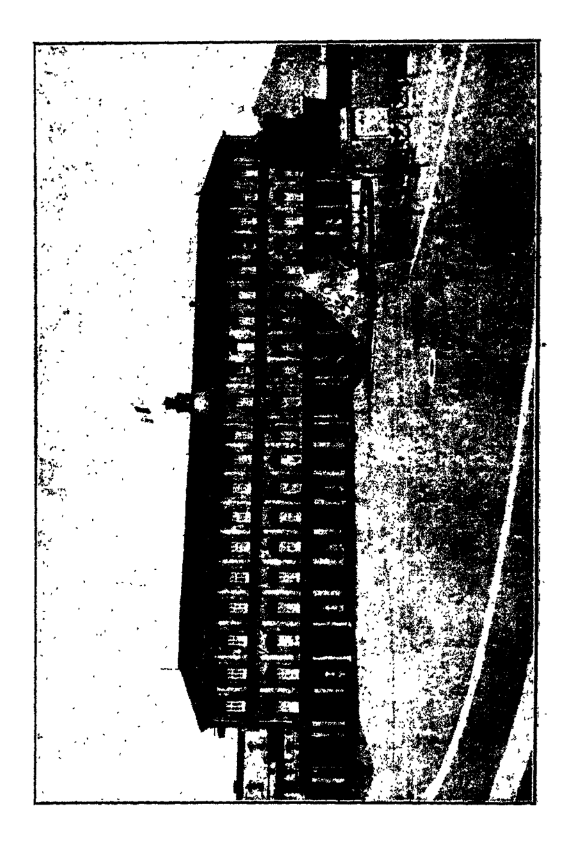
لما أبحر صاحب المعالى ذو الفقار باشا سفير مصر إلى روما أرسل برقية من الاسكندرية إلى قنصل نابلى لينتظره على ميناها ، فلم تصل البرقية إلا بعد نزول معاليه فى نابلي ، واستلمها هو بنفسه

ولذا لم يجد أحدا فى انتظاره . وهذا ما قصه عليّ حضرة محمود بك عبده قنصل مصر فى نابلى كما أن البريد يصل متأخرا عن ميعاده . وأمثال ذلك كثيرة

قصر الملك

هو من أجمل قصور إيطاليا الملكية بعد قصر روما ، مزين من الخارج بتماثيل ثمانيـة من أشهر ملوك ايطاليا داخلة فى الحيطان ، مصنوعة من المرمر ، بملابسهم الرسمية التى كانت تستعمل فى أزمنتهم المختلفة بحالة تدل على براعة المصورين الايطاليين ، وتشعر هيئة كل منها بما كان يتصف به الملك من حسن خلق وبشاشة وتواضع ، أو حرب وشجاعة ، أو كبر وصلف ، أو حب للرعية أو بغض لها ، إلى غير ذلك من المعانى والاشارات الرمزية .

وقد رأيت داخل القصر ما أدهشني : رأيت صور وتماثيل ملوك



القصر الملكى بنابلى

الثمانمائة سنة الذين حكموا هـذا البلد ، وصورا تاريخية رمزية تدل على حروبهم ومعاركهم وانتصاراتهم ووقائعهم وكثيرا مما كان يتصف به هؤلاء الملوك من العظمة والأبهة . وقد أرانا الدليل ردهة الرقص البديعة التى كانت تقام فيها المراقص للملك داخل قصره مموهة بالذهب ومحلى سقفها بصور الراقصات فى أبهى حالة . يبلغ طول تلك الردهة خمسة وعشرين مترا تقريبا فى مثلها عرضا . ورأيت حجرة الملك التى كان يقابل فيها الوزراء غاية فى الابداع والاتقان والزخرفة والرسوم وأشكال الزينة وفى صدرها عرش الملك مفخم مكسو جميعه بالمخمل الأحمر . كما أن حجرة انتظار الوزراء لاتقل قيمة وفخامة وعظمة عن حجرة الملك مما يدل على قوة الملك وشوكته . وقد مررت بنحو ثلاثين حجرة كلها آية فى الابداع والزخرفة مرصوفة أرضها إما بالخشب البديع أو الرخام الابيض ، محلاة بالصور التاريخية وكثير من هدايا الملوك والتحف . والنفائس وكل ردهاته الواسعة مفروشة بالمرمر والرخام الجميل. وعلى الجملة فانه من أبدع القصور التى رأيتها، ومهما بالغ الانسان فى الوصف فانه لا يقرب القارىء من الحقيقة إلا شيئا يسيرا وليس الخبر كالعيان. وقد تجلى لى من زيارة القصور الكبيرة جبروت الملوك واستبدادهم باموال الامة وصرفها على ملاذهم وشهواتهم واشباع نفوسهم مما تميل اليه ، وهذا مادفع الشعب إلى الانتقام منهم والانقلاب عليهم والغدر بهم ، وإلى فكرة الاشتراكية والشيوعية التى انتشرت وراجت فى أغلب الممالك

وأمام هذا القصر ميدان واسع . وقد شيد فى الجهة المقابلة له كنيسة كبيرة أمامها تمثالان عظيمان جوادين على قاعدتين عاليتين من الحجر يبعد

كل منهما عن الآخر بمسافة تقدر بنحو عشرين مترا . وتمثل فى ناحية من هذا الميدان الروايات الهزلية ليلا فى قهوة من قهواته طلقة الهواء يتجمع داخلها وحولها كثير من الناس لرؤية الممثلين الهزليين الذين يجيدون تمثيل الهزل بأحسن أنواعه مما يضحك المشاهدين ضحكا عاليا

وبجوار هذا القصر مسرح « سان كارلو » وهو من أعظم مسارح إيطاليا لكنه يعطل صيفا فلم تتمكن من رؤية داخله . ومما يلفت النظر متحف نابلى العظيم الذى يقصده كثير من الناس لمشاهدة مابه من التماثيل والنقوش البديعة والحجر الكثيرة التى ملئت بالنقوش على الأحجار والتماثيل الرخامية والصور الزيتية التى لاتعد ولا تحصى مما يعجز الكاتب القدير عن وصفها . وهو من أحسن متاحف إيطاليا ، نقلت اليه آثار مدينة بومبى فشغلت منه جزءا كبيرا

ومما زرته فى هذه المدينة حديقة الأسماك وفيها أمواه داخل ألواح زجاجية جمعت فيها أغرب أنواع الأسماك . فمنها مايقرب شكله من الطير، ومنها مايماثل الأحجار أو الأزهار . بعضها ينقبض وبعضها ينبسط وكلها فى حياض من البلور يتجدد ماؤها من وقت لآخر . وقد رأيت فيه السمك الكهربائى الذى إذا مسه المرء شعر بقوة كهربائية ينتفض لها جسمه . وعلمت أن بعض الحكومات الأجنبية تدفع لحكومة إيطاليا إعانة تنشيطا لجمع مايمكن جمعه من الجزر والخلجان .

ومما هو غريب المنظر فى هذه الاسماك نوع ينضم بعضه إلى بعض ويسبح فى الماء حتى يدخل فى أنبوبة زجاجية من أسفلها . ومتى ظهر على سطحها انبسط على هيئة وردة حمراء ثم ينقبض ويسبح فى الماء ويدخل فى

الأنبوبة ومتى وصل إلى سطحها انبسط وردة صفراء وهكذا تجرى هذه العملية مرارا وتكرارا مما يبهر الانسان فيقف أمامه باهتا حائرا. ولا يتسنى له الحكم عليه أهو حيوان أم نبات وهذا المعرض من الأسماك يقل نظيره فى ممالك العالم.

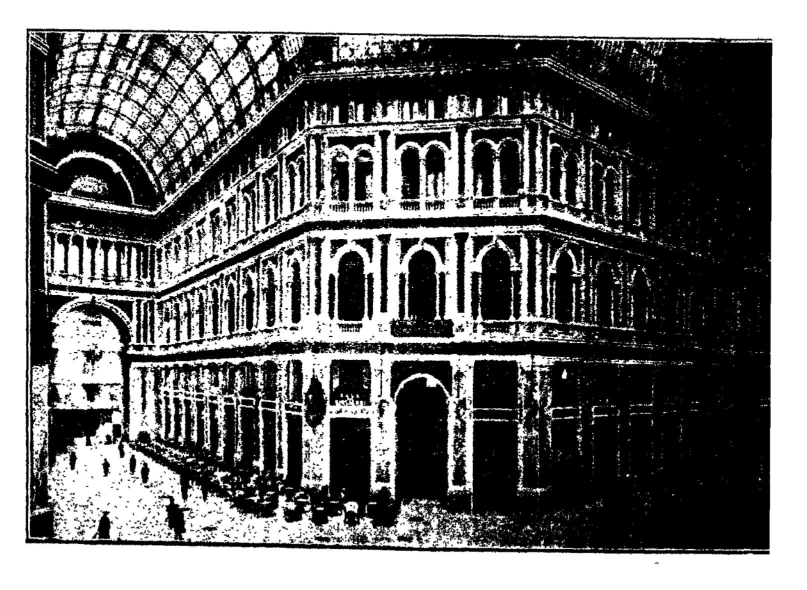
ومن العمارات التى انفردت بها إيطاليا فى أكثر مدنها مايسمى عند أهلها « بالجلاريا » وهى تظهر للناظر كأنها معبد دينى عظيم لضخامة التماثيل المقامة فى أعالى أبوابها الأربعة. وهذه الأبواب كشوارع تتقاطع على شكل صليب مسقوفة بالزجاج. وعلى نقطة ملتقاها قبة عالية من الزجاج. وترى داخل الجلاريا القهوات والحوانيت الخاصة بالسلع الغالية الثمن والمجوهرات الغريبة ومحال التمثيل والخيالة (السينما). وأرضها مرصوفة بالرخام الأبيض، يزدحم ازدحاما شديدا وقت العصر بالمتفرجين والجالسين على قهواتها. وقد جلست على بعضها وطلبت قهوة فلم يلذ لى طعمها لشدة مرارتها مع كثرة سكرها لانهم يغلونها كما يغلى الشاى. ولذا تجدها عديمة الفقاعات على وجهها ولم أشرب قهوة لذيذة فى أوروبا إلا فى السفارات المصرية لأنها على الطريقة المصرية المعروفة

بركان فيزوف

إذا نظرت إلى بركان فيزوف من أعلى مدينة نابلى أو من ميناها تجلى لك منظر يدخل فى قلبك الروعة والرهبة. تنظر جبلا شاهقا يخرج من فوهة فى قمته دخان متصاعد مصحوب باللهب لا ينقطع ليل نهار وإذا قربت من فوهته سمعت دويا عظيما يرعبك ويزعجك حتى تهم بالفرار. وعقب



داخل مسرح سان كارلو بنابلي



جلاريا « امبرتو الاول » بنابلي

هذا الدوى وتلك الفرقعة يخرج الدخان الكثير مصحوبا باللهب . وكل خمس دقائق تقريبا تحصل هذه الفرقعة والدوى فهو دائم الجيشان

وقد قامت شركة (كوك) المشهورة فى العالم كله بتنظيم رحلات بقيمة ١٢٠ ليرة سهلت الصعود إلى قمته بسكة حديدية يسير عليها قطار يجر عجلات ويساعده آخر من الخلف يسير بتراس ومشابك تمنع انحداره . ويدخل الرعب فى قلوب الركاب عند قطع آخر محطة لأنه يصعد فى علو قليل الميل وأغلب السائحين يزورونه ليلا أيام الصيف خصوصا الأمريكان لاستنشاق الهواء الجميل النقى ولمشاهدة طرقه المنارة بالمصابيح الكهربائية التى تظهر للرائى منظرا بديعا يأخذ بالالباب. ولو رأيتها بالليل لرأيت أسلاكا ضخمة من النور ممتدة على مسافات بعيدة صاعدة من أسفل الجبل إلى أعلاه

وقد تجلى لنا البركان بظهور تام عند خروجنا من ميناء نابلى ليلا حين العودة .

وإنه ليأخذك العجب عند ماترى المنازل المتعددة فى أسفله وفى نواحيه منتشرة هنا وهناك وقد أمن الناس غضبه وصولته واضطرابه وهيجانه

ومنظر نابلى بالليل جميل جدا لكثرة الأنوار الكهربائية بشوارعها ومنازلها الصاعدة من أسفل جبالها وتلالها الى أعلاها

وفى نابلى ترى أنواع الخضر والفاكهة كثيرة جدا ورخيصة الثمن وهى كبيرة الحجم لذيذة الطعم



ميدان دانتي بنابلي.

مدينة بومبى

ذهبنا إلى المحطة التي يسافر الناس منها إلى مدينة بومبى وأخذنا جوازا « بثلاث عشرة ليرة » ثم ركبنا القطار فسار بنا يخترق الطريق بين حدائق غناء ومزارع نضرة ، طورا يعلو التلال وطورا ينخفض، وأخرى يدخل فى نفق . وقد سار القطار ساعة فى كروم العنب العظيمة الواسعة التى لم تر عينى أوسع منها ، وليست كروم العنب محمولة على حوامل كما فى مصر ، بل معلقة فى عمد قصيرة من الخشب ، وممتدة إلى ماجاورها من الأشجار الصغيرة علقت بها بخيوط غليظة من لفائف النبات والأغصان على مسافات شاسعة لا يدرك الناظر غايتها ، عناقيدها مدلاة تكاد تلمس فم السائر تحتها . وما زال القطار يجد فى السير ونحن وقوف فى النوافذ نمتع النظر بهذه المشاهد الجميلة ، حتى وصلنا إلى محطة مدينة بومبى بعد سير ساعة وربع ساعة لم يقف القطار في أثنائها إلا مرة واحدة ، وهنا ذهبنا إلى حجرة أخذنا منها ورقة التصريح بالزيارة بعد دفع ثلاث « ليرات » وقد صحبنا مترجم دفعنا له ٢٥ «ليرة» ليرشدنا إلى أهم اماكن الزيارة

فذلكة تاريخية عن مدينة بومبى

قد كان من أمر هذه المدينة أنه فى سنة ٩٢ ميلادية ثار بركان ويزوف المجاور لها وقذف من الحجارة والطين والحمم والمواد الأخرى الملتهبة المحرقة فوق هذه المدينة طبقة ردمتها وغطتها بسمك يقدر بنحو ٢٠ قدما ، فهلك فى هذا الحادث من الاهالى آلاف ، وفر من بقي من سكانها فى جهات

الارض حاملين ماخف حمله وغلت قيمته،وقد دفنت المدينة وطمست آثارها ومحيت أخبارها من الأذهان بتقادم الزمان ، وبقيت سرا مكتوما فى ضمير الدهر لا يعلم الناس عنها شيئا ، حتى حدث فى القرن الخامس عشر أن بعض المهندسين كان يقوم بعمل من الأعمال فى تلك الجهة فعثر على أساس بناء مدفون فلم يهتم للبحث عنه ولم يعره التفاتاً ، وبعد سنة ١٧٤٨ عثر أحد الفلاحين على بعض أوان منزلية من النحاس وغيره فتنبهت لذلك الأفكار واتجهت الأنظار إلى ما وراء ذلك وأخذ الناس يتحدثون بهذا الأثر حتى بلغ ذلك آذان الملك شارل الثالث فأمر بالبحث عن تلك الآثار،وقد استمر العمل أعواما عديدة ، وكلما وجدوا أثراً نقلوه الى متحف نابلى حتى استكشفوها، ولا يزال البحث عنها يكشف منها بقية مبانيها . ويظهر أن فيها بعض آثار لم يصل البحث الى كشف اللثام عنها

شوارع المدينة

أهمها شارعان كبيران ، أحدهما يخترق المدينة من الشرق إلى الغرب والثانى من الشمال إلى الجنوب ، ويبلغ اتساعه نحو عشرة أمتار ، وله إفريزان ضيقان ، وأرضه مرصوفة بالحجارة بعضها مستوية منحوتة ، وبعضها وعر تتخللها حفر كثيرة . وقد سألت المترجم عن ذلك فاخبرنى أن الحاكم كان يكلف كل شخص برصف ما أمام داره ، فالغنى يعنى برصفه رصفا جيدا ، والفقير يهمله .

ويقطع شارعى المدينة شوارع مستقيمة متقاطعة كما هو الحال فى المدن الحديثة ، وعند تقابل الشوارع تجد أحجارا مرتفعة من سطح الشارع ليتمكن

المارون من العبور عليها عند حدوث الأخطار بحالة تسمح بمرور العجلات. وتلك الشوارع أضيق من الشارع العام ، وتشبه الدروب عندنا ، ويتفرع من هذه الشوارع الضيقة منعطفات تبتدىء من الشوارع وتنتهى ببيت فى آخرها.

وقد أرشدنا المترجم إلى منعطف فيه ماخور يدخله الانسان من باب صغير فيجد طرقة ضيقة مستطيلة قد شيد على جانبيها ست حجر : كل حجرة داخلها بناء يشبه مقاعد الفلاحين فى القرى على ارتفاع نصف متر ، وفى منتهى كل ارتفاع ما يشبه الوسادة ، وفى نهاية الطرقة محل مرتفع يقف خلفه من يتقاضى الأجر من الداخلين إلى هذا الماخور ، وهو مقفل ممنوع دخوله إلا للسائحين ، وكل شوارع المدينة على هذا النظام والترتيب . وقد أعجبنا حمام كبير جدا معتنى به كل الاعتناء ، أحواضه مبنية بالرخام الأبيض الجميل على شكل دائرة ، وهنالك محل أول وثان ، وأحواض للماء الساخن والفاتر والبارد ومحال أعدت للتدليك ، ومقاعد ممتدة بطول الحمام للجلوس عليها ، وأمكنة لخلع الملابس مشيدة بالرخام أو الآجر ، وكل حجرة قبو ، وبالحمام أحواض طويلة سوى التى ذكرناها كالتى تستعمل حديثا فى المنازل ، وجدرانه وسقفه مزينة بالصور والتماثيل البديعة

الحوانيت

تفتح فى الشوارع الكبيرة والصغيرة منها حوانيت كثيرة كان يباع فيها أنواع ما يحتاج اليه أهل المدينة من مأكول ومشروب وملبوس ، وجلها بنظام واحد ، ولا توجد حوانيت كبيرة انما الذى يلفت النظر منها حوانيت

السوائل كالخمور والزيوت وغيرها ، فانها توضع فى خوابٍ من الرخام أو الخزف كالتى تستعمل عند الزياتين عندنا أفواهها فى عارضة كبيرة من الرخام بعرض الدكان ، والمشترى يقف أمامها يأخذ ما يريد

ولم نجد فى هذه المدينة محلا يستعمل كقهوة بل كل شخص يأخذ ما يريده وهو واقف كما فى انجلترا وأمريكا بلاد العمل الآن ، وعلى باب غالب الحوانيت تستعمل إشارة تدل على ما يباع فيه

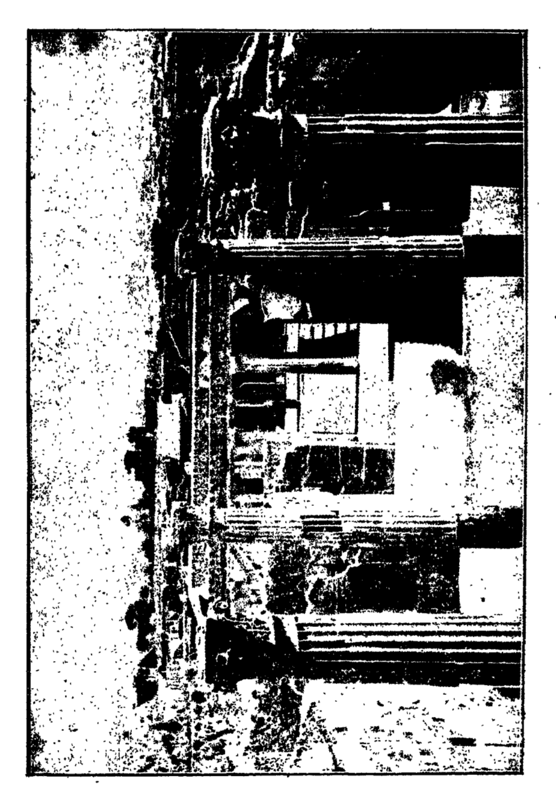
ومما يلاحظ فى هذه المدينة أن أحياء الأغنياء والموسرين لا تجد فى شوارعها حوانيت ولا محال للبيع والشراء ، وهذه الحالة تجدها الآن فى أحياء الاغنياء والموسرين عندنا

المنازل

مما شاهدته فى تشييد منازل الاغنياء منهم أن غالبها يبنى خلف الحوانيت يصل الانسان منها بطرقة ممتدة من الشارع حتى يصل الى باب الدار ، وليست لها نوافذ على الشارع ، يحيط بها سور داخله ردهة واسعة ، وحول هذه الردهة حجر تفتح فيها ، وليس بها نوافذ الا بابها ، وتلك الحجر ضيقة لا تزيد عن ثلاثة أمتار فى مثلها مع أن الردهة واسعة جدا ليست مسقوفة ليصل الى المنزل الضوء والحرارة ، وفى وسط الردهة فسقية تجتمع فيها مياه الامطار تسير منها الى صهريج تحت الدار تخزن فيه الى أيام القيظ ، وفى الردهة يفتح باب على حديقة واسعة من الجهة الشمالية غالبا ، وحول الحديقة حجرة للزائرين ، وحجرة الاكل وهى أوسعها ، وحجرة النوم وهى ضيقة ، وبين حجرة الزائرين وحجرة الاكل حجرة الخدم

وحجرة الاكل غاية فى الفخامة بهـا كثير من الرسوم والنقوش البديعة التى تسر النفس ، وتبعث على تناول الطعام بشهية . وفى كل بيت من بيوت الأغنياء حجرة خاصة يقابل فيهارب المنزل السيدات الاجنبيات منعزلة عن حجر الدار مزخرفة ومزينة باحسن مايوجد من النقوش والصور ، وتشتمل على صور تحمر لها وجه الانسانية خجلا ، ومن أجل ذلك قام على بابها حارس لا يسمح للسيدات بدخولها. وقد حاولت بعض السيدات الامريكيات ان تدخلها فلم تفلح وخرجنا من هذه الحجرة منا الضاحك ومنا الصاخب ومنا الذاهل من حيوانية الانسان وانغماسه فى الشهوات بحالة تلحقه بالحيوان الاعجم . وبحوائط المنزل دواخل وخوارج تستعمل لمنافع متعددة كوضع مائدة الأكل وأوانى الشرب والمصابيح ، وحجر داخل البناء ، وأخرى يصعد لها بسلمين أو ينزل لها كذلك مما يشبه تمام الشبهة المنازل القديمة بمصر . ومن زار منزل أبى الذهب فى حارة الروم بمصر يمكنه أن يدرك حالة المنازل عند الرومان القدماء ، غير أن منازلهم عديمة النوافذ من الخارج . وتكثر النقوش والتماثيل حسب ثروة الرجل ومنزلته. وفى منازل الاغنياء عدة صور واضحة ترمز الى حالة دينية وثنية وخرافات قديمة وزراعية وتجارية

وقد زرنا منزلا مستكشفاً حديثا أخبرنا المترجم أنه كان لأخوين تاجرين افرغا فيه جهدهما من حيث الزخرف والبناء وآثاره باقية لم تنقل الى متحف نابلى لان كل اثر قيم ينقل الى متحف نابلى يوضع محله من الصور الحديثة ما يشير الى الصور القديمة إلا هـذا المنزل فانه لم ينقل مافيه ولذا عُنوا بعمل حواجز لآثاره حتى لاتمسها يد السائحين ، وفى هذا المنزل



منزل امبراطور جرمانيا في بومبي

حديقة جميلة محاطة بسياج من حديد نصب عليه عدة تماثيل وطيور وسباع وتماثيل غلمان صغار غاية فى الأبداع والأتقان، وبه حجرة كبيرة زخرفت أكبر زخرف ورسم على جدرانها ما كانوا يتعاطونه من المهن بحالة واضحة جداً من زراعة وتجارة وحرث ودرس وصيد ورقص، وصور القرابين التي كانوا يقدمونها لآلهتهم وغير ذلك مما يبين حالتهم الدينية والمعاشية. وقد كثر السائحون فى هذا المنزل وكذا الراسمون وناقلو صوره. هـذا وصف بيت من بيوت الاغنياء أما منازل الفقراء فهى منحطة فى كل زمان ومكان فالمنزل منها يحتوى على حجرتين أو ثلاث عديمة النوافذ حيث تحوى فرنا ورحى وهى عبارة عن قاعدة مرتفعة من الحجر الصلد تعلوها مثلها على هيئة اسطوانية مفرطحة من أعلاها. وتلك المنازل واطئة الاسقف تنتهى بقبو كمنازل الفلاحين فى القرى الصغيرة عندنا. هذا ما يقال بوجه الاجمال عن منازل مدينة بومبى

المعابد

فى هذه المدينة معابد كثيرة أرشدنا اليها المترجم فيها كثير من الاصنام والتماثيل، ورسومها بديعة باقية واضحة بها كيفية تقديم الذبائح للآلهة، ولهم اعتناء كبير ببيت العبادة الذي تظهر عليه الفخامة والعظمة وهـذا المعبد متسع أقيم فى صدره مذبح الآله والالاهة معبودى أهل المدينة وقد أقيم في جهته الشرقية والغربية تمثالان لهما متقابلان يشيران الى بعضهما البعض. وقد رأينا ثقبا خلف رأس الآلهة كان يستعمله حكام تلك المدينة للأجابة عن أسئلة الاهالى التى كانت توجه للآلهة فتخرج نبرات الكلام

من فم الالهة فيعتقد السائل انها هى التى تجيبه وبذا بقيت سلطة الحكام الدينية والزمانية سائدة زمنا طويلا

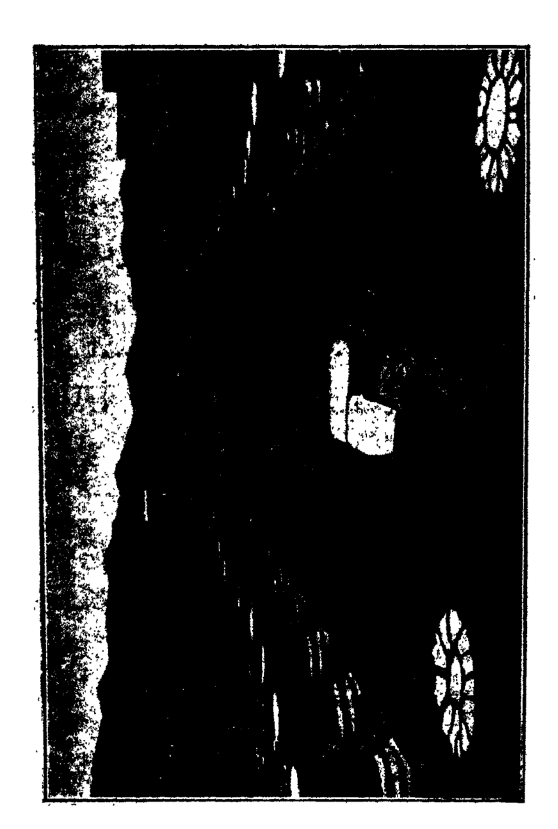
ومن الآثار التى تستحق الذكر ميدان واسع جداً تحيط به المبانى من كل جهة، مقامة على بوائك من الاحجار الضخمة، وداخل هذه البوائك وخارجها عدة مقاعد . وفى نهايته الشمالية مبنى عال يقف عليه الخطيب ويلقى مايريد من الأمور الهامة على عامة الشعب، وفى نهايته الجنوبية محل لجلوس الحاكم وأسرته وهو غاية فى الأبهة والعظمة

دار التمثيل

من الاشياء التى يقصدها السائح ويهتم لرؤيتها فى هذه المدينة دار التمثيل فانها حفرت فى الصخر على هيئة دائرة ، مقاعدها مدرجة من أعلى الى أسفل تضيق كلما سفلت حتى تصل الى دائرة صغيرة . وقد أعدت فى هذه الدار محال للحكام والأشراف والمتوسطين والعامة والخدم فلا تتجاوز طائفة من هذه الطوائف محالها المعدة لها ، وقد شيد فوق هذا الحفر مبانى تحيط به فيها يجلس الناس ليروا الممثلين من أعلاه وهذه الدائرة لا يتجاوزها الخدم وعامة الناس ، ويقدر عمق هذه الدار عن سطح الارض بنحو خمسة وعشرين مترا تقريبا وشكلها يشبه تمام المشابهة المدرج الرومانى القديم الذى مر وصفه عند وصف آثار مدينة سرقسطة

متحف بومبى

عند ازالة الردم عن مساكن هذه المدينة وجدوا كثيرا من هياكل



المحكمة الرومانية القديمة

الرجال والنساء والاطفال وبعض الحيوانات محجرة، وأنواع الحلى بين ذهبية وفضية مما لا يدخل تحت حصر . وقد وجدت هياكل بعضهم فى الازقة بهيئة تدل على الفزع والخوف. وقد شيدوا متحفا فى هذه المدينة نقلوا اليه بعض آثارها فيه رأينا الرجال والنساء محجرة بالهيئة التي ماتوا عليها عند حلول الحادث فمنهم النائم على ظهره والنائم على جنبه والمنقبض الجسم والمنبسطه وغير ذلك من الاشكال التى يمكن ان يموت عليها الانسان، ومثل ذلك بعض الحيوانات والطيور والابواب الخشبية المتحجرة . وفيه جميع انواع النقود والموازين والمكاييل والحلى وغير ذلك مما كان يستعمل عندهم من تماثيل العبادات وآلات الدرس والحرث فسبحان من يرث الارض ومن عليها .

من نابلى الى رومة

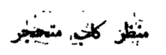
لما فرغنا من زيارة اهم مشاهد نابلى ومتاحفها ازمعنا السفر الى رومه قصبة مملكة إيطاليا فذهبنا الى محطة السكة الحديدية ومنها اخذنا جواز السفر (التذكرة) بعد أن دفعنا ثمنها احدى وسبعين ليره (احد وسبعين قرشا صاغا) ولما اردنا الدخول الى القطار اشار العامل المكلف بمراقبة المسافرين بان حقيبتين من حقائبنا يجب وزنهما فانتحى الحمال بنا ناحية وقال يمكننى أن أدخلهما بدون وزن على شرط أن آخذ عشر ليرات فقبلنا منه ذلك وقد فعل واعطينا له ماشرط . وقد قلت فيما سبق ان اهل ايطاليا لهم استعداد لقبول الرشوة متى وجدوا لذلك سبيلا . ولما دخلنا القطار لاحظنا أن حجره ضيقة تحوى ثمانية مقاعد متقابلة يفصل كل مقعدين

منها حاجز ولها باباں من جانبها يقفلهما العامل عند سيره وليس بهـا نوافذ غير نافذتين تعلوان هذين البابين ولا طرقة امامها. وحجر القطر في ايطاليا أقل مما فى مملكة سويسره وفرنسا وانجلترا نظافة وزخرفا والمقاعد مكسوة بنوع من المخمل الرمادى وقد اكتظ القطار بالمسافرين مما افضى الى وقوف بعضهم زمنا طويلا

وقد قام القطار بنا من المحطة الساعة السادسة والنصف وسار بنا في أرض ليست ذات خصوبة تارة يعلو تلالا وروابي وتارة ينحط واخرى يدخل فى نفق وطورا يساير جبالا شامخة

ومازلت واقفا فى نافذة القطار أمتع النظر بتلك المشاهد الجميلة البديعة حتى خيم الظلام وعدت لاأرى الا الانوار فى القرى المشيدة على التلال وسفوح الجبال الى ان لاحت لنا من بعد أنوار مدينة رومه بمنظرها الغريب الذى يأخذ بمجامع القلوب، وقد وصلنا محطتها الساعة الحادية عشرة والنصف مساء فحمل حقائبنا حمال ذهب بنا الى فندق الكونتيننتال وهو فندق جميل واقع فى واجهة المحطة كثير الحجر واسع الردهات المزينة بالاشجار والازهار، وهو من أعظم الفنادق فى ايطاليا يشرف على ميدان المحطة وعلى شارع من أهم شوارع المدينة وأجرة المبيت فيه خمس وثلاثون ليرة وإذا أضيف الى ذلك الاكل فيه ضوعف الاجر

ومما لفت نظرى ان كل نازل فى فندق من فنادق اوربا يلزمه ضريبتان ضريبة الخدم وضريبة الحكومة وكل واحدة لاتقل عن عشرة فى المائة من أجرة المبيت كما أنه يزاد على هاتين الضريبتين ضريبة ثالثة هى ضريبة الترف اذا كان الفندق راقيا كالذى نزلنا به



منظر كائن متحجر

ومما يدعو الى العجب والدهشة كثرة السائحين الأميركان فأنى رأيت منهم في رومة وغيرها من الممالك التى زرتها سيلا جارفا يملأ كل مكان نزلنا به ، وأكثرهم من الفتيات اللائى لا يصحبن معهن رجالا إلا قليلا بل يعتمدن فى جميع رحلاتهن على أنفسهن . وإنك لترى فيهن زينة الفنادق والردهات يرقصن ويغنين ويعزفن ويقمن بألاعيب منوّعة ـ ملابس غاية فى البساطة يشبهون تمام المشابهة الفتيات الانكليزيات لونا ولغة لا يكاد يفرق الانسان بينهن. وعجائزهن غاية فى النشاط والخفة يقمن بما تقوم به الفتيات من الاسراع إلى زيارة الآثار والمتاحف ويقيدن الغريب منها ويأخذن المناظر بآلة التصوير الشمسي (الفتوغرافيا) فلا تزور اثراً الا تجده غاصا بهن

وأغلب الأميركان يعتمدون فى سياحتهم على شركة كوك تقلهم سياراتها إلى المتاحف والآثار وغيرها مما يهم السائح زيارته مصحوبين بمترجميها العديدين

وهى تقوم بخدمات كثيرة تسهل على السائحين رحلاتهم من تقديم أدلة للبلدان والممالك بالمجان ومصور كل مدينة يوضح أماكنها وآثارها ومتاحفها ومحال الزيارة فيها ومعلومات عن فنادق المدن واجورها وحالة المعيشة فى الاسر (البنسيونات) فلا يجد السائح اقل صعوبة فى الوصول الى غرضه ولها مكاتب في كل مدينة حتى القرى تسهل كل نوع من المعاملة والقيام بصرف «القطع» لكل ممالك العالم ولذا لا تخلو محاله من السائحين المختلفى الأجناس واللغات

تجد السيدة الاميريكية وهى فى أخريات أيامها لا تقوى على السير فى

المتاحف والآثار فيحملها العمال على كرسى أعد لذلك حتى لا تحرم رؤيتها وتنفق في ذلك المال الكثير صابرة على مشاق السفر والتنقل برا وبحرا كل ذلك فى سبيل حب الاستكشاف والاطلاع مما يدل على علو مكانة الأميركان وضربهم فى العلوم والمعارف بسهم كبير. وبهذه المناسبة أجدنى آسفا جد الأسف لعدم اهتمام المصريين بشأن السياحات والاطلاع على آثار الممالك ومتاحفها والوقوف على أخلاق الأمم وعاداتهم. فقد يذهب كل سنة منهم الى أوربا عدد كبير ومع هذا فلا تجد لأسفارهم أثرا يذكر فى بلادهم لأنهم يفضلون الراحة واللهو واللعب والاقامة فى مكان واحد عن الجولان فى الممالك والبلدان — ولو علموا أن أيام السائح من ألذ أيام حياته لما تأخروا عن قضاء أوقاتهم متنقلين يرون كل يوم منظرا جديدا وخلقا نافعا وموعظة حسنة وعبرة مرشدة وحكمة بالغة وعلما واسعا لا يحصلون عليه بغير ذلك

رومـــــه

هى عاصمة بلاد الرومان، مرت عليها أعوام كانت فيها سيدة عواصم الممالك، وحاكمة العالم المتمدين، تاريخها القديم من أشهى التواريخ، وأكثرها فائدة للقارئين: يعرض أمامك العبر، ويوضح لك تقلبات الزمان، ويملى عليك حكمة لقمان. ومازالت إلى الآن عاصمة إيطاليا مع مامر عليها من حوادث الأيام وعبر الدهور والأعوام. اجتمع فيها قديما عظماء الشعوب المختلفة فكان منهم الأمير، ومنهم طالب العلم: ومنهم المتجر، وكانت مركز الملك والرياسة الدينية معاً. فلم تبلغ مدينة من مدن العالم مابلغته روما فى العالم القديم

وباعتبار ماطرأ عليها من التغييرات أصبحت تنقسم إلى قسمين ، رومة الحديثة وروما القديمة

فرومة القديمة كانت محاطة بسور لايقل عن اثنى عشر ميلا تقريبا وله سبعة وثلاثون بابا معدة لخروج الجنود ودخولهم

ولقد اشتهرت من قديم الزمان بردهاتها الواسعة ، وشوارعها الكبرى

أما رومة الحديثة فأنها قد بنيت على اطلال رومة القديمة ، أقيمت على اثنى عشر تلا ، فهى كثيرة المرتفعات والمنخفضات فلا تكاد تجد فيها شارعا مستويا . ويشطرها نهر تيبر شطرين عظيمين ، شيدت على ضفافه المنازل العالية والقصور الفخمة ، وفى ميادينها العامة كثير من التماثيل البديعة الصنع

وأهمها نافورة بقرب ميدان المحطة آية فى الأبداع وحسن المنظر . وإذا رأيتها رأيت دائرة عظيمة محاطة بالتماثيل الكثيرة المتعددة الأنواع المختلفة الأشكال ، وفى وسط هذه الدائرة تمثال لرجل ضخم يضم اليه تمثال غلام يصعد الماء من قمة رأسه فينصب عليهما بكثرة . وجميع التماثيل المقامة على حافة هذه الدائرة بأشكال الرجال والنساء تقبض على تماثيل من الأسماك والحيوانات ، يخرج من أفواهها الماء بقوة عظيمة منعكسا الى جو هذه الدائرة ، ويقابل هذا الماء المنعكس ماء مقذوف بقوة يخرج من أنابيب وسط هذه الدائرة ، فيتكون من ذلك منظر حسن يسر النفس ، ويشرح الصدر

ويلى هذه النافورة فى المرتبة نافورة أخرى تسمى « بريفى » من النافورات الرومانية القديمة ، أقيمت وسط رومة يخرج الماء من اثنتي عشرة

فتحة فيها ، يسمع لها دوى كدوى القناطر لكثرة المياه المتحدرة على الاحجار والصخور من تلك الفتحات ، ويعلو هذه الفتحات تمثال كبير لرجل يكتنفه تمثالان على صورة امرأتين أحدهما رمز للصحة والآخر للخصب والنماء بيده صورة عنقود من العنب العظيم ، وبأسفل هذه التماثيل تمثالان لفارسين قويين يقبض كل منهما على عنان جواد جامح يعانيان فى كبح جماحهما اشد العناء ، والمياه المتحدرة من هذه الفتحات جميعا تنصب بقوة عظيمة فى حوض واسع جـدا نضدت حوله المقاعد لجلوس من يشاهد انحدار هذه المياه .

ومما سطر فى دليل روما من المضحكات عن مياه هذا الحوض ان السائح اذا شرب من مائه ولم يقذف فيه « صلدا » سحرته مياهه واضطرته الى الرجوع إليها فى العام المقبل ، فشربت من مائه ولم اقذف فيـه صلدا لعلى أرجع اليه مرة أخرى ! !

وشوارع رومة أغلبها كثيرة الحركة والزحام ، ولـكنها أقل حركة من شوارع (نابلى) وحوانيتها أكثر ضخامة وسلعا ، مرصوفة بالاحجار المستوية أو الآجر (الاسمنت) ، ومما زيدها فخامة وعظما علو العمائر الضخمة بهـا ، فان غالبها يتكون من ست طبقات أو سبع ، مما يكسب الشوارع بهجة وعظمة ، وأغلب شوارعها محلاة بالتماثيل التى تقابلك أينما سرت ، إما فى الشوارع وإما فى شرفات المنازل ، أو مزدانة بها الحوانيت وميادينها العامة ، أومزخرفة بها الـكنائس الـكثيرة المنتشرة في جميع نواحيها.

والمركبات الـكهربائية تنساب فى تلك الشوارع تارة تعلو وتارة تنخفض تبعا لحالة الشوارع ، ولها سائقون مهرة ، يجلسون على كرسي يفصله عن

الواقفين حاجز من الحديد ، فلا يزاحمه أحد مهما كثر الواقفون ، وكل مركبة فيها عدة أجراس يقرعها الراكبون اذا أرادوا النزول. وهو لا يفوق المركبات الكهربائية برمل الاسكندرية من حيث النظافة والترتيب ، والسيارات أجورها رخيصة جدا كما أن العجلات لها عداد (تكس) يجرها جواد واحد واذا زاد الراكبون على اثنين دفع عنه ليره (قرشا صاغا) عما يستحقه العداد. والحوذيون لا يمسون الخيل بسياطهم شفقة ورحمة بالحيوان. ومما يضحك أننا ركبنا عجلة وأراد الحوذى أن يوجه الجواد الى مايريد فلم يقبل أن يسير الا اتباعا لهواه ولم يجسر الحوذى أن يمسه بأذى فكان ينزل ويجره مسافة كبيرة ولكنه يأبى أن يسير إلا حسبما يريد ، فأخذ منا التعب مأخذه، وقلنا هذا حال حوذى مع جواد لم يجرؤ على ايذائه ونحن فى بلادنا نقيد ارادة خدمنا وارادة أبنائنا والويل ثم الويل اذا تأخر الحيوان عن الركض لثقل حمله أو لمرضه أو تعبه فان سائقه ينقض عليه انقضاض الصاعقة فيوسعه وكزا وضربا ونخسا حتى يسيل دمه

ولهذه المناسبة اذكر انى مارأيت فى سياحتى هذه سيدا يلفت نظر خادمه بل كل خادم يقوم بواجبه . وقد رأيت فى لندن خادمات الفنادق يقمن بالخدمة أكثر من اللازم ينظفن درجات السلم وهن جاثيات على ركبهن لشدة اعتنائهن بالنظافة وقيامهن بالواجب ، كما أن للخدم أوقات راحة لا يسألون فيها عن عمل شىء مطلقا يرتدون ملابس نظيفة ويخرجون للنزهة سواء فى ذلك الفتيان والفتيات فاذا قابلت احدهم فى الخارج قابلت شخصا جميل البزة حسن الطلعة لا يتسرب الى عقلك أنه خادم له حسن حديث وذوق وأدب

ولم أر مدة اقامتى فى رومه ما كنت أسمعه عن الطليان من الفظاظة والغلظة والشدة والطيش الا قليلا جداً فى الطبقات الواطئة انما الذى يؤاخذون به عدم التحديد فى أثمان السلع فلا يدل الثمن المكتوب عليها على الحقيقة . فاذا كنت أجنبيا عن البلاد ابتعت الشيء كما هو مكتوب عليه . وقد أرشدنا أحد أصدقائنا الى أن المساومة واجبة فكنا ننقص من الثمن المكتوب على السلع الثلث أو الربع ولم نر أمة من الأمم فى أوربا تفعل مثل هذا وهو ليس حسنا من أمة اوربية راقية فاذا تمكن بعضهم من الغش لا يتأخر . مثال ذلك :

اننا دخلنا مطعما وتغذينا فيه فقدم لنا صاحب المطعم بيان الحساب فوجدنا الثمن المطلوب لا يتفق مع طلبنا فبحثنا الاثمان فوجدناه قد أضاف الليرات الى البنسات وجعلها جميعها ليرات فلما أرشدناه الى غلطه خجل واعتذر عن فعلته ، كما أنه اعجبنى فى ايطاليا ماسمعته من تشدد حكومة موسلينى على النساء المتبرجات فى الشوارع فانه شدد فى عقوبتهن ان كن ايطاليات والا نفاهن الى الخارج ، وقد اخذ يضيق عليهن الخناق فى الشوارع والمنازل وتتبع منازل السر وصادرها ووقع على اصحابها العقاب مما جعلهم يفرون من امام الشرطة ويختفون عن الانظار . وقد ساعده على ذلك معاضدة قداسة البابا فاصدر امراً بابويا يمنع كل امرأة عارية السواعد من دخول الكنيسة فاتفقت السلطتان الدينية والمدنية على ذلك مما جعلهن يخشين العقاب

فما كان أجدر بحكومتنا السنية أن تبذل جهدها في مطاردة البغايا

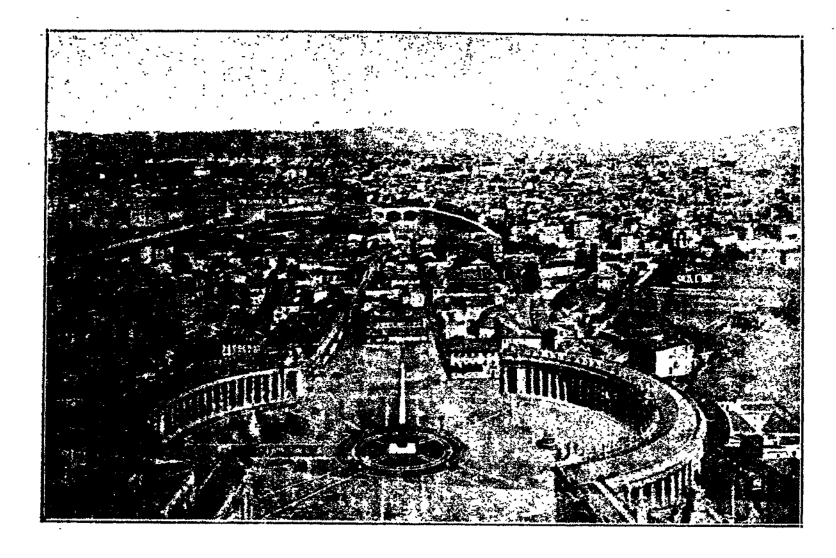
اللاتى انتشرن فى البلاد انتشار الجراد يعثن فى الارض فسادا لارادع ولا زاجر حتي انتشرت بيوت الدعارة والفجور بين بيوت الأحرار، وقد كتب الكاتبون فى ذلك فلم يجدوا أذنا صاغية ، وليست مقالات أخى الاستاذ محمود ابى العيون عن القراء ببعيدة

فاين ذوو الغيرة فى بلادنا يتابعون تنبيه الحكومة حتى تعير تلك المواخير جانبا من عنايتها فتطهر البلاد من أرجاسها ؟ وانا ننتظر من حكومة اسلامية رشيدة مثل حكومة مصر ان تقوم بهذا الأمر العظيم لتكسب بذلك تاريخا محمودا يدور مع الزمان

أهم آثار رومة ومتاحفها

كنيسة مارى بطرس الكبرى

لما كان لرومة المركز الاول فى العالم الكاثوليكي أصبح لكنائسها الشهرة الفائقة والصيت الذائع والقيمة الكبرى ، وأشهر كنائسها بل أشهر كنيسة فى الأرض، وأوفرها قيمة ، وأكثرها تحفا وآثارا ، هى كنيسة (مارى بطرس الكبرى) وهى بجوار الفاتيكان، تتصل بمبانيه من ناحية ، لها منظر مهيب يملأ القلب عظمة وجلالا ، امامها ميدان فسيح على شكل دائرة هائل المنظر ، يحيط به رواق تحمله أربعة صفوف من الأعمدة ، يتكون منها ثلاث طرق يبلغ عدد هذه الاعمدة سبعين وثلثمائة ، أقيمت على هيئة هندسية ، فلو وقف الانسان فى مركز هذا الميدان ، لخيل اليه أنه لا يوجد



ميدان كنيسة القديس بطرس بروما

إلا صف واحد من الأعمدة ، مما يدل على إحكام وضعها وبراعة تنسيقها . وفي وسط هذا الميدان اقيمت مسلة مصرية ، بجانبها نافورتان تقذفان الماء بشكل بهيج

ومما قيل لنا عن هذه المسلة ، انها وقعت على الأرض فحطمت قريبا من قاعدتها ، فأقامتها بركة البابا ليلا ، وقد أصبح أهل رومة وهم ينظرون اليها كأنها لم تصب بسوء ، فكانت موضع غرابة واعجاب تدل على مقدار تصرف البابا بالأمور .

وعرض واجهة الكنيسة يبلغ نحو مائة واثنى عشر مترا ، ولها سلم عريض جدا ، توصل الى باب الكنيسة المصنوع من البرنز الدقيق الصناعة ، وعن يمينه باب آخر مسدود بالرخام يسمى الباب المقدس ، يفتح كل خمس وعشرين سنة مرة ، ويعتقد فيه أن الدخول منه يوصل إلى الجنة مباشرة ولذا يقصد الحجاج رومة إبان فتحه للحصول على هذه النعمة . ويوجد باب مثله بكنيسة (مارى بولص) التي سنتكلم عليها فيما بعد . واذا عجبت لشيء في حياتي فعجبي عظيم جدا لرؤية داخل هذه الكنيسة التي جمعت كل انواع الفن التصويري والتمثالي ، وضخامة البناء وزخرف الحوائط وارتفاع القباب التي يعجز الكاتب القدير عن وصفها ، وما تدل عليه من الرموز الدينية التي تدخل في القلب روعة وجلالا . منها تمثال من البرنز (للقديس مارى بطرس) جالسا على كرسي البابوية وقد بليت أصابع رجله اليمنى من التقبيل . ويبلغ طول هذه الكنيسة نحو مائة وسبعة وثمانين مترا في عرض مائة وسبعة وثلاثين مقامة على أعمدة ضخمة ، مرتكزة على قواعد عظيمة من الرخام تشبه عمد جامع الرفاعي بمصر مموه أسفلها وأعلاها بالذهب ، تماثيلها من الرخام القديم

الأبيض والمرمر وجميع سقوفها مغشاة بالذهب ، وحوائطها محلاة بالتماثيل الدينية الكثيرة التى تعد من أعاجيب فن التصوير ، وبها ألواح معلقة بحوائطها تمثل أهم أدوار حياة المسيح والحواريين والقسيسين وكلها من الفسيفساء فيراها الناظر كأنها زيتيه وليست بزيتية . وعن يمين الداخل عرش مرتفع عظيم الأبهة والجلال ، به صورة السيدة مريم أمامها الشموع المضاءة ليل نهار فى انابيب من الذهب والفضة . وفي وسط هذه الكنيسة قبة مرتفعة تحملها أربعة أعمدة حلزونية الشكل من البناء ، وتحتها سرير من البرنز أيضا به أربعة أعمدة من البرنز المذهب وتحته المكان الذي يقف فيه البابا وقت الصلاة ويسمونه المذبح وهو خاص بصلاة البابا وبالعرش خارجة كالكنة (التوسينة) يشرف منها البابا ليلقى مواعظه ونصائحه وارشاداته على الشعب

وقريب من هذه القبة دائرة عظيمة فى أرض الكنيسة محلاة جوانبها بفروع من الفضة المموهة بالذهب. منارة بالشموع ليلا ونهارا ، فى أحد جوانبها باب إذا نزل منه الانسان نحو عشر درجات يرى أمامه بابا صغيرا إذا فتح رأى فيه صورة السيدة مريم والمسيح من الذهب عليهما تاجان من الأحجار الكريمة وأمامهما صندوق من الذهب الخالص ، توضع فيه النذور والصدقات والنور الكهربائى من خلفهما يزيدهما بريقا ولمعانا يخطف الأبصار. ومن حسن المصادفات أننا رأينا عروسين وراءهما جمع كبير قد قصدا إلى هذه الدائرة ونزلا إلى الحجرة التى فيها صورة السيدة مريم والمسيح وجثوا أمامهما يؤديان الاخلاص الزوجى وباركهما القسيس القائم بحراسة هذه الحجرة . وقبل أن يبرحا المكان أديا التحية لهذين التمثالين بخضوع وخشوع تامين

مع من يصحبها من الجمع فكان المنظر جميلا مؤثراً . وأدهشني كثيراً ما رأيت من تخضع الناس وخشوعهم أمام التماثيل الدينية الرمزية والتفاني في اعتقادها كأنها تضر وتنفع مما نسميه عبادة وثنية عندنا . وإنك لترى ذلك المعنى ماثلا في خروج الناس بعد الزيارة إلى الوراء موجهين أنظارهم اليها بخشوع حتى يبعدوا عنها ولا ينصرفون إلا بعد أداء الركوع اليها من بعد

وفى جنوب الدائرة التى مر وصفها دهليز صغير يدخل منه إلى كهف فيه كثير من قبور البابوات وآخر (بابا) رسمت صورته من المرمر ووضعت فوق غطاء الصندوق المدفون هو فيه واضعا ذراعيه على صدره بهيئة صليبية وفى نهاية الكنيسة من الجهة الغربية عرش كبير جدا يكتنفه من الجانبين أربعة تماثيل من البرنز المموه بالذهب تدل على العظمة والرهبة . ويمتد من هـذا العرش طرق كثيرة محوطة من الجانبين بسياج من الخشب مثبتة فيها مقاعد يجلس فيها المطارنة والقسوس والعظماء حين يمر البابا من هذا العرش إلى العرش الذى مر وصفه ليصلى فيه والشعب أمامه ينتظر دعواته الصالحة وتبركاته. وأرض هذه الكنيسة جميعها من الرخام الجيد يبلغ مسطحها ستين ومائة وخمسة عشر ألف متر . ويقال إنها تسع خمسة وعشرين ألف نفس . وأغلب مابها من التماثيل يدل على رموز دينية تاريخية تبين فضل البابا وتسلطه على الملوك والعظماء وانتصاراته الالهية التى تدل على مكانته واحترامه ونصر الله له على جميع مخالفيه من الملوك واتيانهم اليه صاغرين خاضعين لما يرونه من المعجزات البينات التي تدعو المخالف إلى الطاعة والخضوع والخشوع كرسم ملكين عظيمين خلف البابا أحدهما شاهر سيفه والثانى قابض على مطرقة يهددان مليكا خالف رأيه . وهو يتضرع

اليهما ، ويرجع الى البابا ليغفر له خطيئة مخالفته جاثيا على ركبتيه مادا ذراعيه يتوسل اليه بأنواع التوسلات . ثم سرنا حتى وصلنا إلى باب كبير فى ناحية الكنيسة من الجهة الجنوبية داخله يدفع خمس ليرات ليرى مافيها من النفائس والعجائب والهدايا . فدخلناه فيه فرأينا نحو سبع حجر يقف الانسان أمام مافيها حائراً مذهولا . بها جميع هدايا الملوك والامراء والعظماء إلى البابوات في العصور المختلفة . وبها أيضا ملابس البابا التى يلبسها فى الحفلات الرسمية الدينية . وكذا لبس المطارنة والقسوس كلها آية فى الغرابة والابداع . وأغلب تيجان البابا محلاة باحجار الماس الكبيرة وانواع الاحجار الكريمة التى يقل نظيرها وكل ملك من ملوك الأرض له هدايا للبابا حتى ملوك العثمانيين والخديويين بمصر وهذه النفائس الغريبة تقدر بملايين الجنيهات ولا أبالغ إذا قلت إنه مهما منح الانسان دقة الوصف واتقانه فليس فى مقدوره أن يصل بوصفه الى تمثيل الحقيقة ومن أراد الوقوف على الحقيقة فليشاهد بنفسه ليرى مالا عين رأت

ثم صعدنا فوق سطح الكنيسة ومنه دخلنا بابا يوصل إلى سُلَّم عددت درجاته فالفيتها عشرين وثلثمائة درجة ولقد كلت قوانا فى صعودها حتى إذا وصلنا إلى نهاية علوها الشاهق أشرفنا على رومة وضواحيها فرأينا الشوارع والناس تسير فيها كأسراب النمل ورأينا حديقة البابا الخاصة التى يقضى فيها أوقاته غاية فى الأبداع والاتساع سنتكلم عنها عند ذكر قصر الفاتيكان

وعلى الجملة فأن كنيسة مارى بطرس تعد من عجائب الدنيا ولا يتسنى لواصف أن يدخل وصفه إلى نفس القارىء مهما أوتى من القدرة على الوصف

فأن ماتحويه من الزخارف والنفائس والهدايا التى قدر بعضها بنحو مليونى جنيه لهو أكبر دليل على تقدير الناس وتعظيمهم لهذه الكنيسة دون سواها

كنيسة مارى بولس

هى أهم كنيسة بعد كنيسة مارى بطرس ، التى مر وصفها ، وهى في ضواحى رومه ، وصلنا اليها بعد نصف ساعة بالمركبة الكهربائية (الترام) ، خارجة عن سور المدينة القديم ، وهى من أعمال قدماء الرومانيين ، احترقت مرتين فى حوادث سياسية وأعيد بناؤها بشكل جميل يشبه بناء الجوامع الاسلامية. أقيمت على خمسة وثمانين عمودا من الأعمدة الضخمة الصوانية والرخامية . بها بهو عظيم جدا مستطيل على جانبيه صنفان من العمد الضخمة وبها خمسة أروقة منها الرواق القائم على هذه العمد بأعلاه صور جميع البابوات بهيئتهم الطبيعية وأزيائهم المنوعة فى عصورهم المختلفة ، زخرفت صورهم بالفسيفساء مرتبين بحسب قدمهم من ظهور أول بابا إلى البابا الحالى. وقد هيئت عدة أمكنة لوضع صور من يموت في المستقبل من البابوات وهى لا تقل عن الثلاثين مكانا داخلة فى الحائط ومحاطة بدائرة من نحاس أصفر . وبالقرب من الباب عمودان عظيمان من الرخام الأصفر الجميل الشكل أهداهما الى البابا والى مصر محمد على باشا الكبير مع أربعة أعمدة صغيرة وعدة ألواح أخرى وكلها من نوع الرخام الذى بنى منه جامع القلعة . وبها عشرة شبابيك كبيرة من الزجاج الملون عليها رسوم القديسين والملائكة ورجال الدين دالة على حياتهم الدينية وأعمالهم . وبها عدة مذابح منارة بالشموع . وفي جميع نواحيها التماثيل الدينية الكثيرة وصور عدة للسيد المسيح والسيدة مريم

وسقفها مموه بالذهب الوهاج وليس بهـا مقاعد ولا كراسى مثل بقية كنائس رومة فالناس فيها يحضرون الصلاة وقوفا أو ركوعا ومدخلها من أحسن مداخـل الـكنائس عظمة وجلالا رسم على أعلى بابها من الخارج عدة صور جميلة تمثل بعض الحواريين ورجال الدين المشهورين يرعون الأغنام ويداوون منهـا الـكسير والمسيح يرعى الجميـع من فوقهم وعن يمينـه ويساره رسولان من رسله المقربين اليـه وبالجملة فهى غاية فى الابداع وحسن المنظر لها جلال وعظمة خاصتان بها لاتوجدان فى كنيسة أخرى

كنيسة مارى حنا

هى الثانية من الـكنائس القديمة أمامها متنزه واسع غرست فيه أنواع الاشجار والأزهار يقصده كثير من الناس لاستنشاق الهواء النقى

وإذا دخلت هذه الـكنيسة يهولك منظر مافيها من التماثيل الرمزية الدينية المختلفة أنواعها وأشكالها

ويقابل الداخل من الباب ثلاثة سلالم الوسط منها مقدس لايصعده الانسان إلا جاثيا على ركبتيه يقبل ما أمامه من درجاته فيعانى في ذلك صعوبة كبيرة . وهكذا يستمر فى الصعود وتقبيل أرض الدرجات حتى يصل إلى النهاية ، وقد عددتها فالفيتها نحو الثلاثين درجة والناس يفعلون ذلك لاعتقادهم ان المسيح صعد منه ، وقد رأيت ستة من الرجال والنساء يصعدون عليه بالهيئة المتقدمة فاستوقف نظرى هذا المنظر الغريب الذى يدل علي وجود الخزعبلات الدينية فى عقول بعض الناس مع انتشار العلوم الحقة وعدم

الا كثرات بخرافات الأديان القديمة التى كانت تسوق الناس سوق الأغنام إلى أعمال لا تنطبق على عقل ولا دين

ولما كان ذلك مخالفا لتعاليم الدين الاسلامى صعدت فى أحد السلمين الآخرين

وقد أخبرنا أن درجات هذا السلم المقدس كانت بقصر حاكم أورشليم أيام المسيح وقد كان صعد عليه وقت محاكمته ثم نقلتها الى رومة القديسة هيلانة . ولشدة تقديس القوم لهذا السلم لايسمحون لاحد بالصعود عليه إلا جاثيا على ركبتيه حتى إذا صعد إلى أعلاه نزل من أحد السلمين المجاورين له

كنيسة السيدة مريم

هى خلف بناء الجندى المجهول ويقال إنها أول كنيسة شيدت برومة باسم السيدة مريم . بردهتها الواسعة كثير من التحف والتماثيل والنفائس القديمة ماليس له مثيل فى كنيسة مارى بطرس. وشكل مبانيها ونظامها وهيئة تماثيلها تخالف بقية الكنائس الأخرى من حيث دقة التماثيل وعظمتها . بها مذبح عظيم أقيم فيه تمثال للسيدة مريم غاية في العظمة والجلال لانظير له فى الكنائس التى زرناها فاذا وقف الانسان أمامه شعر برهبة واحترام، يجلس أمامه راهب قد أكل عليه الدهر وشرب بازائه صندوق توضع فيه النذور والصدقات وكثير من الزائرين يقبلون يده. ومما لفت نظرى فى هذه الكنيسة حجرة صغيرة يحرسها قسيس لاتفتح إلا بالطلب محلاة بالنقوش البديعة غاية فى الزخرفة والجمال يقابل الداخل باب صغير في نهايتها فتحه لنا القسيس فانكشف عن حجرة صغيرة منارة بالشموع وبها تمثالان ليوسف النجار

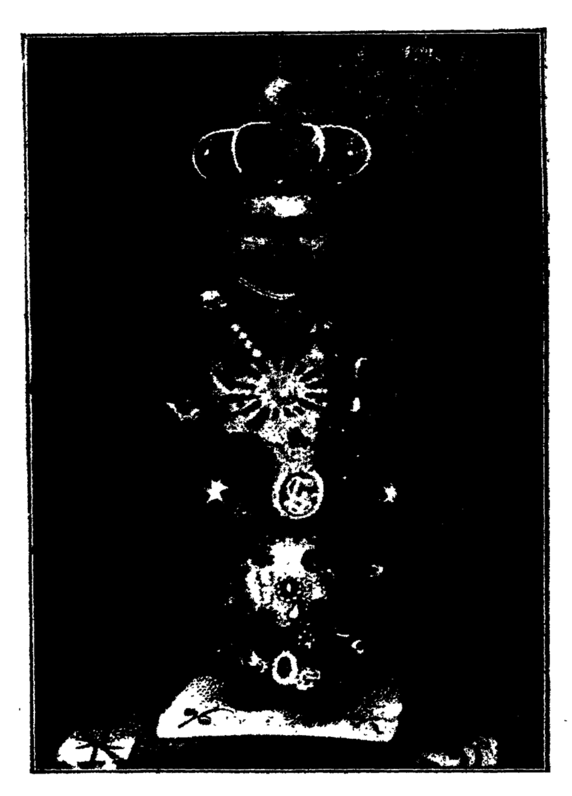
والقديسة مريم وبينهما تمثال يمثل المسيح وهو صغير وقد أدار القسيس يداً جعلت تمثال المسيح يخرج من بينهما أمامنا :

وهنا يأخذك العجب ويستوقف نظرك التاج الذى على رأسه المرصع بالماس الكبير والأحجار الكريمة اللامعة التى تخطف الأبصار بريقها ولمعانا ، ويكسو جسمه طبقة كبيرة من أنواع الحلى من سلاسل وساعات ذهبية وخواتم وخلاخيل وجميع مايمكنك أن تتصوره من أنواع الحلى المستعمل الآن

وهذه نذور وهدايا قدمت لتمثال المسيح وهي تقدر بمبالغ طائلة ، اذا استعملت فى عمل عادت بالفائدة وأنقذت كثيراً من الفقراء وأهل الحاجات والمعوزين .

هذا ولو أردت استقصاء كنائس روما ووصف مافيها لاستحال على ذلك ، ولفات الغرض من هذه العجالة ولا يتسنى لشخص أن يأتى على وصف نحو ثلثمائة كنيسة تحويها روما وحدها وكل كنيسة مختصة بميزة لا توجد بالأخرى لأنها بنيت يوم أن كان للدين سلطان قوى على النفوس واحترام أكبر شأناً وأعظم قيمة منه فى العصر الحالى. وليس فى الامكان الآن أن يؤثر الدين على الناس فيغريهم كما اغراهم قديما لجمع القناطير المقنطرة من الذهب والفضة فيشيدون بها كنائس تشابه كنائس رومة وغيرها من الكنائس التى لا تعد ولا تحصى فى أوربا خصوصا فى ايطاليا وروسيا

ولقد شاهدت من أهل روما حين زياراتهم الكنائس ووقوفهم أمام الهياكل والتماثيل خاشعين خاضعين تائهين فى بحار الأفكار كأنهم فى يوم حشر أكثر مما يدعو اليه الدين لأن ذهاب أصابع رجل تمثال مارى



صورة المسيح مغطى بالاحجار الكريمة

بطرس من تقبيل الزائرين وصعود الناس جاثين على ركبهم فى بعض سلم الكنائس وتقبيل أحجار درجاته وعدم السماح لاى زائر بالنزول منه ولا الصعود فيه إلا بالهيئة التى مر ذكرها ، ووفود الناس من جميع جهات الارض لحضور فتح الباب المقدس فى كنيسة مارى بطرس واعتقادهم ان أن المرور منه يوصل إلى الجنة مباشرة وغير ذلك من الأعمال البعيدة عن التعاليم الدينية السماوية على اختلاف أنواعها. وكنت أعتقد أن بعض عامتنا حين زياراتهم للأضرحة يأتون بأعمال ليست من الدين فى شيء وأنهم انفردوا بها دون غيرهم من الأمم الاخرى فاذا بهم دون غيرهم بمراحل كبيرة وإن أعمالهم وخرافاتهم إذا قيست بأعمال أهل ايطاليا مع انتشار التعليم فى بلادهم وتقدمهم ورقيهم لاتعد شيئاً مذكورا

قصر الفاتيكان

قصر الفاتيكان أكبر قصور العالم ، له مدخل بجوار كنيسة مارى بطرس غاية فى الفخامة والعظامة، محروسة أبوابه وطرقه وردهاته الواسعة بجنود ضخام الأجسام ، حسان الوجوه ؛ لهم أزياء مختلفة ، وأشكال منوعة والقصر فسيح الارجاء : لايدرك الطرف آخره ، لسعته وكثرة مبانيه الداخلة والخارجة ، يحوى نحو الف حجرة تختلف ضيقا وسعة ، كلها آية فى الزخرف والجمال ، الا انها غير متناسقة الاجزاء ، فانها لم تبن دفعة واحدة وعلى انموذج واحد ، بل بنيت اجزاء متفرقة ، فى ازمنة مختلفة ، ولذا لايجد الزائر تنسيقا وترتيبا ونظاما ، مايجده فى القصور الاخرى ، ولكن مهارة مهندسيها جعلت هذا النقص غير ظاهر

كان هـذا القصر صغيرا ، وكان مع صغره مسكن البابوات ، لان الدين على بساطته وتعاليمه القويمة ، كان مرتبطاً بالنفوس اشد الارتباط ، وكان البابوات بعيدين عن زخارف الدنيا ، متجردين عن حطامها ومتاعها ، سائرين على قدم السيد المسيح ، فقد سئل مرة عليه السلام لماذا لم تبن لك دارا تأوى اليها فقال ما معناه هل يحسن بالمسافر أن يبنى دارا فى طريق سفره ؟

واهم مافيه مصلى لاحد البابوات ، يسمى (سكستين) نسبة الى البابا سكسيت السادس الذى شيده ، وهو غرفة مستطيلة يبلغ طولها نحو عشرين مترا فى عرض أربعة عشر ، جدرانها مغشاة بنقوش اشهر النقاشين مثل (ميشل انج) يمثل فيها كيفية خلق الدنيا ، كما ورد فى التوراة ، وخلق حواء من أضلاعه والملائكة من حوله ، وسفينة نوح وهى تمخر عباب البحار ، وكيفية رسوها على الجودى ، وغير ذلك من خيالات المصورين .

وبجدرانها تاريخ موسى عليه السلام ، وتاريخ المسيح وصلبه وتقييده وسيلان الدم من رجليه ، وصعوده الى السماء .

وللقصر باب آخر خلف كنيسة مارى بطرس ، وهو الذى أعد لدخول السائحين ، يدفع الداخل منه خمس ليرات ، لبرى ماجمع من تحف أهم بلاد الآثار ففيه عدة حجر كبيرة جعلت للآثار المصرية ، غاية فى الابداع تبذ كل الآثار جمالا ، وبه بهو مستطيل جدا رسم فيه كثير من الصور الرمزية والحوادث التاريخيـة ، والواح كثيرة كبيرة منوعة ، رسمت فيها الاشكال والازياء قديما ، وعدة الواح كبيرة أيضا ، رسمت فيها أشهر أنهار

العالم ، حتى النيل بفروعه القديمة ، موضحا فيها ، كيفية الملاحة بالسفن الشراعية. واذا نظرت الى بعض صوره من بعد ، يخيل اليك انها حقيقية وتماثيل من الرخام والمرمر والجص منوعة كذلك بل لاحصر لها ، وفى نهاية هذه الردهة الطويلة التى يبلغ طولها نحو الخمسين مترا عدة حجر يفتح بعضها فى بعض ، غاصة بالصور والتماثيل الغريبة ، التى تدل على كثير من الحوادث التاريخية ، وعلى كيفية تسلط البابوات على جميع العالم واتيان الناس اليهم صاغرين خاضعين وفى بعض هذه الحجر عدة مصورين ، رخص لهم فى نقل بعض الصور ، فتراهم مجدين ، لا يلتفتون الى الزائرين لكثرة تأملهم ، وحصر افكارهم فيما يصورونه .

ومما هو جدير بالذكر من هذه الصور الكثيرة المنوعة صورة حريق فى احد محال رومة يندلع لهيبه ، والناس يفرون منذهلين خائفين . تلوح على وجوههم سيماء الذعر والاضطراب والبابا يشرف عليها من حجرة فوق كنيسة مارى بطرس ، مشيراً الى النار باصبعه ، فتأخذ فى الهبوط حتى تخمد ، مما يدل على مقدار اعتقاد الناس فيه وعلو منزلته عند الاله

وبهذه الحجرة عدة صور تمثل العلوم الرياضية والحكمة والفلسفة ، وللبابوات أن يفتخروا بما جمعوه فى قصرهم من معجزات الفنون الغريبة ، التى لا تعد ولا تحصى ، مما يحسدهم عليه الامراء والعظماء والملوك ، لان من يكون لديه صورة من صنع المصور العظيم روفائيل او ميشيل انج يعتبر نفسه اسعد الناس ، فما بالك بمن جدران غرف قصره وسقوفها مغطاة من صنع هؤلاء المصورين الذين بلغوا فى فنهم درجات الاعجاز ؟

وبقصر الفاتيكان مجموعة من الصور والتماثيل من صناعة الرومانيين

القدماء سواء وجدت فى المعابد الوثنية ، او فى اطلال رومة القديمة ، او فى مدينه بومبي ، وتزيد كل سنة مما يستكشف من اعمال الرومان ، تدل على أن المتأخرين من النحاتين والمصورين لم يأتوا الى الآن ، بمثل ما أتى به الرومانيون خصوصا ماوجد منها فى مدينة بومبي ونقل الى متحف نابلى ، فان الواصف يعجز عن وصف حسنها واتقانها وابداعها وجمالها الفنى .

ومما يلفت النظر حجرة كبيرة مقفلة لا تفتح الا فى اوقات معينة ، نزلنا اليها من الدور العلوى عدة درجات لا تقل عن الثلاثين ، آية فى الغرابة كانت مصلى لاحد البابوات ، مثل فيه الناس يوم الحشر ، وعرضهم على الخالق ، وظهور الجنة والنار ، والمقترفون للذنوب فى حالة الاضطراب التى تعترى الانسان عند قدومه على أمر عظيم ، واهل الجنة ، يلوح على وجوههم الفرح والسرور ؛ وقد اتيحت لنا فرصة لم تتح لبعض السائحين وهى رؤية اصطبل البابا ، فترى على يمين الداخل سيارة كبيرة ، يطوف بها البابا حديقته الواسعة ، التى تكاد لاتحد اتساعا ، ثم رأينا نحو تسع عشرة سيارة وعجلة ، مصفوفة عن يمين الداخل ويساره ، كلها آية فى الزخرف والزينة ، وكل عجلة داخلها كرسى مطلى بالذهب ، يجلس عليه البابا ، وامامه كرسيان لجلوس المقربين اليه من الكرادلة ، وقد انتهى بنا المطاف الى ام العجلات وواسطة عقدها ويبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة أمتار ، وهى مغشاة من الخارج بالذهب ، ومحلاة بالتماثيل البديعة ، التى يعجز الواصف عن وصف جلالها وعظمتها وهى التى يركبها البابا ، ايام الاعياد والاحتفالات الدينية ، وقد رأينا سرجا أهداه السلطان عبد المجيد أحد سلاطين آل عثمان الى البابا غاية فى الجمال محلى جميعه بالذهب والماس الكريم الذى يخطف الابصار

بريقا ولمعانا ، وكل هذه العجلات والسيارات لها سلم مطوى ينبسط عند ركوب البابا ، فيصعد عليه ليجلس على الكرسى المعد له . وقد سمح لنا بالركوب فى العجلة الكبيرة فداخلنا حينئذ الغرور واجسسنا الخيلاء . واذا اشرفت على حديقة الفاتيكان من أعلى قبة كنيسة مارى بطرس رأيت حديقة لايحدها البصر ، بها كثير من التلال المكسوة سقوفها واعلاها بانواع الازهار والاشجار ، تتخللها البحيرات الجميلة الترتيب والتنسيق ، تحفها الخضرة النضرة والازهار الجميلة المتنوعة يصدق فيها قول شاعر الشرق الكبير شوقى بك

ولقد تمر على الغدير تخاله　　　والنبت مرآة زهت باطار

يقطع البابا ودیانها وروابیها ، وانجادها واغوارها ، بسيارة خصصت للسير فيها ، فهو يقضى أغلب أوقاته فى متنزهاتها ، مستغنيا بها عما عداها فلا يخرج للنزهة الافيها ، ولا يركب زورقا الا فى بحيراتها ومجاريها، واعتقد أن أكبر ملوك الارض ليس بقصره حديقة تشابهها أو تدانيها . فهى جنة عالية قطوفها دانية . اكلها دائم . ظلها ممدود ، وطلحها منضود .

وبالجملة فالواصف القدير يعجز عن أن يوفى قصر الفاتيكان حقه من الوصف . مما يدل على ماللبابوات من السلطة على نفوس البشر ، وعلى مقدرتهم التى فاقت مقدرة الملوك العظام ، وعلى مالهم من المكانة والمنزلة فى قلوب المسيحيين

الكلوزيوم

عند ما تشرف على ظاهر البناء من بعد يهولك منظره ويأخذك العجب لقيام الرومانيين بمثل هذا البناء الضخم . وتستدل منه على ما كان لهم من صبر وجلد وعلو همة

وهو بناء ضخم جدا شيد على هيئة اسطوانة ويبلغ ارتفاعه عن سطح شوارع روما ثمانية واربعين مترا فى عرض سبعة وثمانين ومائة ، وهو يؤلف من اربع طبقات وفى وسطه مسرح يبلغ طوله نحو خمسة وثمانين مترا ، وداخله مدرج (انف تياترو) يسع نحو الخمسين الف متفرج ؛ وقد شيد خارجه بالاحجار الضخمة التى تقرب من احجار الاهرام بالجيزة ، وداخله بالآجر (الطوب الاحمر) وهو مقام على عدة حنايا (بواك) بنيت بالاحجار الضخمة ، يفصل كل حنية عن الاخرى ممر متسع يبلغ نحو ستة أمتار ، وله أربعة ابواب ضخمة جدا فى كل واحد منها سلم عريضة يصعدها الانسان ليصل الى درجات المدرج داخل الكلوزيوم فيشرف على المسرح ، وبين كل حنيتين باب اقل ضخامة من الاول ، وكله نوافذ من الخارج ، تصغر كلما ارتفع هـذا البناء حتى تصير كوة صغيرة ، ويخيل اليك بادىء ذى بدء انه قلعة عظيمة جدا ، شيدت لصد اكبر غارات الفاتحين

وقد تهدم اكثره الآن ،واخذت احجاره لبناء القصور والكنائس كما اخـذ منه جميع ما كان به من الرخام والبرنز والتماثيل ، وباسفله عدة اسراب ، شيدت بالاحجار الكبيرة ، اعدت لسجن اشد الناس اجراما ! وكذا لاعتقال الاسرى وبعض الحيوانات المفترسة التى اعدت لافتراس

المذنبين والمجرمين . وقد كان الكلوزيوم مشهدا عظيما لاقتتال بعض المصارعين أو مصارعتهم الوحوش الكاسرة ، فاذا تغلب المصارع على رفيقه وطرحه ارضا لا يمسه باذى ، الا باذن من الشهود الذين اشرفوا على المصارعة فان كان المغلوب قد احسن الدفاع عن نفسه ، اشاروا بالابقاء عليه ، وان اظهر الجبن والخور ولم يحسن الدفاع اشاروا عليه بقتله بلا رحمة

ومن عادة المصارعين أن يحيوا الامبراطور عند دخولهم المصارعة بقولهم (ان الذين سيموتون يقرئونك السلام)

وقد هيئت فيه امكنة لاعتقال المسيحيين وتعذيبهم وتقديمهم للوحوش المفترسة التي كانت تمزقهم شر ممزق ، على مرأى ومسمع من الرومانيين . ولا تأخذهم بهم رحمة ، ليقتلعوا اصول الدين من نفوس هولاء المساكين ، الا ان هذا الاضطهاد وذلك التعذيب الشديد وتلك الاعمال الوحشية القاسية لم تأت بفائدة ، ولم تضعف من قوة هذا الدين ، الذى كانت تعاليمه الحقة عالقة بنفوس القوم ، بل انتجت عكس ما يريدون فانه اخذ ينمو شيئا فشيئا الى أن اعتنقه الامبراطور قسطنطين وزوجته هيلانه المعتبرة فى نفس القوم قديسة يتبركون بها ، ولها عيد مخصوص يحتفلون به كل سنة ، وقبرها بروما فى كنيسة (سان جوانى دى لتران)

وكذلك كان مستعملا لمصارعة الثيران كما هى الحالة فى اسبانيا الآن فكان ملهى للامبراطور وعظماء الرومانيين يقضون فيه وقتاً طويلا لرؤية هذه المناظر الوحشية ، يميلون طرباً ويصفقون عجباً لمشاهدة الدماء تسيل من الحيوان أو بنى الانسان وسمى (بالكلوزيوم أو كاسيوم : لوجود تمثال نيرون الجبار فى جواره ، فقد كان يسمى « كلوس » أى الضخم العظيم)



داخل الكلوزيوم بروما

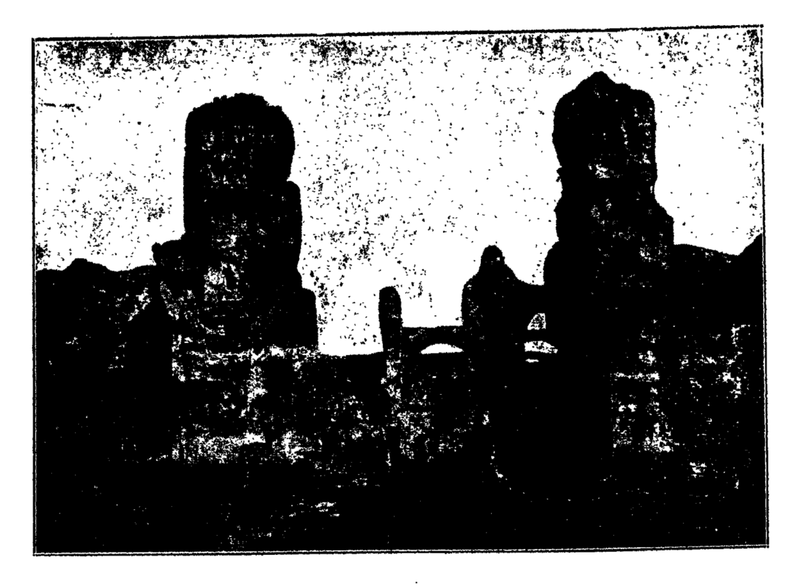
وهذا التمثال موجود الآن . ويقال ان الذى قام بتشييد هـذا البناء المظيم هم أسرى اليهود .

على أنى لا أعجب كثيراً اذا ضاهيت هذا الاثر العظيم باهرام الجيزة العظيمة ، وآثارنا الكثيرة المنتشرة فى الصعيد وفخامة القبور وزخرفها ، إلا ان هذا لا يمنعنى من الاعتراف للرومان القدماء بالسبق فى النحت والتصوير واتقان التماثيل والبلوغ بها فى الحسن والجمال الى درجة الاعجاز ، فان مايوجد بقصر الفاتيكان بروما ومتاحف نابلى وفلورنس والكنائس وغيرها من القصور ، لما يحير الانسان ويجعله عاجزا عن وصف حسنها !

حمام الامبراطور كركلا

هذا الحمام الكبير الواقع فى أطراف روما يصل الانسان اليه بعدسير نصف ساعة بالعجلة ، وقد امتطينا عجلة أوصلتنا اليه ، وهنالك هالنى منظره لكبره وسعته وضخامة بنائه مع أن اكثره قد تهدم

يدخله الزائر بعد ان يدفع خمس ليرات (خمسة قروش صاغا) فيرى عن يمينه ردهة واسعة جداً ، تبلغ مساحتها نحو ستمائة متر ، اعـدت لخلع ملابس المستحمين كما أخبرنا بذلك المترجم وعن اليسار ردهة أخرى اكبر من الاولى اتساعا ، يدخل اليها الزائر من باب ضخم عظيم الارتفاع والاتساع يناسب هذا البناء ، كانت تستعمل بعد الاستحمام للألعاب الرياضية بأنواعها وفى أعلاها عدة شرفات (بلكونات) يشرف منها الامبراطور (كوكلا) والامراء والوزراء على اللاعبين . ومن هذه الردهة يصل الانسان الى بناء واسع خلفها ، يحوى أربعة مغاطس للماء ، مصنوعة من الرخام



حمام كركلا بروما

فى زوايا هذا البناء . ومن هـذا البناء يفتح باب يوصل إلى ردهة واسعة جداً تبلغ مساحتها نحو سبعمائة متر ، تستعمل لرياضة النساء وألعابهن المنوعة ، وقد رأينا فيه آثار فرن كبير ، يولد تياراً من البخار الساخن ، فيه يدهن الجسم بالزيوت العطرية ، ثم يدلك بطريقة فنية كالتى تستعمل الآن فى بعض الامراض ؛ وحمام حار وآخر بارد يستعمل للسباحة ، وكانوا يستغرقون فى استحمامهم زمنا طويلا

وقد كان للحمامات أيام الرومانيين شأن كبير فكان الناس يقصدونها من جميع الجهات ، فيقضون فيها عامة اليوم ، وكان بها محال كثيرة للسباحة ومكاتب للمطالعة وقهوات وغير ذلك مما يسهل على المستحم قضاء يومه فى سرور وفرح عظيمين

وحمام كركلا أكبر حمام وجد قديما وحديثاً فانه يشغل مكانا مربعاً طول كل ضلع من أضلاعه ثلاثون وثلثمائة متر فى عرض أربعة عشر ومائة وكان به على ماذكر بعض المؤرخين ستمائة والف حجرة افرادية عدا الاروقة العمومية وكانت كل جدرانه مكسوة بالرخام وأرضه بالفسيفساء ، وكان مزينا بالنقوش والتماثيل البديعة وقد افرغ فيه الامبراطور أقصى همته ليجعله أكبر ملهى يقصده أعاظم الناس من جميع الجهات ولكن لم يبق الآن منه شىء إلا حوائطه المتداعية وأرضه الوعرة ، ورخامه المتكسر ؛ سطت عليه يد الزمان فقوضت منه الاركان ، وامتدت اليه يد الانسان فسلبته ما كان له زينة وفخرا فأصبح فى خبر كان بعد أن كان زينة البلدان

وقد كان يسع على ما قاله بعض المؤرخين ستة عشر الف مستحم فى

وقت واحد وكان أهل روما يقصدونه للهو واللعب والاستحمام وكذا ملوك نابلى للاقامة فيه بعض أيام تعد من أيامهم اللذيذة

الفورم

مبنى عظيم الاتساع تتخلله عدة ردهات ، وطرق واسعة مقامة على عدة أعمدة من الرخام وغيره، غاية فى الفخامة والعظامة ، وهو منخفض عن سطح شوارع روما ، طغت عليه يد الحدثان فحطمته تحطيما وأخذ مافيه من العمد الكثيرة والتماثيل المتعددة لاستعمالها فى تشييد الكنائس ، وبناء قصور الملوك ، ولم يبق منه الآن إلا انقاضه وبعض أعمدة محطمة فاذا اشرفت عليه من بعض نواحيه العالية رأيت عظمته وفخامته ، ينتشر السائحون فى نواحيه ، يتأملون سعته ومبانيه . وقد رخص لكثير من المصورين، فى رسم ما بقى من اطلاله فتراهم منكبين على تصوير مناظره ، تارة باليد وأخرى بآلة التصوير الشمسى. شيده قدماء الرومانيين ليكون محل اجتماع أفراد الأمة للمناقشة والمباحثة فى أمورها وأحوالها العامة ، وللانتخابات الدورية ، والمظاهرات السياسية وكل أمر يهم الامة ويرقيها ويعود عليها بالفائدة المادية والادبية

وكان به عدة محال للعبادة ، وبعضها لاجتماع أشهر تجار البلد ، وبعضها لاجتماع كبار رجال الحكومة

ويشطره ممر كبير مرصوف بالأحجار ،وعلى جانبيه طواران (تلتواران) وعلى ذلك الممر أقيمت عدة أقواس النصر، أقامها الرومانيون عقب انتصاراتهم على الأعداء تخليدا لانتصاراتهم وبقاء لذكرهم على ممر الدهور والاعوام

وبعضها باق للآن بحالة جيدة ، ترى على سطحه عدة نقوش ورسوم غاية فى الابداع ، وهو قوس قسطنطين أول من اعتنق النصرانية من الملوك الرومانيين وهو الذى بنى القسطنطينية ، وقد ذكر بعض المؤرخين سبب تنصره ننقله للقراء استطرادا (قالوا انه كان يحارب منافسا له على الملك اسمه (مكسنس) وكاد هذا يتغلب عليه ، وقبل ليلة الموقعة الفاصلة، ظهر له السيد المسيح عليه السلام، ووعده بالنصر والفوز إن هو اعتنق الدين المسيحى فاستيقظ قسطنطين من نومه معتقدا ألوهية المسيح . فحارب عدوه فكان النصر حليفه فتنصر هو وجيشه) ومن ذلك العهد ارتفع الضغط والاضطهاد عن المسيحيين ، وقد حول كثيرا من معابد الوثنيين الى كنائس وبنى هو كنيسة فى جانب من الفورم باقيا منها الى الآن ثلاث قباب غاية فى التناسب والزخرف ويقال ان كنيسة مارى بطرس بقيت على حالها

وعلى جميع سطوح الاقواس الباقية الى الآن نقوش بارزة ، تمثل الوقائع الحربية وانتصاراتهم المتعددة

ومابقى من تماثيل الفورم سالما نقل اغلبه الى متحف الفاتيكان والى متاحف المدن الاخرى ، وهى اجمل ما فى المتاحف

وأغلب مافى روما من اعمال الرومانيين القدماء خربته الامم الشمالية التى أغارت على رومة ، ومابقى منه امتدت اليه الايدى فسلبت محاسنه ، والبعض منه طمسته الاتربة والانقاض ، وبقى زمناً طويلا ، حتى قام جماعة من المغرمين بالبحث عن آثار روما القديمة فاخذوا يحفرون الارض ويرفعون الاتربة المتراكمة ، وأقاموا ماوجدوه من الاعمدة حتى يعيدوا اليه منظره وبهاءه ، ونقلوا كثيرا من النفائس ذات القيمة التاريخية

قصر الملك

يرى القصر من الخارج معطلا من الحلية ، والزخرف والتماثيل التى تكثر عادة فى قصور الملوك ، خصوصا فى ايطاليا ، إلا أن داخله يذهل العقل ويحير الالباب ويستوقف النظر

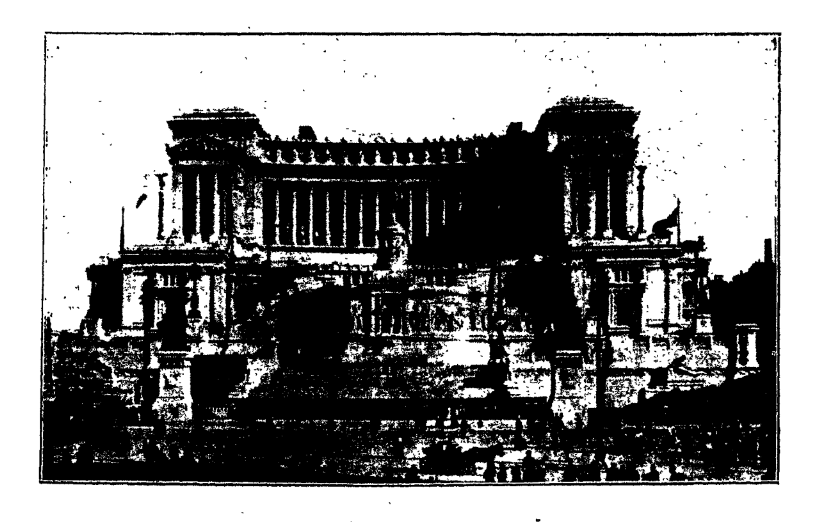
وللسائحين اهتمام خاص بمشاهدته ، ولكنه لا يفتح لهم الا مرتين فى الاسبوع مقابل كل زائر ليرتين ، وانك لترى مدخله فخما جليلا ، وله سلم عريضة من الرخام البديع مكسوة درجاته كلها ، والترخيص يسبق الزيارة بيوم أو يومين ، ويرى الزائر له حجرة هى غاية فى الزينة والزخرف ، مموهة بعض جدرانها وسقوفها بالذهب ، محلاة بالتماثيل والصور البديعة الصنع والاتقان . ، والتى تدل على رموز مختلفة ، بين حربية ودينية وسياسية وبالحجر الاثاث الفاخر من البسط والثريات الضخمة والطنافس والارائك والتحف التى لا تعد ولا تحصى ولا سيما فى الحجر المعدة لجلوس الملك والوزراء فانها آية فى الغرابة والابداع

وقد أدى بنا المطاف ، الى حجرة الجلوس بعد الفراغ من تناول الطعام وهى حجرة يقف الزائر أمامها حائرا ذاهلا ، لكثرة المرايا والتماثيل الكثيرة تحمل سقفها اعمدة محلاة بالذهب ، وكلما وصلنا الى حجرة نعتقد أنه لا يوجد أحسن منها ، فلا تلبث أن تظهر لنا الغرائب والعجائب من حسن الحجر وزخرفها وجمال تماثيلها وتنسيقها وترتيبها ، ولذا تجد أبصار السائحين معلقة شاخصة الى سماء الحجر كأنهم قوم موسى ينظرون الى الصخرة التى هددهم البارى بها ، لا يلتفتون الى من بجوارهم ، لكثرة التأمل والتفكير

وكيف وصلت يد الانسان وفكره الى ابتداع ماوجد فيها من التماثيل والصور والنقوش التى ترمز لحياة كثير من ملوك روما ، وما كانوا عليه فى حروبهم واحتفالاتهم وانتصاراتهم ، ومن أين أتت كل هذه الاموال ، التى ساعدت على ابراز هذا الحسن والكمال والجمال

والذى يلفت النظر بنوع خاص حجرة الملك التى فيها يقابل الزائرين ، فان الواصف مهما اوتى من سعة الاطلاع ودقة الوصف ، لايتسنى له أن يوفيها حقها من الوصف . ولا تقل عنها كثيرا حجرة انتظار الامراء والعظماء . وما زلنا ننتقل من حجرة الى حجرة وسط زحام السائحين تتناكب وتتساند يدفع بعضنا بعضا لشدة الزحام حتى وصلنا الى حجرة كبيرة جداً مستطيلة فخمة اعدت لصلاة الملك قد رسمت فى صدرها صورة السيد المسيح عليه السلام ، عن يمينه ويساره الحواريون بصور بديعة ، يخيل للناظر اليها أنها خارجة عن الحائط وهى ليست بخارجة ، ولذا كنت لاأصدق انها صورة حتى المسها بيدى ، فتظهر لى الحقيقة كلها ، وهى مصنوعة من الفسيفساء الجميلة . وقد دخلنا بعد ذلك حجرة واسعة مربعة الشكل ، رسم على جدرانها صورة حرب الايطاليين والطرابلسيين ، وكيفية انتصارهم وأخذ بعض أهل طرابلس رجالا ونساء وأطفالا وأمراء وعظماء وقوادا أسرى بأزيائهم وعاداتهم ، بحالة ذل وهوان وغير ذلك مما لاقدرة لواصف على وصفه ، وتصوير حقيقته للقارىء . وبالقصر حديقة اشتهرت فى روما بالحسن والجمال وهى غاية فى حسن التنسيق والترتيب

وقد كان معنا فى هذه الزيارة كثير من المصريين ، منهم حضرة الدكتور الشوربجى وحضرة اسماعيل محمد بك ممثل مصر فى ايطاليا ، وحضرة



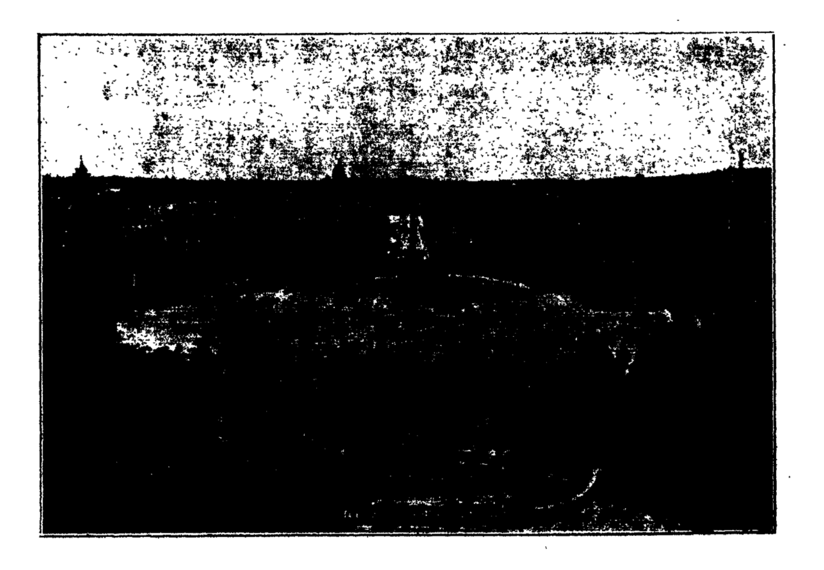
« تمثال فكتور عمانويل الثاني بروما »

الشيخ الخولى امام السفارة فى روما ، وان مافى هـذا القصر من الصور والتماثيل والنقوش البديعـة والزخرف والزينة لايقل كثيرا عما فى قصر الفاتيكان

ميدان الشعب

ميدان فسيح الأرجاء ، متسع النواحى ، واقع شمالى رومة ، أقيمت فى وسطه مسلة مصرية بجانبها نافورتان تقذفان الماء من أفواه تماثيل من السباع. والمسلة مقامة على قاعدة واسعة جداً كالمسطبة، يجلس عليها الناس ، لمشاهدة صعود المياه من النافورتين المذكورتين ، وفى شرقى الميدان وغربيه نافورتان أخريان يخرج الماء منهما على منبسط من النحاس (صينية) لينحدر من جميع النواحى . ويحيط بهـذا الميدان سور من الشرق والغرب ، أما من الجهة الشمالية فتفتح فيه ثلاثة أبواب ضخمة وسطها باب عظيم الاتساع كان يقفل قديما من الساعة السادسة مساء ؛ فلا يدخل أحـد من السكان ولا يخرج ، ويتفرع من جهته الجنوبية ثلاثة شوارع مهمة الاوسط منها أطولها وأعظمها ، ويسمى شارع (الكورسو) وبه أهم الحوانيت المكتظة بالسلع الغالية ، والقهوات الجميلة ، فهو مركز حركة المدينة ، وفى طرفه الآخر ميدان البندقية ، وبه مجتمع خطوط الترام ، وبالقرب من هذا الميدان تمثال هائل للملك فكتور عمانويل الثانى

وفى الشمال الشرقى من الميدان المتقدم متنزه متسع جميل جداً يسمى (بتشو) غرست أشجاره الضخمة ، وأزهاره الجميلة المنوعة على تلال عالية ؛



« ميدان الشعب بروما »

يصعد إليه بطريق حلزونى ، سهل الميل ، تصعد فيه العجلات بسهولة ، واذا صعدت إلى أعلاه أشرفت على المدينة كلها ، ورأيت سطوحها ومبانيها تحت نظرك ذات منظر بهى جميل

مشاهدة الاحتفال فى ميدان الشعب

وبعد تناول العشاء ذهبنا لنرى احتفال الامة والحكومة بمساعدة الانسانية فى اشخاص من اصيبوا فى الحرب بعاهات مستديمة ، فوجدنا الشوارع الثلاثة الموصلة لميدان الشعب مسدودة بثلة من الجنود والشرط الفاشستى ؛ لايسمحون لاحد بالدخول الا بعد ان يدفع خمس ليرات ، اذا لم يكن من الجنود ، فدفعنا مايدفعه الاهالى ودخلنا الساحة حيث كانت الساعة التاسعة والنصف مساء ، فوقفنا فى الساحة بين الجماهير الذين لا يحصون عدداً ، وقد حدث من العامة فى هذا الاحتفال الكبير الصفير والصراخ والجلبة كما يحدث عندنا فى الاحتفالات العامة

وما زلنا منتظرين بين هذه الجموع التى لاتقل عن مائة الف نفس مابين رجال ونساء واطفال ، والصغار يلحون فى أثناء ذلك بالبدء فى الالعاب كما يفعلون فى مسارح التمثيل عندنا حتى وافت الساعة العاشرة ، وهنا انطلق مقذوف فى الجو احدث فرقعة هائلة ، اضطرب لها كل المتفرجين ثم ابتدأت النيازك (السواريخ) تتابع ، كما يفعل عندنا فى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وانما ظهرت أشكال وانواع فى هذه الالعاب لم ارها من قبل ، ظهر فيها صور راكبي الدراجات يتسابقون حول دائرة فمنهم من سبق ومنهم من وقع ، ومنهم من عثرت دراجته فصار يعالجها معالجة كبيرة ، مما جعل

المتفرجين يغرقون فى الضحك وبعضها تسبح الاسماك فيها ، وصور الطيور من النار تحلق فى الجو . وفى لعبة ظهرت صورة الملك ، وبجواره السنيور موسولينى ورجال الفاشستى ، فاخذ الناس هنا فى التصفيق الحاد ، وغيره مما لفت الانظار . وفى أثناء ذلك تشق مقذوفات نيازك أخرى بطون الجو ويتولد منها عدة كرات مختلفة الالوان والاشكال ، تحدث فرقعات منوعة ، ثم تنتهى بفرقعة هائلة لها دوى يزعج الناس ويجعلهم ينكمشون من شدة دويها ، وتتخلل كل ذلك أنغام الموسيقى المشجية. ثم انصرفنا حين وافت الساعة الحادية عشرة ولم تنته بعد

فقلت بالله ما أسرع الأمم المتمدينة الراقية الى مد يد المعونة إلى أبنائها البررة الذين فقدوا لذة الحياة من أجلها وأصيبوا بداء عضال فى ميدان التضحية والمدافعة عنها فهم الآن يقابلونهم بعطفهم ، ويخففون ويلاتهم بجودهم وكرمهم، ويجففون دموعهم بسخائهم وذهبهم، ويردون غائلة الفقر عنهم بحنوهم، وينزعون من صدورهم الغل بمساعدتهم

فلا برجيزى

وبجوار ميدان الشعب متنزه (بورجيزى) وهو متنزه واسع لا يدرك الطرف آخره ، ذو اشجار ضخمة وأزهار كثيرة ، وطرق متسعة ، وحشائشه جمة ، يقصده كل من يريد استنشاق الهواء العليل ، به محال للحيوانات البرية المتوحشة ، يحيط بها سياج من الحديد المتين ، وبه متحف جميل يدخله الزائرون مجانا ، فيرى فيه ما اخترعه اهالى ايطاليا من المصنوعات داخل بلادهم وخارجها ، مما يدل دلالة واضحة على ذوق الايطاليين فى الرسم والتصوير ، واعتنائهم بعرض مايصنعه المهاجرون الايطاليون حتى يتمثل

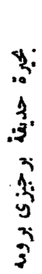
امام الناظر صورة الجمال الفنى الايطالى

والمتنزه كبير المرتفعات والمنخفضات داخله قهوات وبارات وملاه كثيرة متعددة منوعة ، وبحيرات تسبح فيها الطيور والاسماك ، وبه عاديات الرومان القديمة المشتملة على أدق التماثيل واحسنها وأكبرها حجما ، وتنتشر به الناس عصرا انتشار الجراد يستظلون بظل اشجاره الوارف ويوغلون فى عطفاته ومنحنياته ، ويصعدون سلالم جميلة ليصلوا الى أشجاره وازهاره المغروسة فوق تلاله وهضابه ، ثم ينزلون من أخرى ، وتخترق فجاجه المتسعة وطرقه المتعددة السيارات والدراجات والعجلات ، وقد يضل السائر فيه لسعته وكبره وكثرة مسالكه وتشعب طرقه

وقد عنى بالجزء المجاور لميدان الشعب ، فنسق احسن تنسيق ، ورتب أحسن ترتيب وظهرت ازهاره بجمالها البديع ورونقها الجميل ، يشتمل على ابهى المسالك وأحسن الطرق المرصوفة بدقاق الحصى ومستوى الاحجار ، وأقيمت فى طرقه وجوانبه افخم التماثيل لاعاظم الرجال

ومن حسن المصادفة انى دخلته يوم الاحد وهو يوم احتفل فيه باعانة من أصابتهم الحرب بعاهة مستديمة ، فانتشر فى طرقاته الشرطى الفاشستى بملابسه الزرقاء والسوداء ، فلبس حلة من الزينة ، وبرز فى ابهى مناظره ، وهم يغدون فى طرقاته ويروحون وقد علمت من هذا أن الاحتفال سيكون الليلة فى ميدان الشعب

وهنا اختتم الكلام على مشاهد روما مقتصراً على ما يهم القارىء ، مقراً بعجزى عن وصف ما رأيت معترفا بتقصيرى لان للرومان من الآثار والمتاحف ما يملأ وصفها المجلدات



بحيرة حديقة برجيزي برومه

من روما الى فلورنس

لما اعتزمنا السفر الى مدينة فلورنس ركبنا عجلة من الفندق حين كانت الساعة الرابعة والنصف مساء . ولما وصلنا الى محطة روما وأردنا الدخول لركوب القطار حجزوا بعض حقائبنا . وهذه أول مرة فيها تصدوا لنا فى سفرنا فأخذوا الحقيبة الكبرى . وجعلوها طردا بعد أن دفعنا أجرتها ست عشرة ليرة . ثم انتظرنا فى القطار حتى وافت الساعة الخامسة والنصف . وكان هذا اليوم من أشد الايام التى رأيناها فى روما اذ كانت الاعاصير شديدة والجو مجللا بالغيوم . فانتظرنا منه شرا وفيراً . ومطراً غزيراً . وقد قام القطار من المحطة التى لاتضارع محطة القاهرة فخامة وسعة وعظمة يخترق أرضا ليست خصبة بل كلها تلال ووهاد ووديان ومزارع حقيرة ، يرتعيها البقر الابيض الذى يشوب بعض جلده الكدرة والخيول الحمراء وبعض الاغنام . فتارة يعلو بنا وتارة ينحط ، وأخرى يجتاز نفقا وطوراً يسير بين تلين عظيمين يكاد القطار يحف جوانبهما .

واذا نظرت إلى الأرض من بعد لا تجد بها جزءا مدحوراً بل جلها تلال ووهاد وجبال تكسو سطوحها الاشجار الكثيفة ، والوديان تجرى بها مياه الامطار ، نقطع فجاجها على قناطر معلقة فوق مجاريها فيحدث من كل هذا منظر بهى ، ترتاح اليه النفس ، وتسر منه العين . ولو سرحت نظرك فى عمرانها لوجدت القرى الجميلة منتثرة على سفوح الجبال وفوق التلال وفى بطون الوديان ، لها طرق ممهدة جميلة تحفها من جانبيها الاشجار الباسقة فيخيل اليك أن القاطن بها لا يشكو مرضا ولا علة . تنتشر بها

المصابيح الكهربائية ليلا فى طرقاتها وشوارعها فتحدث منظرا بديعاً . ولو وجدت هذه القرى مع مناظرها وتلالها وجبالها فى بلادنا لكانت مصيفاً شهياً ، تشد اليه الرحال من كل صوب وحدب

ولو ضاهيت قرانا بها لوجدت البون شاسعا والفرق عظيما : هذه بؤرة القاذورات ، ومسرح الجراثيم القتالة والامراض ، وعنوان التأخر فى الصحة والانحطاط ، بعيدة كل البعد عن كل معدات النظافة : شوارع ضيقة وأزقة قذرة واكوام من الاوساخ والاقذار متراكمة أمام المنازل وفوق السطوح وفى كل ناحية سلكت . أما تلك فهى عنوان الرقى والحضارة ، شيدت على نظام بديع ، وترتيب جميل . تكاملت فيها شروط الصحة . تحف بها الحدائق من كل جانب ، وتعلو نوافذها الأزهار والاشجار الجميلة ذات الرائحة الزكية . يشتهى الاقامة بها كل انسان من غير أن يشعر بسآمة ولا ملل

وبعد أن سار القطار بنا نحو ساعتين فى تلك المناظر والمشاهد الجميلة قصف الرعد وزمجر . ولمع البرق وأنذر . فاعقبهما هطول الامطار التى كانت تكثر فى طرقات القطار . فتتسرب الى الحجر . والسقف من فوقنا يخر والبرد آخذ فى الشدة ، فامسينا فى شتاء وبرد قارس

ولو كان القطار مزدحما بالركاب لأصبحنا فى حالة ضيق وعناء لأنا كنا ننتقل من المكان المبلل الى الجفاف

ولقد عجبت كثيراً لحكومة متمدينة من شأنها أن تسهر على راحة

الامة تهمل حالة السكك الحديدية الى هذه الدرجة الممقوتة ، فلا تحتاط لمنع تسرب الامطار من سقف المركبات على الراكبين ؛ مع علمها بكثرة حدوث الامطار فى بلادها . وقد كان القطار بعد أن يقطع شوطا كبيرا يقف على محطات لا تضارع محطات بنها وطنطا وكفر الزيات وغيرها ، بل كلها قرى صغيرة ليست ذات قيمة ؛ خالية من كل أسباب الراحة : فلا تجد فيها من الباعة غير بائعى الخبز المحشو بلحم الخنزير (سندوتش) فاذا جاع المسافر فلا يجد ما يمسك به رمقه . ولقد ظمئت فبحثت عن ماء فلم أحصل الا على زجاجة ماء معدنى بعد انتظار كبير من محطة الى أخرى . وهذا الماء المعدنى لم استمد شربه فكنت أتجرعه ولا اكاد اسيغه ولكن :

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وتوجد مركبة أكل فى كل قطار الا أنها لا تفتح إلا فى مواعيد تناول الطعام فالحصول على شىء منها متعسر فى غير تلك المواعيد

وقد أخذ المطر يزداد شيئاً فشيئاً حتى انهال علينا من فوقنا ومن تحت أرجلنا فابتلت ملابسنا فوقفنا فى ناحية من المركبة تفاديا من الخطر وماء المطر وما زلنا كذلك حتى وصلنا الى محطة فلورنس فى الساعة الثانية عشرة ليلا فقابلنا مندوبو الفنادق على المحطة . فاخترنا ان ننزل فى فندق (انجلو امريكان) فركبنا عجلة سارت بنا فى شوارع هادئة ساكنة قد بللها المطر ، فامست لامعة بديعة المنظر ؛ حتى وصلنا إلى الفندق . فقابلنا أحد المستخدمين بنشاطه فتسلم حقائبنا بعد أن نقدنا الحوذى ثمانى ليرات . وأصعدنا فى الرافعة إلى الطابق الثانى . وأدخلنا حجرة جميلة الشكل مفروشة ببساط

جميل فغسلنا وجوهنا ونمنا مستريحين إلى الصباح . وبعد أن استيقظنا من النوم وتناولنا طعام الافطار . قصدنا مدير الفندق لنعلم منه مقدار أجرة المبيت وقيمة طعام اليوم . فاخبرنا أنها ست وسبعون ليرة وقد كنا قرأنا فى الجرائد أنها لا تزيد عن خمس وخمسين ليرة ، فاخبرناه بذلك ، وما زلنا به حتى اجابنا إلى طلبنا ، خاليا من ضريبة الحكومة والخدم ، وهى عشرة فى المائة لكل منهما. والفندق جميل جدا ، ومن أعظم الفنادق فى فلورنس من حيث الموقع والأجر والطهى. ولذا تجده دائما غاصاً بالسائحين خصوصا الامريكان الذين لا يخلو منهم مكان . وجميع حجره مفروشة بالابسطة الفاخرة ؛ وأسرته غاية فى الجمال والنظافة. بها صنبوران احدهما للماء البارد والآخر للساخن . وأثاثها من أفخر الاثاث. وبه ردهة واسعة جداً ، تزينها عدة أشجار جميلة ومعزف تعزف عليه الامريكيات ، ويرقصن على نغماته الشجية . وبه مكان مخصص لمطالعة الجرائد والمجلات ؛ وآخر لكتابة الخطابات ، وغير ذلك مما يريح السائح ويسر نفسه ويشرح صدره . وخدمه غاية فى النظافة والنشاط ، يلبون دعوة الداعى بنشاط ولطف. ومما يستحق الذكر أن أخلاق أهل فلورنس تخالف أخلاق أهل نابلى لما فيهم من اللطف والذوق والهشاشة وليس لهم جفاء أهل روما ولا فظاظة أهل نابلى . وأصحاب الحوانيت منهم يقابلون الزائرين بوداعة ، ويعرضون عليهم سلعهم بهمة ونشاط ورغبة ، ويريحون الشارى ويبحثون عن رغبته بدون ملل

فلورنس

هذه المدينة واقعة فى سهل منبسط ، ولذا تجد شوارعها وطرقاتها مستوية ، ليس بها ارتفاع وانخفاض كشوارع روما ، ممتدة من الشمال الى الجنوب ، بين جبلين قد كسيت سفوحهما وقممهما بالاشجار الباسقة

يشقها نهر ارنو فيشطرها شطرين عظيمين، تزين شواطئه المبانى الفخمة والقصور المشيدة والاشجار الظليلة ، وماؤه هادىء الجريان ، يعبره الانسان خائضا فى بعض نواحيه ، ويربط أجزاء المدينة بعضها ببعض عدة قناطر مقامة عليه تقابل كل شارع قنطرة يعبر عليها الى الجهة الاخرى

ومن أبهى القناطر وأحسنها قنطرة شيدت عليها المبانى من ناحيتها يمر وسطها شارع جميل فتحت فيه حوانيت كثيرة ، ملئت بالنفائس والجواهر والحجارة الكريمة ، لان السائحين يعبرونها ، ليروا بعض الآثار فى الجهة الاخرى ، فيعرض أهل فلورنس نفائسهم فيشترون منها مايروقهم

ويسمى الايطاليون هذه المدينة (فلورنس الجميلة) وهى جديرة بهذا الوصف ، لانها من أجمل مدن ايطاليا . بها كثير من الدور الفاخرة التى تنافس فيها اسرياء اهل ايطاليا قديما ، فظهرت فيها آيات الزخرف والزينة والرسم والتصوير والنقش، ولارباب الفن فيها من مثالين ونحاتين ومصورين ذوق مشهور ، بها قبر المصور الشهير (ميشل انج) اكبر أساتذة الرسم والنحت

وقد نبغ من أبنائها كثير من تلاميذه ، يقصدها اولو الفن والعرفان

من جميع أنحاء المسكونة ، لمشاهدة ماتحويه دورها من معجزات التصوير والتمثيل ، واتخاذها نموذجا حسنا ينسجون على منواله

ولقد يشاهد المتجول فيها من بعد جبال الالب العظيمة ، تتقدمها تلال وهضاب عظيمة على مقربة من المدينة ، وهى الضواحى التى اشتهرت عنها ، بها قصور الاغنياء والموسرين من أهل فلورنس والاجانب خصوصا الانكليز فانهم يقصدون هذه الضواحى فى أيام عطلتهم. ومن أحسن ما يرى فى هذه الضواحى تمهيد الشوارع فى هذه التلال العظيمة بحالة معوجة حلزونية ، بحيث يسهل فيها سير العجلات . فيرى السائر فيها مناظر بديعة منوعة من صفوف الاشجار وتنسيقها والازهار وترتيبها التى لا نظير لها فى مدن ايطاليا

وخارج هذه المدينة متنزه جميل مستطيل الشكل يسمى (كاشينى) به كثير من الاشجار والأزهار . يجتمع به خلق كثير لاستنشاق الهواء النقى . وتصدح فيه الموسيقى ظهر كل يوم

وبالمدينة من الطرف الآخر متنزه غرست أشجاره وأزهاره على تل عال يصعد اليه الانسان فى شوارع وطرق معوجة بعضها فوق بعض . تمكن الراجل والراكب أن يسير فيها حتى يصل الى قمتها بعد دوران كبير . وتصعد الى نهاية هذا التل المركبات الكهربائية . وقد ركبنا قطاراً من قطر الترام فسار بنا بين خمائل وحدائق غناء . أغصان اشجارها المشتبكة تكون فوق رؤوسنا سقفا من الخضرة . فالسائر فيها تحفه الاشجار والازهار ، كأنها تداعبه وترحب بقدومه . وما زلنا سائرين مسرورين من هذه المناظر الجذابة حتى وصلنا الى أعلاه فالفينا فيه

ميدانا متسعا يسمى (ميشل انج) تمثاله قائم فى وسطه غاية فى الابداع ، وقد اخذت صورتنا الشمسية فيه .

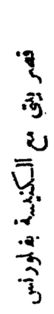
ومن هـذا الميدان أشرفنا على جميع منازل فلورنس ، وهنا يسرك منظرها الجميل ، وقد يتهيأ للناظر تحديدها والاحاطة بجميع منازلها وضواحيها فترى منظرا جميلا بديعا تقف أمامه ذاهلا . ومما يزيد الجمال والبهاء كثرة الحدائق والازهار والاشجار التى تصعد متدرجة من أسفل التل الى أعلاه والمنازل المنتشرة هنا وهناك على قمته وسفحه ، تشبه كثيراً منازل سويسرا فوق سفوح الجبال وقممها . وللمنظر اثر فى النفس لا يقوى الواصف على وصفه فانه آية فى الغرابة والابداع ، ولم اشاهد منظرا مثله الا فى نابلى وسويسرا فان المبانى منتشرة فيه بيضاء كالحمائم الحائمة

ويمكن أن يقال إن ضواحيها من أحسن المصايف فى العالم يصح أن يقصدها كل عليل ، ليستنشق هواءها الجميل ، وقد دعانى جمال المنظر أن انزل من هذا الميدان راجلا فاتبعت طرقه المتعرجة الجميلة المحاطة بالاشجار والازهار ، فاذا هى من أبهى مايكون. ويزيد جمال فلورنس جمال ضواحيها فانها من أحسن ما اكتحلت بمرآه العين

أهم آثار فلورنس ومتاحفها

متحف بيتى

أول زيارة ابتدأنا بها فى مدينة فلورنس متحف قصر بيتى الملكى . وهو من أجمل القصور التى رأيتها . يفوق من جهة الزخرف والزينة والنقوش قصر الملك بمدينتى نابلى وروما . وهذا القصر شيده تاجر قـديم ذو ثروة



قصر بتي مع الكنيسة بفلورنس

طائلة عقب حديث دار بينه وبين محدثيه فى فخامة القصور وزخرفها ، خلف ليبنين قصرا لا نظير له فى ايطاليا ، فشيده وزخرفه وزينه ونسقه حتى فاق جميع قصور الملوك فى رومة . وقد تم بناؤه فى القرن الرابع عشر . وهو الآن ملك الحكومة ينزل الملك الحالى فى جناح منه حين زيارته مدينة فلورنس . وان ماحواه هـذا القصر من آيات الحسن والجمال لما يدهش الناظر

وقد زرناه فى يوم كثير الامطار فى جمع كبير من سياح الأمريكان وغيرهم . دخلناه من باب كبير يحرسه جندياز من الفاشست . والداخل اليه يدفع ثلاث ليرات ، ويأخـذ ورقة تسوغ له الزيارة . ثم صعدنا الى الطبقة العليا وهى أهم مافيـه . تحوى حجره بدائع ونفائس الفن وشيئا كثيرا من الصور الزيتية ترمز الى حالة دينية أو سياسية أو حربية أو زراعية . وجميع سقوفه مغشاة بالذهب . وفيه عدة دمى منوعة محكمة الصنع بالغة من الاتقان كل مبلغ. وكل حوائطه مغطاة بالصور التاريخية من الجدار الى السقف . وهى غاية فى الابداع والقيمة الفنية . وكلما انتقلنا من حجرة الى أخرى أخذنا العجب لكثرة مافيها من الصور الغريبة والاشكال البديعة وكان فى اكثر حجره رسام أو رسامة من عشاق الفن . وكل مكب على رسم بعض صوره البديعة . وبعضهم يبيع للسائحين مايريدون من الصور واغلب المشترين من الامريكان الذين يتفاخرون باقتناء الصور والتماثيل . وسقف كل حجرة من حجره قبو تزينه التماثيل الداخلة والخارجة فيه وكل حجره تسمى باسم مأخوذ مما بسقفها من النقوش الخيالية فالاولى تسمى قاعة المشترى والثانية قاعة آلهة الخصب وهكذا

واغلب هذه الصور للرسام الذائع الصيت (روفائيل) وقد تفنن فى رسم عشيقته الجميلة التى هام بحبها زمناطويلا ، ويقال إن حبها من الأسباب التى قربت أجله ، فمات عن سبع وثلاثين سنة بلغ فيها من اتقان الرسم مالم يبلغه رسام قبله ولا بعده . وقد احصى بعضهم صور هذا المتحف فبلغت نحو خمسمائة

وكل صورة من صوره لهـا دليل يشرح تاريخها وما رمز اليها من المعانى الخيالية أو الحقيقية . وإن هذا القلم الضعيف ليعجز كل العجز عن وصف ما أبرزته يد الانسان من بلوغ درجة الاعجاز فى الزخرف والزينة والتصوير

ولا أبالغ اذا قلت إذا أراد الانسان أن يقف على ماحواه هذا القصر الفخم فلا يتسنى له ذلك الا أن يحضر بنفسه ليشاهـد ما لم يقو انسان على وصـفه مهما أوتى من سلامة ذوق وحصافة عقل وفصاحـة لسان وحسن بيان

قصر بلاتسى فيكيو (القصر القديم)

بنى هذا القصر القديم فى القرون الوسطى . وهو آية فى الفخامة والعظامة . شيدته أسرة قديمة حكمت فلورنس عدة اجيال . دخلنا فيه بعد أن دفع كل واحد منا ثلاث ليرات . وبعد أن صعدنا على درجات سلم من الرخام قابلتنا حجرة كبيرة جدا مستطيلة الشكل ، مرتفعة السقف ، حيطانها وسقوفها محلاة بالصور الزيتية . واكثر هذه الصور تدل على ما كان لهذه الاسرة

من الشأن الاكبر فى الحروب ، وتغلبها على اعدائها . بعد اشتبا كها معها فى عدة معارك ووقائع هائلة . ومع ارتفاع هـذا السقف فان ابوابها واطئة جداً لا تناسب ضخامة هـذا البناء ، وهى تشبه كثيراً الابواب فى المنازل الانكليزية .

ومما يلاحظ أن سقفها قائم على الكتل الخشبية كما كانت الحالة قديما وهى تدل على القدرة والعظمة والابهة . وفى نهايتها الشرقية عند مدخلها تجد بناء مرتفعا قليـلا عن سطح الحجرة . ودخلنا حجرة أخرى بديعـة الشكل والجمال والزخرف علق على حيطانها الواح من الخشب رسم عليها أشهر أنهار العالم، ومن جملتها نهر النيل العظيم. وقد ارتاحت نفوسنا كثيراً لرؤيته . وسررنا لمشاهدته . وقد رسمت افرع الدلتـا وترعها بحالة تخالف هيئته الآن . ويظهر أنه رسم بحالة تشبه حالته عند قدماء المصريين .

ثم صعدنا الى حجر كثيرة ، بها أثاث وكراسى مما كانت تستعمله هذه الاسرة ،وكذا عدة صناديق للنقود ، وأشياء كثيرة منوعة ، غاية فى الجمال والقيمة التاريخية والفنية . وفى حجرة صغيرة مظلمة تضاء بالشمع صورة السيدة مريم والسيد المسيـح . وهما آية فى الحسن والجمال . يراها الناظر من بعد، كأنهما حقيقيتان. وفيها صور ورموز يعجز الانسان عن ادراك معناها.

وقد أدى بنا المطاف الى حجرة كبيرة واسعة على شكل دائرة . مقاعدها تشبه مقاعد البرلمان المصرى . أمام كل مقعد منضدة مكسوة بالمخمل الاخضر وضعت عليها محبرة وقلم وفى نهايتها عدة منصات عالية . يظهر أنها كانت تستعمل للاجتماع العام للنظر فى شئون الامة واحوالها، ومنها كانت تصدر الاحكام. وهى مستعملة اليوم للاجتماع والقاء الخطب فى الأمور الهامة .



(القصر القديم بفلورنس)

وكل أرضها مفروشة بالبساط الاخضر والناظر اليها يأخذه العجب لفخامتها وزخرفها وعظمتها مما يدخل فى القلب الرهبة والجلال

وبناء هذا القصر يشبه بناء قصور المماليك بمصر لان به عدة دهاليز صاعدة ومتعرجة ودواخل فى الحيطان وخوارج . وحجره ليست فى استواء واحد بل منها مايصعد اليها بعدة درجات ، ومنها ما ينحدر اليها بعدة درجات كذلك ومنها الواسعة والضيقة ومرتفعة السقف وواطئته . وغالب الحجر بها عدة تماثيل لعظماء هذه الاسرة العريقة فى المجد والحكم وهى عائلة (ميديسى)

ولقد رأينا ساعته القديمة العجيبة التى يقصدها الناس من كل الجهات ليروها وضعت داخل ايطار فى واجهة القصر . وهى تدق دقات عظيمة مستمرة من اول أن وضعت قديما الى ذلك الحين ، ولم يطرأ عليها خلل حتى الآن .

أهم آثار فلورنس ومتاحفها

بعد أن متعنا النظر بتحفه الجميلة ومبانيه الضخمة خرجنا منه وسرنا حتى وصلنا الى ميدان واسع يحوى ثلاث بنايات فخمة شهيرة فى فلورنس وهى :

(١) الدومو — وهى كنيسة جميلة غاية فى الفخامة ، ما رأيت كنيسة مزخرفة من الخارج بأنواع النقوش والتماثيل والدواخل والخوارج والطلاء البهى والألوان الزاهية ، مثل كنيسة الدومو الشهيرة . أما باطنها فلا يشبه

ظاهرها فى شىء فهو خلو من الزخرف والزينة ، وتمتاز عن بعض الكنائس بارتفاع سقفها الشاهق . وهى مقامة على حنايا ضخمة جداً ، تنتهى بقبو مرتفع، وبها نوافذ كبيرة ، كلها بالزجاج الملون الجميل ، كالزجاج الذى يستعمل فى المساجد القديمة عندنا ، رصت عليه عدة صور دينية . قبتها عالية جدا تقترب فى الارتفاع من قبة كنيسة مارى بطرس بروما ، وتكتنفها قبتان عظيمتان أقل منها قليلا . وقد دفن فى هذه الكنيسة عدة رجال عظماء لهم الأثر البين فى نهضة ايطاليا علميا واقتصاديا وحربيا ، وغيرهم من العلماء والفلاسفة الذين عاد فضلهم على العالم أجمع

(٢) البرج — بجوار كنيسة الدومو برج عال جدا يبلغ ارتفاعه أربعة وثمانين متراً . مبانيه من نوع مبانى كنيسة الدومو رسما وشكلا وزخرفا وزينة وطلاء . ولم أقو على الصعود فيه ، لانى قد تعبت كثيراً من الصعود والنزول فى رؤية المتاحف والآثار هذا اليوم وهذا البرج مع الكنيسة يعطيان منظرا جميلا يؤثر فى النفس

(٣) كنيسة المعماد — أمام كنيسة الدومو فى هذا المعبد كنيسة المعماد . شيدت من الخارج بالرخام الابيض الجميل وهى واطئة البناء . ليس بها من الزخرف والزركشة شىء يذكر . ولكن يحفها الجلال والاعظام . يظهر أنها قديمة البناء . وهى على شكل دائرة عظيمة . ولم ندخلها لانها كانت مقفلة

مكتبة آسرة ميديسى الشهيرة

هذه المكتبة لأسرة عريقة فى المجد والشرف حكمت رومة زمنا طويلا ، وهى جزء من كنيسة شيدتها هذه الاسرة . قصدنا زيارة هذه

المكتبة الذائعة الصيت فدخلنا باب الكنيسة فوجدنا الصلاة قد أقيم فيها فوقفنا زمنا طويلا لنرى كيفية الصلاة ونظامها عندهم فألفينا القوم غاية فى التخضع والتبتل. وأغلب المصلين من الطاعنين فى السن، بينهم فتيات صغيرات. ولما انتهت الصلاة طفنا أنحاء الكنيسة، فاذا هى من أعظم الكنائس. وقد ضربت صفحا عن وصف كنائس فلورنس إلا كنيسة (الدومو) لانى ذكرت كثيراً من أوصافها فى رومة. ثم صعدنا من باب داخل الكنيسة الى الطبقة العليا. فرأينا ما بهر عقولنا وحير ألبابنا. رأينا مقاعد تشبه مقاعد جلسات المحاكم. وأمامها حاجز منبسط من الخشب وضع عليه الكتاب مفتوحا، ومغطى بلوح من الزجاج حتى يتمكن الزائر من رؤية خطه ونظامه وزينته. يبلغ عرض هذه الردهة نحو عشرة أمتار تقريباً فى طول الثلاثين. وقد رتبت على صفين متقابلين، بينهما طريق يمر فيها الزائر فيرى الكتب على يمينه ويساره فى قماطرها، غاية فى الابداع وحسن الخط والقصص الموضحة بالرسوم الجميلة. ثم خرجنا من هذه الى عدة حجر فيها كتب نفيسة مذهبة، محلى أغلبها بصور غاية فى الاتقان تدل على مهارة مصوريها. وما زلنا ندخل فى حجرة ونخرج منها الى أخرى حتى متعنا النظر بجمال هذه الكتب مع الاستغراب والاعجاب. واكثر هذه الكتب مخطوطة بالخط الجيد ظاهرها يدل على أنها من أنفس الكتب قيمة وعلى أن هذه الاسرة كان لها القدح المعلى فى اقتناء الكتب والتفنن فى جمعها وحفظها حتى بقيت محفوظة سالمة الى الآن، يتمتع بما فيها من الذخائر والنفائس الايطاليون وخصوصا أهالى فلورنس

بيت دانتي

تطلعت أنفسنا بعد ذلك الى زيارة بيت دانتي الشاعر الايطالى المشهور فسرنا ننتقل فى الشوارع والازقة حتى وصلنا اليه بعد الجهد والتعب فألفيناه فى زقاق من أزقة فلورنس وهذا المنزل متوسط البناء له بابان فى زقاقين . فأول شيء يراه الزائر لوح رخام فى أعلى بابه كتب عليه هذه العبارة « إن الشاعر دانتي ولد فى هذا البيت » وقد وجدنا الباب موصداً فطرقناه ففتح، وقابلنا رجل يعرف اللغة الانكليزية فسار أمامنا حتى أوصلنا الى الحجرة التى كان قد أعدها لجلوس أسرته حين اشتغالهم بصناعة الحرير وهى حجرة مرتفعة السقف ، قد جددت أغلب حوائطها ، لا تزيد على خمسة أمتار فى أربعة ، وهى الآن تستعمل لتعليم الصناع فن الطباعة. وقد وجدنا فيها مجلداً كبيراً نقلت فيه قصائده المشهورة بالتصوير الشمسى ، وهى بخط يده . وقد بنى فى بعض الحجر أجزاء من السقف الاصلى ، تحتوى على عدة نقوش ورسوم جميلة . والبيت كله يحوى خمس حجر وفناء صغيراً ، وقد أخبرنا الدليل أنه كان يحتوى على حجر أكثر من هذه ولكنها تهدمت . ويدخله كثير من السائحين لرؤية منزل هذا الشاعر الكبير الذى أدخل التحسين والرقة والذوق على اللغة الايطالية فالادب الايطالى مدين له بهذا التطور الكبير فى أساليب تلك اللغة وتراكيبها .



(كنيسة سان كروسي وتمثال دانتي بفلورنس)

قصر الخديوى اسماعيل باشا

لما علمنا بأن الخديوى اسماعيل باشا له قصر فخم فى فلورنس كان يسكنه أيام منفاه اعتزمنا زيارته بلهفة وشوق ، فصرنا نسائل الناس عنه حتى عثرنا عليه رقم (٩٥) شارع (برج بيتى) فلما وصلنا الى الباب وأردنا الدخول أخبرنا الخادم بأن الدخول ممنوع لانه مسكون فتلطفنا به فسمح لنا بمقابلة رجل بيده الأمر فأخبرناه بقصدنا فمنع أولا فعرفناه أننا مصريون ويهمنا جداً رؤية هذا القصر فسمح لنا فصعدنا سلما عريضة من الرخام الجميل كلها مفروشة حتى وصلنا الى الطبقة الثانية ففتح لنا حجرة كبيرة غاية فى الابهة والعظمة حوائطها محلاة بالصور البديعة والنقوش الذهبية الغريبة سقفها مزين بعدة صور كاعظم قصور العظماء فى ايطاليا. وما زلنا نخرج من حجرة وندخل فى أنفس منها حتى أتينا على آخره ونحن بين الدهشة والعجب. ويحوى حديقة كبيرة قد نسقت بها الاشجار والازهار الجميلة البديعة تكتنف القصر من جهتيه الشرقية والشمالية وهو الآن تسكنه جمعية تخدم الانسانية وتساعد الفقراء والبائسين

وقد كان اسماعيل باشا اشتراه من رجل يقوم بخدمة الانسانية ايضا. ويظهر أن اسماعيل باشا كان موفقا للحصول على النعيم والترف والرفاهية فى العيش حتى فى منفاه

من فلورنس الى ميلانو

لما فرغنا من زيارة اهم متاحف فلورنس وآثارها ، سافرنا الى مدينة ميلانو ، فركبنا من الفندق سيارته فى الساعة الواحدة مساء ، وقصدنا محطة فلورنس ، ولما وصلنا اليها ، الفيناها فسيحة ضخمة البناء ، تفوق محطة رومة ابهة وعظمة ، ونقدنا سائق السيارة عشر ليرات ، كما اعطينا الحمال ستا . وبعد نصف ساعة من وصولنا الى المحطة قام بنا القطار ولم يكن مزدحما وسار بنا نحو ساعة ونصف ساعة ، وسط مروج يانعة خضراء ، وحدائق غناء ، وتلال عالية ، تحف القطار من جانبيه ، مكسوة بالاشجار الباسقة . وبعد هذا اخترق القطار بنا جبال الالب العظيمة يتبع فى سيره ماذلل منها يلتوى التواء الثعبان فتارة ينعطف وأخرى ينثنى وطوراً يدخل فى نفق تحت جبل شامخ وآخر يعبر قنطرة عظيمة تحتها واد عميق

ولا ابالغ اذا قلت انا كنا كل عشر دقائق ندخل فى نفق تحت جبل عال حتى ضاقت انفاسنا ، واخذنا الدوار ، لكثرة استنشاق دخان الفحم المحصور فى الانفاق والذى يتسرب الينا من نوافذ القطار، فنضطر الى الى اقفالها .

وقد يدرك الانسان الخوف والفزع لمروره تحت هذه الجبال الشامخة خصوصا من لم يتعودها ولو اتصلت هذه الانفاق بعضها ببعض لكونت نفقا اطول من نفق سمبلون . الذى سنذكره عند سفرنا الى سويسرا ،كل هذا ونحن نشاهد المنازل منتشرة فوق سفوح الجبال وقممها ، وبطون الوديان ، تفصلها بعضها عن بعض مسافات كبيرة ، تغمرها جميعها الاشجار

والازهار فمناظرها من أشهى مارأت العين ،ولقد يأخذك العجب وتدركك الحيرة لمشاهدة هـذه المنازل لاول مرة ، لحسنها وجمالها ، وبداعة ترتيبها وتنسيقها ، وعظيم موقعها ، وكيف يعيش سكان المنازل المنتشرة هنا وهناك ، فى أمان واطمئنان على أنفسهم وأموالهم ، ومن أين يحضرون ماتحتاج اليه منازلهم ، من ضروريات الحياة ، وما الذى يساعدهم على الصعود الى المنازل ، فوق قمم الجبال والتلال ذهابا وجيئة ، وكل منزل من هذه المنازل تمهد له طريق جميل تحفه الاشجار من الجانبين ، يغنى السير فيه عن رؤية الحدائق واستنشاق هوائها ، ولا يتسنى لكاتب مهما بالغ فى الوصف أن يصف تلك المناظر البديعة والمشاهد الجميلة

ولا ترى فى هـذه المسافات الكبيرة الا اجزاء صغيرة من الارض مدحوة لاتكاد تذكر بجانب المرتفعات ، ولذا كان القطار لايجد جزءا سهلا يسير فيه بل تعترضه الجبال العالية ، فلا يتخلص منها ، ولا يتغلب عليها ، الا بمروره تحتها وانحنائه لعظمتها وجبروتها ، والالتجاء الى احضانها وخضوعه لكبريائها ، وكلما خرج القطار من نفق أسرعنا إلى فتح النوافذ لنستنشق الهواء النقى ولنرى ماهيأه الله من مناظر الطبيعة وجمالها وحسنها وبهائها الذى يأخذ بالالباب ولنرى قدرة الله الباهرة القاهرة . التى كونت تلك المناظر ورفعت الجبال ، وخفضت الوديان ، وأجرت المياه ، وانبتت الاشجار الضخمة الباسقة

فى كل ناحية سلكت ومذهب جبلان من صخر وماء جارى

ولقد كنت أقف امام عظمة هـذه الجبال وانخفاض الوديان وخرير الماء باهتا خاشعا متعظا ..

وما زلنا على هـذا الحال حتى وصلنا الى محطة (بلونى) فى الساعة السادسة ، وفيها انتظر القطر أربعين دقيقة ، وهى محطة كبيرة واسعة ملتقى عدة خطوط ، وفيها يغير المسافرون طريقهم ، فمنهم الذاهب (الى ميلانو) والذاهب الى (فنيسيا) والذاهب الى (تورينو)

وبعد ان بارح القطار هذه المحطة سار فى سهل لومباردى المشـهور وهنا يعجز القلم عن وصف نظام مزروعاته ، وحالة الرى فيـه ، وخصوبة الارض : ترى المزارع مقسمة تقسيماهندسيابديعا، فترى فى نحو كل عشرين متراً صفين من الاشجار القصيرة التى لاتزيد على أربعة أمتار ، فى جذع كل شجرة منها كرمة عنب ، تعلق فروعها بتلك الأشجار ، فتقوم مقام الحوامل عنـدنا (التـكعيبة) لقرب الاشجار بعضها من بعض ، وتمتـد فروع العنب من شجرة الى أخرى ، فتعلق بها فتكون حبالا من الخضرة تربط كل الاشجار بعضها ببعض وتتدلى عناقيد العنب من خلال الاشجار، فيحدث لونان من الخضرة ، خضرة الاشـجار وفروعها ، وورق العنب وعناقيده ، فترى منظراً تشتهيه النفس وتتمتع به العين ، وينشرح له الصدر

فالسائر فيه لايرى مزارع كما يرى فى بلادنا وانمـا يرى حديقة غناء فيحاء لانهاية لها مشتبكة الاغصان ، وحبالا من الخضرة الجميـلة النضرة ممتدة بين الاشجار لايدرك الطرف آخرها . وهذا كله بفضل المهندسين وعناية اصحاب المزارع بها ، والبحث وراء مايمكن الانتفاع به من حقولهم ومزارعهم ، مع أنك لو ضاهيت أرضهم بارض الدلتا ، لوجدت أرض الدلتا أخصب منها ! ومع ذلك لاترى فيها شيئا يلفت نظرك ، كما ترى فى سهل لومباردى ، لاترى فيها ترتيبا وتنسيقا ونظاما واعتناء . ولو عنى بها أهلها

كما عنى الايطاليون لاصبحت جنة يانعة قطوفها دانية ، وفاقت كل سهول العالم انباتا وانتاجا . ومن هذا يظهر الفرق بين الأمم المتمدينة التى تخلق من الصحراء جنة خضراء ، وبين الأمم الاخرى التى تهمل الارض الخصبة الجميلة حتى تصبح قاحلة جرداء

وانك لترى الفلاحين فى اوربا يزرعون قمم الجبال والتلال ، وينقرون صخورها ليبذروا فيها انواع الحبوب ، فيجنون منها ما يقوم بحاجاتهم . واكثر مزروعاتهم فى سفوح الجبال والتلال وعلى قممها ، لانك لا تجد ارضا سهلة مدحوة كما تجد فى بلادنا الا نادراً . ولم أر فى سياحتى هذه سهلا منبسطا الا سهل لومباردى ، وجزءاً من شمالى فرنسا . وأما غير ذلك فكله تلال وجبال ووديان ، تتخللها اجزاء قليلة جداً مدحوة ، مع أن عندنا كثيراً من الارض الواسعة السهلة التى تصبح بعد اصلاح هين من أخصب الاراضى

وقد قضيت اكثر المسافة بين فلورنس وميلانو واقفا لأمتع النظر بتلك المشاهد الجميلة والمزادع النضرة ، وما فيها من التنسيق والنظام

وقد يمر على ركاب الدرجة الأولى والثانية خادم معه تذاكر يقدمها لمن يريد تناول الطعام فى القطار فأخذت منه تذكرة ، فلما حان وقت العشاء دق الجرس فى كل حجرة من حجر القطار ، اذ كانت الساعة السابعة مساء فذهبنا الى ردهة الاكل ، وهناك قدم لنا طعام شهى جميل ، يدعو النفس الى الرغبة فى تناول الطعام بشهوة ، وفى اثناء ذلك كنا نمتع الطرف بتلك المناظر والمشاهد الجميلة ، وقد دفعنا فى هذه الاكلة احدى وعشرين ليرة بما فى ذلك زجاجة من ماء (افيان) ولم اكن قد تناولت الطعام فى قطار

فى اوربا قبل ذلك ، ولذا كنت مسرورا جدا من هـذه الا كلة الشهية ونظامها وجودة الخـدمة ، وقـد استغرقنا فيهـا نحو ساعـة ونصف ساعـة . ونظام الأ كل هناك أحسن بكثير من نظامنا فى قطرنا من حيث الخدمة والطهى والثمن ، ونظافة الخدم والنشاط والحركة ، ولـكثرة الراغبـين فى الا كل لاتسعهم العربة دفعة واحـد ، ولذا فأنهم يأ كلون على دفعتين

وما زال القطار يجـد فى السير بسرعة كبيرة حتى وصلنا الى مدينة ميلانو فى الساعة العاشرة والنصف ، فيكون القطار قد قطع المسافة بين فلورنس وميلانو فى ثمانى ساعات . ومحطة ميلانو فخمة وكبيرة جدا ، وقد يستمر القطار سائرا فى ضواحيها نحو عشر دقائق . وقابلنا مندوبو الفنادق كالعادة فاخترنا النزول فى فندق (جراند) ثم ركبنا سيارته الضخمة التى تناسب ضخامته وفخامته وسارت بنا حتى وصلنا اليه بسلام ، وهو يعد من أفخم الفنادق فى ميلانو . وبالطابق الاول منه ردهة فخمة مفروشة بأفخر الاثاث والرياش تزينها عـدة اشجار وأزهار نضرة . ثم أصعدنا الخادم فى المصعد الى الطابق الثانى فألفينا غرفه من أفخم الغرف تحتوى كل غرفة على مايريح السائح حتى المسرة « التليفون » بجوار السرير بحيث تطلب ما تريد من الفنـدق أو خارجه وأنت مضجع على مهـدك . حوائطها مزخرفة بأحسن الزخرف حتى يخيل للرائى أنها مكسوة بالمخمل المزركش وعلى الجملة فـكل غرفة فيها معدات الراحة مع الأبهـة والعظمة . وأجرة مبيت الليـلة مع تناول الطعام ثمان وثمانون ليرة عدا ضريبـة الترف التى تضرب على كل نازل فيـه فان الحياة فيه تـكاد تكون من

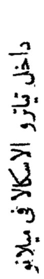
الطراز الأول وكذلك غير ضريبتي الخدم والحكومة التي تختلف مابين ١٠ و ١٥ في كل مائة وقد استرحنا في هذا الفندق ونمنا نوماً هادئاً ملء جفوننا وفي البكور تناولنا طعام الافطار ثم خرجنا لنرى مشاهد المدينة والحركة فيها

ميلانو

هي قصبة إقليم لومباردى الشهير بالأقاليم العالى في ايطاليا ولها أهمية كبرى لانها من اكثر مدن ايطاليا سكانا كما كانت كذلك قديما. وقد اشتهرت في القرن الخامس عشر بأشياء كثيرة أهمها صناعة التصوير ولا تزال تلك الشهرة حتى الآن وقد رأينا كثيراً من التصاوير في أغلب مدن ايطاليا كتب عليها (طبعت في مدينة ميلانو) وقد نبغ فيها في ذلك العهد عدد كبير من المصورين الذين اشتهروا في ايطاليا وغيرها. وهي الآن من أهم مدن ايطاليا حركة وتجارة وثروة وصناعة، خصوصا صناعة الحرير التي فاقت فيها اكثر مدن أوربا والذي ساعدها على ذلك كثرة ما يزرع من شجر التوت في إقليم لومباردى الذي هو الغذاء الوحيد لدودة القز . . .

ولم أر في جميع المدن التي زرتها في ايطاليا مدينة اكثر منها معادن وصناعة حتى أن القطر التجارية تدخل مساء في بعض شوارعها العظيمة تنقل كثيراً من العمال الذين يتهافتون تهافت الفراش على النار فيملئون داخله ويركبون سطوحه ونوافذه الى محال سكناهم في ضواحي المدينة وقد يكون المنظر غريبا خصوصا لمن لم ير بلاد عمال قبل ذلك. وشوارعها كأحسن الشوارع التي رأيتها في مدن نابلي وروما وفلورنس من حيث الاتساع

والنظافة والنظام وتزدحم ازدحاما كبيراً عند الغروب حتى يسير الناس متكاتفين ويهولك منظر الجلاريا التى هى على مثال جلاريا نابلى والناس يقصدونها عصراً للتفرج على دكاكينها وقهواتها وما بها من السلع وأنفس البضائع التى تسر النفس فيختلط الرجال بالنساء ذهابا وجيئة فيكون لاجتماع الناس فيها منظراً يلفت النظر والجزء المشيد بها حديثا من أحسن ما يرى الرائى لأنه قائم على نظام واحد وترتيب جميل شوارعه متسعة متوازية تسير على اتجاه واحد تقاطعها عدة شوارع أخرى متوازية أيضا كأنها قسمت ونظمت ونسقت بيد مهندس بارع واحد وشيدت مبانيها فى زمن واحد على طراز واحد على أحدث مايكون من النظام الحديث الجميل وقد سررت جداً من منظرها ولم أر مثل اتساع هذه الشوارع الا فى مدينتى باريس ولندن ولقد ترى حوانيتها غاصة بأنواع السلع الجميلة البديعة ومع أنها مدينة صناعية فان سلعها أغلى قيمة . وأهم هذه الشوارع شارع (فيكتور عمانويل) وهو يشطر المدينة شطرين عظيمين ويتصل بشارع (فنيسيا) وهما يوصلان الى حديقة المدينة العمومية وهى واقعة فى ميدان فسيح الارجاء يسمى ميدان (كافور) يقصدها الناس بياض النهار وهزيعا من الليل ليستنشقوا هواء نقيا وقد دخلتها فاذا هى جنة عالية قطوفها دانية ظلال اشجارها وارفة أفنانها كثيرة ممتدة يشتبك بعضها ببعض فتكون سماء من الخضرة الفاخرة تحوى كثيرا من الاشجار التى تعبق منها الروائح العطرية ويحمل نسيمها الى الانوف شذا عرفها الزكى فينعش النفوس الخامدة فجذبني جمالها وحسن منظرها وضخامة اشجارها و نضرة أزهارها الى الجلوس على أحد مقاعدها التى صفت على جانبي طرقاتها وشوارعها فأقمت بها ساعة

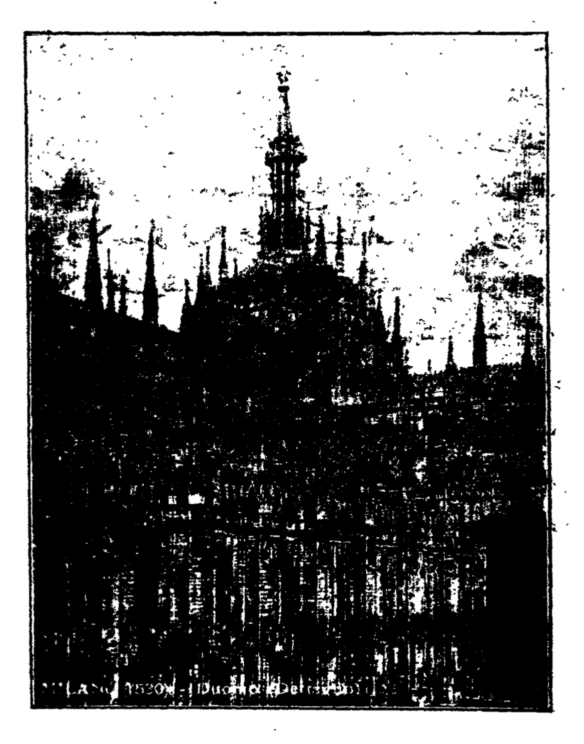


داخل تياترو الاسكالا في ميلانو

قيدت فيها مذكراتى عما شاهدته فى ذلك اليوم وتمتاز عن حديقتى رومة ونابلى بأنها منسقة مرتبة عامرة أقيمت فى ثنايا أشجارها وأزهارها عدة تماثيل مختلفة الاشكال والرموز لكثير من عظماء الرجال فى ايطاليا . وقد خرجت منها قاصداً مشاهدة كنيسة ميلانو الشهيرة وهى أهم ما يقصده السائح فى هذه المدينة القايلة الآثار وانى وان كنت قد مللت وصف الكنائس فى رومة وغيرها الا أنى أعد نفسى مقصراً اذا تركت وصف هذه الكنيسة التى تعد من عجائب الدنيا والتى لاتزيد عنها سعة الا كنيسة مارى بطرس بروما ولأن السائح لايقصد زيارة ميلانو الا ليرى كنيستها العظيمة

كنيسة ميلانو

كنيسة ميلانو واقعة فى ميدان فسيح وسط المدينة وهى من كنائس الدرجة الأولى فى زخرفتها وجمالها وضخامة بنائها وجمال منظرها وأبهتها وعظمتها وما فيها من تماثيل القديسين من الأحجار والرخام فى سقفها وجدرانها داخلا وخارجا. لها منظر من الخارج ليس لكنيسة فى الأرض مثله ، وكل مبانيها داخلة وخارجة مزينة بالتماثيل الجميلة الكثيرة المنوعة ولقد ينظر اليها المرء فتهوله الحراب المصوبة الى كبد السماء بأيدى التماثيل الكثيرة كأنها تتهيأ للطعن والنزال وهى فى نهاية قباب مدرجة تعلو بعضها بعضاً وفى رؤوس مبان كالمسلات المصرية ينتهى أعلاها كتلك التماثيل ويخيل للناظر اليها أنها ليست مبانى بل هى رسوم وأشكال هندسية جميلة كأنها أخشاب محزمة تمثل فيها تلك الاشكال والرسوم . وقد أحصى بعضهم مافيها من التماثيل داخلا وخارجا فألفاها ستة آلاف . فاذا صعد الانسان على سلم



كنيسة الدعو بميلانو

الكنيسة يرى أمامه خمسة أبواب أكبرها الأوسط فيدخل منه الزائر فيرى أعمدة ضخمة عريضة كالحنايا (البواكى) تنتهى فى أعلاها بتيجان محاطة بالتماثيل وتنتهى هذه بقباب غاية فى الابداع مخرمة كالتى تصنع فى نوافذ المساجد عندنا وفى جوانبها واركانها عدة مذابح للسيدة مريم حاملة السيد المسيح عليه السلام وهو صغير وأمام بعضها كاهن يصلى بالناس وهم ركوع يستمعون لما يتلى عليهم غاية فى الخشوع والتبتل . ومما يلفت النظر من هذه المذابح مذبح عظيم موقدة أمامه الشموع الكثيرة فيه تمثال السيدة مريم محلاة بالجواهر والاحجار الكريمة يكتظ أمامها الزائرون وأمام تمثالها صندوق فى أعلاه ثقب يقذف فيه الزائرون كثير من النقود ويرى الداخل أمامه مذبحاً كبيراً يلتف حوله كثير من الرهبان يتلون شيئاً وهم وقوف يسمع لهم ضجيج كضجيج مرتلى دلائل الخيرات فى الأضرحة وكل مسيحى يركع أمام تمثال السيدة مريم قبل مبارحة الكنيسة . وتبلغ مساحة هذه الكنيسة العظيمة أربعة عشر الف متر وتسع نحو أربعة آلاف نفس . ويبلغ طولها من الداخل اثنين ومائة متر فى عرض ستة وتسعين وعلوها نحو مائتين وعشرين قدماً

والكنيسة كلها مشيدة من الرخام الجميل مقامة على اثنين وخمسين عموداً يبلغ محيط كل منها اثنى عشر قدماً، سقفها من الرخام المختلف الالوان وبها عدة شبابيك ونوافذ صنعت الواحها الكبيرة من قطع الزجاج المختلف الالوان ويبلغ ارتفاع بعضها نحو خمسة عشر متراً فى عرض خمسة أمتار، رسم عليها عدة اشكال تمثل حوادث الانجيل والتوراة . ولا يقل عدد هذه القطع فى كل نافذة عن خمسين وثلثمائة وهى من أثمن مارسم على الزجاج من الصور

المتقنة يخيل للناظر اليها أنها حقيقة لولا ماينقصها من الحركة . ويد الاصلاح والزخرف دائمة العمل فيها من يوم أن أنشئت الى الآن والعين المجردة لاتتبين مافي سقفها من الزخارف والنقوش ولذا تجد كثيرا من السائحين يستعينون بنظاراتهم لرؤية ما بسقفها من دقائق الصناعة والزخرف والنقش ولهذه الكنيسة برج عال يصل الانسان الى اعلاه بعد أن يصعد ثلثمائة درجة ولما كانت هذه المدينة قليلة الآثار والمتاحف لم نمكث فيها كثيراً

من ميلانو الى سويسرا

قمنا من مخادعنا مبكرين وقد اعتزمنا السفر الى مملكة سويسرا الساعة السابعة صباحا وبعد ان اعددنا حقائبنا امتطينا سيارة الفندق الى المحطة وهناك وجدنا مرشدا من خدمته فى انتظارنا فأرشدنا الى القطار ولكنه لم يعين لنا المركبة التى تسافر الى سويسرا حتى لا نضطر الى التغيير فى محطة أخرى لأن القطار يجر عدة مركبات كتب على كل منها الجهة التى يقصدها المسافر لأنها تنفصل منه عند محطات معروفة وقد أخطأنا المركبة التى تذهب مباشرة الى مدينة لوزان من مدن سويسرا ولكن كان فى الوقت بقية فنقلنا حقائبنا قبل فواتها ولذا تمكنا من وجود محلين لى ولزميلى وقد ازدحم القطار بعد ذلك ازدحاما شديدا . وفى قطر أوربا يمكنك أن تحجز محلا لك قبل السفر بيوم أو أقل منه برقم يكتب على تذكرة السفر يوافق رقم المحل الذى حجزته ولك الحق أن تطلب من الجالس فيه أن يتنحى عنه فلا يتأخر متى أظهرت له رقم المحل على تذكرتك

ولما وافت الساعة السابعة دقت الاجراس التي تشبه اجراس الكنائس ايذانا بقيام القطار فتهيأنا لرؤية ضواحي المدينة من نوافذه فاذا بها منازل متفرقة تفصل كلا منها عن الاخرى حديقة غناء تحيط بها الخضرة والمزارع احاطة السوار بالمعصم. وبعد ساعة من سير القطار ظهرت لنا جبال الألب العظيمة الشاهقة فسار القطار فيها منعرجا ذات اليمين وذات اليسار تبعا لما زال منها. وكان لسير القطار منظر يأخذ بالألباب فتارة يصعد بنا فوق ربوة عالية وأخرى يدور حول الجبال وطورا يدخل فى نفق ودخان القطار يعمل فينا عمله، وأخرى يعبر قنطرة ممتدة فوق واد عميق مثبتة أطرافها فى جبلين متقاربين فترى الوديان والمنازل هنا وهناك كأنها الحمائم الطائرة فى حدائق عامرة. وجميع سفوح الجبال مكسوة بالاشجار الباسقة فتزيدها عظمة وجلالا ومرة ينزلق بين جبلين متقاربين يكاد الراكب يلمسهما باليد مع العلو الشاهق الذى يرجع البصر خاسئا وهو حسير. وكان المنظر مؤثرا فى النفوس خصوصا لمن لم يرمثل هذه الجبال التى تكاد تناطح السماء بعلوها الغريب ولذا كنت لا اسمح لنفسى بالجلوس لامتع النفس والنظر بتلك المشاهد الجميلة التى أثرت فى نفسى أثرا لا تقوى على محواه يد الزمان

ومما يدعو الى العجب أنه لا يوجد فى هذه الجبال جزء خال من الاشجار الضخمة والمزروعات الكثيرة التى يقوم بها فلاحو تلك الجهات فان لهم صبرا كبيرا على معاناة الزراعة على سفوحها. وما زلنا سائرين نمتع الطرف بتلك المشاهد والقرى والفلاحين ومواشيهم حتى وصلنا الى محطة الحدود بين ايطاليا وسويسرا. وهنا كثر الزحام واختلط الحابل بالنابل لتغيير الناس مركباتهم الى الجهات التى يقصدونها. ولقد جاء مفتش إيطالى

لتفتيش حقائبنا لعله يجد فيها شيئا ممنوعا حمله ولما كان القطار شديد الزحام والحقائب كثيرة مكدسة بعضها فوق بعض كان يسئل عما فى حقائبهم أسئلة ثم عن الكسل فيجيبونه بما يصرفه عنهم . ويتبع المفتش خمسة من الرجال يساعدونه فى ذلك حتى يتم تفتيش القطار . وقد أخذ منا جواز السفر « الباسبورت » ورده الينا بعد التأشير عليه حين قيام القطار . وقد لبثنا فى هذه المحطة ساعة وربع ساعة ثم برحها القطار متجها نحو أرض سويسرا وهنا يقف القلم حائرا متعثرا فى أزياله كيف يصف فخامة المنظر وتجليها بأبهى مناظرها وأبدع معانيها وقد ابتدأت الجبال تعترض القطار بكثرة ولذا كثر اختراقه للانفاق وانتشر دخان الفحم فى المركبات حتى ضاقت انفاسنا وبلغت الروح الحلقوم وما زلنا كذلك ندخل فى نفق ونخرج من آخر طول هذا الطريق ـ وقد يبلغ عدد الانفاق نحو الستين ـ حتى وصلنا الى أطول نفق فيها وهو النفق المعروف باسم « سمبلون » أو « سان غوثار »

نفق سمبلون

هذا النفق يخترق جبلا شاهقا من جبال الالب العظيمة المشهورة التى ليس فى اوربا أرفع منها قمة ولا أفخم منظراً ولا أوعر مسلكا . ولما مدت السكك الحديدية فى أغلب ممالك اوربا وربطت اجزاء الممالك بعضها ببعض كان من الضرورى أن ينشأ خط حديدى يربط اغلب الممالك بعضها ببعض خصوصا إيطاليا وسويسرا والمانيا ولما كان لامفر من اختراق هذه السكة جبال الألب وكانت النفقات باهظة لا تتحملها مملكة واحدة تعاونت على انشائها إيطاليا وسويسرا والمانيا واستغرقوا فى تذليلها وتمهيدها مدة لا تقل

عن تسع سنين انفقوا فى خلالها مليونا واربعمائة الف كيلوجرام من الديناميت لنسف تلك الجبال الهائلة . يدخل القطر فى جوفه فتظلم الدنيا وتصبح فى ليل دامس ويظل سائرا سيرا حثيثا نحو خمس وعشرين دقيقة وهنا يعترى المسافر فزع وخوف ورهبة تمنعه من الكلام متى فكر انه يسير تحت الارض تعلوه جبال الالب العظيمة ، ومتى دخل القطار جوف النفق سار بالكهرباء وحبس دخانه الذى كان يضايق الناس قديما حتى سئموا المرور منه والسير فيه وكل عدة اميال يظهر لنا محل تسطع منه الانوار الكهربائية فتضئ جزءا كبيرا منه ولشدة سير القطار وسرعته لايقوى الانسان على الانتقال من مركبة الى أخرى والوقوف فى طرقاتها والناس إذ ذاك فى سكون رهيب، فتهلع القلوب وتكفهر الوجوه ومتى خرجوا منه تهللت وجوههم بشرا وأخذ كل يقص على أخيه ما كان يجول بخاطره فى الفترة التى قضاها فى جوف الأرض

سويسرا

آية فى الكمال والجمال ولايسهل على واصف وصف مناظرها الطبيعة وجمال جبالها ومحاسن بحيراتها ورقى أخلاق أهلها ، ومروجها ومزارعها ؛ فهى كعبة المتفرجين ، ووجهة المتنزهين ، ومهبط السراة والموسرين ، ومصيف السائحين ، وهى فردوس أوربا وجنتها الفيحاء وحديقتها الغناء ، وعلمها المنشور ، ولواؤها الخفاق ، ريحانة النفوس وسلوة المحزون ، وجنة الضجر، وملجأ الخائف، وملاذ العائذ ، تجمعت فيها محاسن الطبيعة ، وتجلت بابهى مناظرها واكمل بدائعها ، فجمعت محاسن الجبل والوادى والسهل

والنهر تتخللها بحيرات كثيرة جميلة ، تحفها الاشجار والازهار ، أتناسقت فيها تناسقا يسحر الألباب ، ويريح النفوس ويزيل الكروب والهموم ، بها جبال شاهقة ، تناطح السماء بعلوها فيتقطع السحاب فوق قممها ، وتتوجها الثلوج اللامعة ، المحتاطة بالدوحات الباسقة ، فكأنها مرآة يحيط بها إطار من سندس

بأى لسان اعبر ، و بأى بنان اسطر ، عن تلك المشاهد والمناظر ، التي تجمعت فيها قوى الطبيعة وتضافرت ، وعرضت من انواع المحاسن ما يملأ النفس عظة واعتبارا ، فبينما تسير فى سهل نسقته يد الطبيعة بابهى الاعشاب وابهج انواع الزهر والاشجار ، إذ بك على حافة جدول ، لمائه خرير يلذ له السمع ، وينشرح له الصدر ، كأنها اوتار اعواد حركتها يد عازف حاذق ، فأثرت فى النفس تأثيرا عميقا ، وقد رصفت الجوانب بوشى من الخضرة . وأنواع من الزهر تحيط بك من كل جانب . حتى اذا غاب فكرك فيما أبرزته يد الطبيعة وما أبدعته يد القدرة وجدت نفسك فوق جسر عظيم ، ثبت طرفاه فى ناصيتى جبلين . وتحته الوادى تجرى فيه الانهار وتحف به المزارع والاشجار ، حتى اذا اجتزت ذلك الجسر سرت الى جانب المجرى متعرجا ذات اليمين وذات اليسار ، كانما القطار افعى تنساب بين الحشائش والوديان ، فيبهرك ذلك المنظر . ولا تدرى الى أى الجانبين تنظر أإلى الوادى وما فيه من المروج الاريجة ، والضفاف البهيجة ، ومنازل قد التفت حولها الاغصان على شكل بديع وتنسيق غريب ، وماء ينسكب فينسيك متاعب الحياة وأحزانها

أم الى الجانب الآخر : حيث ارتفعت الجبال وطالت حتى غاصت فى احشاء السحاب التى تتساقط منه كرات البرد ، كانما هى اللؤلؤ المنظوم والدر المنثور . ومما يزيدها بهاء تتويج قممها بالثلوج . ومن دون الثلج صخور تكسوها الاشجار الوارفة . وقد جرت من بين تلك الصخور والجبال جداول من ماء معين ، يتدفق فى تلك المسالك الجميلة تدفقا يروق الناظر ويسر الخاطر ، ويتساقط من سفوح الجبال فيريك اعجب ماترى من أشكال الجنادل وخصوصا عند ماتغيب آونة وتظهر أخرى بين تلك المسالك التى يعشق القلب حسنها مماتمثل للرائى منتهى الاعجاز فى الجمال الباهر

ومهما بالغ الانسان فى وصف تلك المسالك واراد أن يبرزها فى ثوبها الحقيقى فانه يرجع من وصفه بخفى حنين ، ويرضى من الغنيمة بالاياب

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

سويسرا

مازلنا سائرين فى وسط هذه المروج ، وعلى سواحل البحيرات الكثيرة المتعرجة ، التى تسحر الالباب وتذهل العقول ، وتزيد هذه الشواطىء رونقا وبهاء ، وحاية وجمالا ، المنازل المنتشرة عليها كأنها الدر المنثور فى نحور الحور ، حتى أشرفنا على جبال لوزان النضرة ، وتلالها المكسوة بأنواع الاشجار والازهار ، بعدسفر ثمانى ساعات فداخلنى سرور امتزج بكل ذرة فى جسمى ، وقلت أصحيح أننى فى بلاد اشبه بحديقة غناء فى وسطها مصايف من أجمل مابنى المهندسون ونقش النقاشون ، فالدور على اختلاف هندستها تفيض بهجة ونضرة ، ونظافة وزينة ، فهى جنة

اوروبا ، بل جنة الدنيا بأجمعها ومدرسة العمل العليا ، وابهج مصيف ومشتى لملتمس الراحة والسلوى . ان نفسى ستطمئن ويرتاح فؤادى من الاقامة فى مدينة من أبهى مدن سويسرا ، التى ضمت شمل المدنيات العصرية ، ووضعت على مفرقها تاج البدائع الارضية ، والسماوية . بلاد خص كل شبر منها بمزية ، وتناولتها الايدى بالتحسين ، فلا يتصور العقل الآن ارقى من نظامها ، ولا ابدع من طرازها وهندامها ، فهى زبدة جهاد القرون والاعصار ، المغبوطة من جاراتها ، بل من أهل الغرب أجمع ، فلم تسل سيفا لقتل النفوس ، لتمتلك الاحرار ، وتصفدهم بقيود الذل والاستعباد ، ولا ظلمت شعبا هادئا مطمئنا ، لاستصفاء حقله ، وامتصاص دمه ، وابتزاز امواله ، ولا هتكت أستارا وأعراضا ، لتغنم عروضا وأعراضا ، بل رحبت بالمظلوم ، وحمت الفار ، من أيدى الظلمة والجبارين ، ولم تهمل حق من التجأ اليها ، واحتمى بحماها ، واستظل بظلها فلسان حالها يقول

لنا جبل يحتله من نجيره   منيع يرد الطرف وهو كليل

فهى أكرم مثوى لوافد مغموم ، ومحزون محروم ، ومعهد يعلم الطالب تعليما مجردا من النزغات المذهبية ، والنزعات السياسية ، ومسلاة كل متعب راغب فى التفرغ لنفسه

لقنت الامم معنى الحكومة الصالحة والانفس العالية فقد سمعت وأنا بها أنه احتفل فى محكمة من محاكمها بمضى خمس وعشرين سنة لم يحكم فيها بجناية فهى تحتفل برقى الاخلاق ، وكمال الآداب ومعرفة الواجب ، وتضرب المثل الاعلى للامم والشعوب : ومثلت لهم احترام حق الغير أحسن تمثيل ، وجوههم هاشة باشة القريب والغريب ، شعب غنى بآدابه

بعيد عن المعايب والنقائص ، فما أسرع إقبالهم عليك اذا رأوا منك ميلا للاسترشاد بهم ، بأدب يشف عن مكارم أخلاق وحسن ذوق ورقة شعور ترتاح نفسك اليهم وتشفق من إلقاء السؤال عليهم .

يخيل للناظر ان هذه البلاد الواقعة بين أربع ممالك راقيـة فرانسا وايطاليـا والمانيا والنمسا ، قد أخذت من مدنيات هذه الممالك أطيبهـا ومحاسنها فاصبحت علما ومنارا يهتدى بها ، ومجمع الآداب فى الآفاق وآية المحاسن والجمال

تدخل الفنادق الكبيرة أو الصغيرة ، ومنازل الاغنياء والفقراء ، نجدها كلها متناسقة فى نظامها وحسن ترتيبها وهندامها ، وتشاهد المخازن والحوانيت على هذا الطراز صباح مساء

وما أنسى نظافة الفندق (اوتيل عدن) الذى نزلنا به بمدينة لوزان ، المطل على بحيرة ليمان ومن ورائه جبال الالب ، به عدة أطناف كنا نجلس فيها ، ونمتع الانظار بجمال الطبيعة ، التى تذهب عن المكروب كربه ، وعن الحزين احزانه

ثلاثة يذهبن عن القلب الحزن   الخضرة والماء والوجه الحسن

ومما يزيد النفس سرورا كثرة البواخر التى تمر أمامك تشق مياه هذه البحيرة حاملة المتفرجين والمتنزهين ، والراغبين فى رؤية المدينة التى نظمت ونسقت على شواطئها ، ومشاهـدة ما اشتهرت به من المناظر البديعة ، وصنوف الجبال وقطر السائحين والمتفرجين ، ولقد كنت أعجب كل يوم من رؤية الخادمات وما يقمن به من تنظيف البلاط

الى تنظيف الستور والنوافذ ، ونظام أغطية الأسرة والكراسى والمقاعد والمناضد ، وترتيب التحف والصور الصغيرة الى غير ذلك مما لايخلو منه فندق ، وليست هذه النظافة خاصة بالمنازل والفنادق ، بل تشاهد ذلك فى الشوارع والازقة ، فان الاوساخ الخفيفة لاتلبث ان تطرح حتى تكنس

والامم النظيفة هى التى تعشق النظافة وتحب ان ترى كل شيء فى مكانه وتتألم ألما مبرحا اذا شاهدت عكس ذلك ، والنظافة عندهم تستوجب من الافراد والحكومة عملا متواصلا ، وتستدعى أن تحث عليها الحاكم والمحكوم حتى يتعاضد الكل فى العمل كما هو الحال فى بلاد سويسرا ولذا فان بلدياتها تنفق كثيرا من المال لتجعل البلاد فى هذه الحالة من النظافة ، التى يعجب لها أرقى الامم حضارة .

واذا نظرت الى بلادنا وجدت انصرافا عن النظافة كبيرا فلا يكاد يقع نظرك الا على أقذار فى الشوارع والازقة والساحات ، بل فى البيوت والحوانيت ، لان الافراد لم يشبوا عليها ولم يألفوها فنبت عنها طباعهم مع عدم اهتمام الحكومة بها كأنها لم تأخذ ضرائب على المنازل والحوانيت وما كانت النظافة حديثة عند السويسريين ، بل هى نتيجة تربية طويلة . وملاحظة شديدة حتى تعودوها وزاولوها مزاولة انطبعت فى نفوسهم وامتزجت بدمائهم فاصبحوا فيها أرقى من الطليان والفرنسيس

والتربية العلمية والعملية المقام الاول فى نظافة هذه الامة ونهوضها . وبلوغها درجة تقرب من الكمال فى كل شيء ، حتى فاقت جميع الامم رقيا وأخلاقا وعملا وحرية ، وطمأنينة على انفسهم وأموالهم . ولذا فان كل فرد يسير فى عمله مطمئن البال هادىء النفس مرتاح الضمير .

وقد قال بعض الباحثين إن هذه الاخلاق الراقية نشأت عن امتزاج الفكر الجرمانى بالفكر اللاتينى . فأخذ السويسرى عن الالمانى صفات التدين والرازنة والشعور بالتضامن والنظام والثبات ، واقتبس من اللاتينى البشاشة والادب وجودة الحكم وحسن التقليد والظرف

والسويسرى على اختلاف أصوله ولغته فرنسيا كان أو ألمانيا أو إيطاليا قليل الفضول لا يسألك فى الفندق ولا فى الشارع اذا تعرفت اليه عن مقاصدك ولا يتبع عوراتك . ولما ترك السويسريون الناس وشأنهم فى هذه البلاد نشأ فى امم أوربا وأمريكا حسن الظن بهم فاختاروا سويسرا مصيفا ومشتى

وانما الأمم الأخلاق مابقيت فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

مدينة لوزانه

هذه المدينة بديعة المناظر نخمة المبانى مشيدة على سفح جبل اكسب مناظرها جمالا وعظمة . شوارعها منحدرة الى بحيرة جنيف .غاية فى النظافة مرصوفة بالاحجار والاسمنت . منسقة تنسيقا بديعا . ترتاح النفس اليها وترغب السير فيها ، وان كانت كثيرة الصعود والانحدار . منازلها غاصة بالحدائق والاشجار تتدلى فواكهها فى الشوارع. فلا تلمسها يد لامس. مع أنها قريبة المنال . والسائر فى ضواحيها ، كأنه يسير وسط حدائق غناء .فاكهتها كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة . مساكنها ليست ضخمة البناء . ولا عظيمة الارتفاع . كما فى ايطاليا وفرنسا . فلايزيد اكثرها عن ثلاث طبقات .

مزينة فى اطنافها وشبابيكها بالازهار وأنواع الاشجار المتسلقة التى تصعد حتى آخر البناء ، فلا يظهر منها الا نوافذ مكتنفة بالحشائش. فاراضيها خضرا وحوائطها خضراء وسقوفها حمراء .

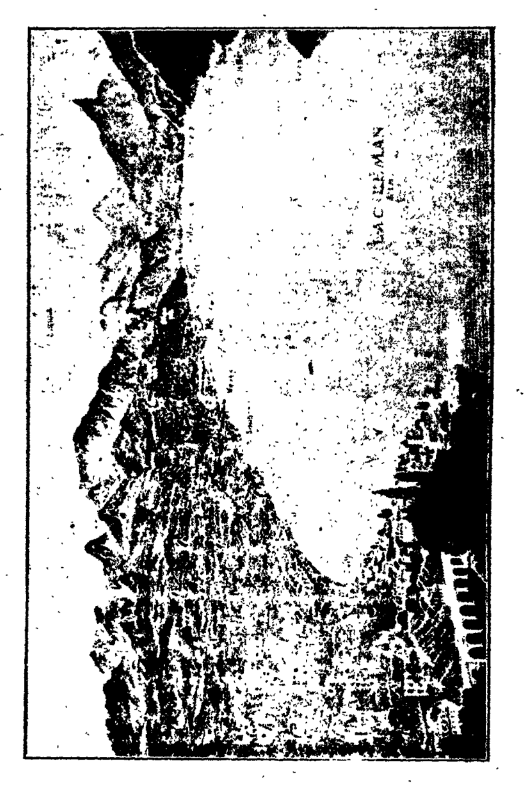
فكأنها اعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد

يفصل كل منزل عن الآخر حديقة شهية الازهار ، جميلة التنسيق ، بديعة الترتيب ، فكأن المنزل روضة عظيمة ، امتدت اغصانها ، واشتبكت افنانها وتدلت فواكهها ، تفتن الالباب بحسنها وجمالها ، وزهرها واغصانها مما يقر العين ويشرح الصدر

وقد شيدت على خمسة تلال ممتدة على شاطئ بحيرة جنيف ، وقد زرنا ضاحية من ضواحيها ، يحف منازلها البحيرة ، فرأينا آيات الجمال والفخامة وحسن المنظر ، مما يعجز عن وصفها الواصفون ، ويقصر عن نعتها الكاتبون تجولنا فى شوارعها وطرقاتها ، ومنحنياتها ومنعطفاتها ، مضينا فيها مدة كانت من اشهى اوقاتنا ، وقد دعانا جمال البحيرة ، ومانظم على شواطئها من المبانى والقصور والحدائق الى أن نركب زورقا . فاخترنا من اجملها واحداً ، وسار يخترق بنا ماء البحيرة الهادئ الذى يتجعد سطحه من النسيم فينحسر عن زرقة جميلة يحف الزورق كثير من الطيور والبجع . فجمعنا بين طرق وشيت جوانبها بانواع الاشجار . الى زرقة فى الماء وزرقة فى السماء . وجمال طيور تسبح فى الماء

وبمناسبة تلك النزهة اذكر اننا ساومنا صاحب الزورق فى الأجر فكانت أكثر مما كنا ننتظر لما اضيف اليه من أجر المجذف فاردنا أن نعتذر له

بأن ليس معنا من الدراهم المصروفة مايكفى أجر الزورق فاجابنا بكل لطف وهدوء بانه اذا لم يكن معكم ما يكفى فاحضروه غداً . فذهلت لاجابة هذا النوتى . وقلت عجبا لرجل يعرف اننا من السائحين . ولسنا من أهل بلده ويأمن أن نرجع له بالاجر غداً بعد أن ننصرف عنه : وماعهدنا عاملا قبله صنع مع من لايعرفه مثل ماصنع . ماهذه التربية التى غرست فى نفس هذا العامل الصغير . حتى جعلته يأمن من لايعرفه ؟ لانه شب على هذا وعامل الناس بها . فلم يعرف غيرها ولم يتسرب الى نفسه الخبث والشر . فيظن غيره مثله . فيعامله بماطبعت عليه نفسه من الشرور والاثام . فما اطهر قلبه واتقاه . وما أنفس هذه التربية التى جعلت احط طبقة فى الامة كأكبر رجال الاخلاق والآداب . اذا كان هذا شأن نوتى فى الامانة وطهارة قلبه من الرجس و لادران فما يكون حال الطبقة المهذبة الراقية . اعتقد أنهم لايأتون عملا ينافى الذوق والآداب ، محافظين على احترام القوانين . عرف كل واجبه ، فنزع الغل من صدورهم . فاصبحوا اخوانا متآلفين لاتحدث نفس أحدهم أن يرتكب جريمة ضد الواجب والقانون . لايعامل اخاه بما لايحب أن يعامل به نفسه . فاستراح الشرطى واطمأنت نفوس الناس على اموالهم وأرواحهم فسار كل فى عمله هادئ البال مطمئن الخاطر مرتاح الضمير فلاتقع عينك على شرطى يراقب حركات السائرين والراكبين ليرشدهم لى واجبهم ولم أر شرطيا إلا مرة واحدة فى بعض شوارع مدينة جنيف . وبعد أن حللنا مدينة لوزان رأينا أننا انتقلنا من جو ايطاليا الحار الى جو بارد قد كسى بالغيوم السوداء واحتجب عنا ضوء الشمس



بحيرة ليمان

إلا قليلا مع انسكاب الامطار أغلب اليوم ، فاعتقدنا اننا أصبحنا فى شتاء لشدة البرد وتوالى سقوط المطر والرعد القاصف والبرق الخاطف ، فاسرعنا الى تغيير ملابسنا الصيفية بملابس شتوية ، لانا قد حسبنا هذا الحساب من قبل . وكنت لااقوى على الجلوس فى حجرتى بدون معطف ثقيل يحول بينى وبين البرد

ومما يسر الناظر انك لاتجد قطرة من المطر تبقى بعد نزوله على الارض لكثرة الاستعداد لتصريف مياه الامطار . ولذا فان عقب سقوط الامطار تصبح الشوارع كأنها مرشوشة رشا خفيفا . ويكون لمنظر حدائقها المرصعة بقطرات الماء بهاء ورواء

وهناك كنا نأكل فى اليوم ثلاث اكلات ممتعة بشهوة عظيمة مع الهضم السريع المنظم . فلا يشكو الانسان سآمة ولا مللا ولا وجعا ولا ألما وقد أحسسنا بنشاط وصحة وعافية . ويغلب على ظنى ان هواء لوزان وجوها من أحسن الأجواء فى سويسرا . وقد لاحظت على وجوه أهلها دلائل الصحة والعافية ، يترقرق فى وجوههم ماء الحياة ، علتها حمرة الورد ، سواء فى ذلك الرجال والنساء الكبار منهم والصغار

ومما يشاهد فى نساء لوزان أنهن يتصفن بالنشاط والقوة وحب العمل ، والبساطة فى الملبس ، وعدم التبرج والخلاعة . فلايستعملن الاصباغ ولايتثنين فى مشيتهن ولايلتفتن يمينا وشمالا بل يسرن لما يقصدنه من اعمالهن فهن كالانكليزيات من بعض الوجوه

والنساء من الطبقة المتوسطة يخرجن لقضاء لوازم منازلهن الساعة السادسة مساء . وبعد قضائها يرجعن الى منازلهن يحفهن الجلال والاعظام

وقد شاهدت عكس ذلك من نساء مدينة جنيف وذلك لقربها من فرنسا مع أن المسافة بين لوزان وجنيف لاتزيد عن ساعة فى القطار السريع

وليست فى لوزان آثار ومتاحف تستحق الزيارة . غير انى قصدت زيارة الجامعة فالفيتها فى ميدان فسيح . شيدت على رابية مرتفعة . بناؤها ضخم . يرفرف فوق بابها علم الحرية الخفاق . فدخلتها من بابها الكبير الذى يصعد اليه بعدة درجات . فرأيت مدخلا فخما . علقت على حوائطه أطر بها تعليمات لطلبة الجامعة . ثم طلبنا مقابلة مدير الجامعة فلم نجده وارشدونا الى النائبة عنه فقابلتنا بلطف وبشاشة وتحية عظيمة فاخبرناها بقصدنا فاسفت جدا واخبرتنا ان هـذ اليوم عطلة ليس بالمدرسة طلبة ولا مدرسون فاظهرنا اسفنا الشديد لذلك ثم اعطتنا برنامجا لما يدرس فى الجامعة من العلوم ، اثناء العطلة الصيفية ، وقد تمكنا من رؤية بعض حجرات الدراسة ، وهى على احسن ما يكون من النظام والترتيب والتنسيق والزخرف، جدرانها وسقفها مزينة بالصور الجميلة أرضها متحدرة الى منضدة المعلم التى تكتنفها شجرتان جميلتان اعطتا الحجرة رونقا وجمالا وللجامعة متحف جمع فيه من أنواع الطيور والحيوان البرى والبحرى مصبرة شئ كثير رأيته من أبواب زجاجية واسعة وهنا اعتقدت ان هذا الاستعداد العلمى الكبير هو الوسيلة العظمى فى نجاح الطلاب لانهم يفهمون دروسهم فهم مشاهد مدرك حقيقة مايشرحه المعلم ، فيثبت فى ذهنه ثبوتا لايمحوه كر الايام والسنين والاعوام ، وليست نظريات العلوم التى يلقيها المعلمون على الطلبة مجدية نفعا مالم تصحبها المشاهدات

وهنا تذكرت جامعة مصر وتمنيت ان لو كان لها من العلوم والمعدات

ما الجامعة لوزان ، حتى يدرس فيها العلم الصحيح النافع فى الحياة ، ويفهم طلاب مصر مايفهم طلاب لوزان مع أن لوزان بلد صغير والقاهرة بلد كبير ولكن هناك حرية وعقول مفكرة وأيد عاملة ، بعيدة عن القيود ، فنمت نموا حسنا وفكرت بهدوء وراحة واطمئنان ، فانتجت نتائج حسنة ، عادت على الأمة بالفائدة المرجوة ، ومن لنا بهذه الحرية الغالية ، فينمو العقل المصرى المشهود له بالذكاء الفطرى ، فيبحث وينقب ، فينتج لنا النتائج والمخترعات التى نشاهدها الآن فى الامم المستقلة الحرة . ومن يأخذ بيدنا ويصعدنا الى سلم العلوم والمعارف الحقة حتى نكون مثل تلك الامم الراقية التى عرفت علاج نفس ابنائها فداوتهم بدوائها الناجع

واذا عرفت ماتحويه هذه المدينة الصغيرة من المدارس ، لأخذ منك العجب مأخذه ، وعلمت اننا من التأخير بمكان سحيق . تحتوى هذه المدينة كما اخبرنا على مائة مدرسة للبنات ، ومدارس تحتوى على ستة آلاف طالب ، فانظر يارعاك الله الى درجة انتشار التعليم فى تلك البلاد ، ووازنها بحالة التعليم فى بلادنا ، تجد البون شاسعا والفرق عظيما ، والشقة بعيدة ، فلا تجد لحكومتنا السنية من مدارس البنات مايذكر بجانب تلك مع أن تعليم البنت من أقوى الاسس لرقى الامم ونهضتها

البنت مدرسة اذا أعددتها أعددت شعبا طيب الاعراق

ويا حبذا لو كان تعليم البنت فى مدارسنا يؤهلها لان تكون صالحة للعمل فى بيتها ، بل بالعكس يفسد عليها حالها ، ويجعلها لاتهتم الا بالتأنق فى ملبسها وزخرفه وتبرجها . مما يكلف القائم بشأنها نفقات باهظة تدعوه

الى كرهها وبغضها . وفى الوقت نفسه لاتعمل عملا نافعا يعود عليها وعلى اسرتها بالفائدة . ولا انكر أن قليلا منهن يقمن فى منازلهن ببعض الواجب

والمرأة السويسرية مشتهرة بانها لاتحب الظهور كل ساعة للناس ، وهى مخلصة كل الاخلاص فى عملها ، تؤثر تعهد بيتها على كل شىء ، وتفكر كثيراً فيما يعود على حياتها البيتية بالمنفعة فتترك السفاسف من الامور والزينة والتبرج لايشغل من قلبها مكانا ، فهى امرأة منزل وعمل ، تهتم لبيتها اهتماما غريبا ، وتظهر حبها للنظام بدرجة فائقة

فما من بلد فى الارض ساوت فيه المرأة الرجل ، كما هى فى سويسرا فهى قرينته فى عمله ، وهذا ناشىء من تربيتها على حب العمل

وهنا انقل عبارة عن بعض الكتاب قال: (وقد بلغ سنة ١٩١٠ عدد السويسريات اللاتى يعملن فى الصناعات المختلفة من زراعية وتجارية وصناعية نحو ٥٧٥ر١٠٠٠ امرأة هذا فى شعب أقل من أربعة ملايين فاذا فرضنا أن النساء مليون وتسعمائة فى سويسرا واخرجن منهن العاجزات وصغار البنات لايبقى الا عدد لايذكر غير عامل من النساء ، فالمرأة العاطلة عن العمل ليست بضاعة سويسرية)

والعاملات من النساء على نسبة العاملين من الرجال ، وقد أحرزن منذ زمن طويل الحق بان يكون منهم الطبيبات والمحاميات ، ومشاركة الرجال فيها ، وقد قال أحد محررى جرائد لوزان أن الناس هنا يعملون مهما كانوا أغنياء ولا تكاد تجد عشرة فى مدينة لوزان لاعمل لهم على كثرة أغنيائها وارباب الاملاك فيها

المستشفى

قد علمت وأنا بلوزان أن بهـا مستشفى من أحسن المستشفيات ، فقصدنا زيارته ، ولما وصلنا اليه أدهشنا بناؤه ، وراقتنا حديقته ، شيد على ربوة عالية انظف من الكف ، والطف من الهواء . جلت فى طرقاته وافنيته الكبيرة الموشاة بالازهار ، واشجار الصنوبر والكافور تنتشر منها الروائح الزكية ، غاية فى حسن المنظر لنظافته ونظام بنائه ، وتنسيق طرقاته ومنحنياته

وقد استأذنا فى زيارة حجر المرضى لنرى نظامها وكيفية علاج المرضى فيها فلم يسمح لنا بذلك ، الا أنه من حسن الحظ أن صودف أثناء سيرنا فى طرقاته وجود عدد كبير من الاطباء ، يتقدمهم رجل ابيض الوجه عظيم اللحية ، تظهر عليه القوة والنشاط والذكاء ، وهو الطبيب الخاص بامراض النساء ، هؤلاء يقصدون حجر المرضى من النساء ، ليروا بعض امراضهن ، فاختلطنا بهم وسرنا معهم ، حتى دخلنا حجرة من حجر المريضات حيطانها لامعة ، واسرتها غاية فى النظافة وحسن الترتيب ، ادواتها تامة كأنها لم تستعمل

اكثر المريضات نائمات على وجوههن ، وقد رفعن رؤوسهن حين دخولنا فرأينا وجوها نضرة تعلوها الحمرة ، شعورهن ممشطة ملمومة يعلو بعضها الورد الاحمر ، حالتهن لا تنم عن مرض ، حتى قال صاحبي حين نظر اليهن (انهن مريضات بالصحة) ، وهنا تقدمت مريضة الذراع عند مرفقها ويظهر أنه طال مرضها ، واستعصى شفاؤها ، جلست على كرسي باسمة

الثغر ، وقد اجتمع حولها الاطباء ، واخذ الطبيب الخاص بمعالجتهن يشرح مرضها بعبارات جميلة خلابة ، والقاء جذاب ، مع المداعبة والفكاهة من حين الى آخر فيضحكهم وهم يصغون لكلامه تمام الاصغاء . لبث كذلك يشرح مدة طويلة حالة المرض ، ويريهم صورة المرض التي أخذت بالاشعة

ولما كنا لا نفهم كثيراً هذه الاصطلاحات العلمية ، وطال بنا الوقوف تسللنا من بينهم ، معجبين بالاعتناء بحالة المرضى ونظافتهن ، وما يلوح على وجوههن من الراحة والاطمئنان ، ومغتبطين بضخامة المستشفى ونظافته وحسن تنسيقه وترتيبه .وفي ظني أنه لا يدخله مريض حتى يتم له الشفاء ان كان في عمره بقية

اثمان التجارة في لوزان

اثمان السلع في لوزان مرتفعة ارتفاعاً فاحشا ، من ملبس ومأكل ومشرب ، وقد أخذني العجب حينما رأيت ثمن علبة (السردين) التي تشترى بقرشين في مصر تبتاع بثمانية قروش صاغا ، والبذلة الافرنكية التي تبتاع في مصر بثلاثة جنيهات ، تبتاع هناك بسبعة جنيهات ، وقس على ذلك جميع الحاجيات ، حتى أجرة الترام والسكك الحديدية ، وهذا الغلاء يلاحظ في مدينة جنيف أيضا ، إلا أن العيشة في الفنادق رخيصة جداً ، فان السائح يجد الراحة التامة والطعام الشهي ، يأكل وينام بقيمة لا تزيد عن ستين قرشاً مياومة مع الخدمة التامة والمعاملة الحسنة . ونظافة الخدم وجودة الطهى والزبدة هناك كثيرة شهية تقدم مع كل أكلة

والفضل في هـذا الرخص يرجع الى الحكومة التي ألزمت أصحاب

الفنادق بتخفيض الاثمان تخفيضا كبيراً ، حتى رغب السائحون فى الاقامة بسويسرا التى تستفيد منهم فائدة كبيرة . ولقد كان بعض البقاع فى سويسرا منذ ثلاثين سنة من أفقر بلاد أوربا فبفضل هذا الرخص وما أنشىء فيها من الفنادق وبذل أقصى ما يمكن لاستجلاب رضا السياح والمصطافين ، أثرت تلك الاصقاع ، وأصبحت سويسرا تعتمد فى ثروتها على القادمين اليها من جميع أقطار الارض ونواحيها حتى سموها (فندق أوربا) وهذه الثروة الكبيرة الطائلة التى يبذرها الاجانب فيها ، لم يحصل عليها مصادفة واتفاقا فان علم جلب الغرباء وترغيبهم قد أصبح فى سويسرا علما حقيقيا ، له أساليب وقوانين ، وجرائد ومنشورات وكتب منوعة الطريقة

وقد علم السويسريون بالتجارب والاختبار أن السائح يستمال بأشياء كثيرة منها نشر الاعلانات الكثيرة الغريبة التى تلفت الانظار ، وللصور المقام الاول فيها وكل ادارة أو نقابة توزع منشوراتها بالمجان ، وكثيراً ما تكون كتابا كبير الحجم يحتاج طبعه الى المال الكثير . ولكن الثمرات التى تعود من ذلك قد قدرت بثلاثة أضعاف ما ينفق عليها

ومنها ان كل صاحب فندق لا تحدثه نفسه باحتكار السياح ، بل يهتم أولا بنجاح المدينة ، ثم الناحية وأرباحها ثم النجاح العام . وهذا لم يتم إلا بالتضامن بين أبناء هذه الحرفة . فتشترك جميع الفنادق فى أن يعملوا عملا يسر جمهور النازلين والوافدين الى فنادقهم

وقد ألف معظم أرباب الفنادق نقابات عمت المقاطعات ، ثم ألفت المقاطعات كلها نقابة واحدة فاصبحت فنادق سويسرا كفندق واحد

ومنها أن كل سائح يجد راحته فى الفنادق على اختلاف أنواعها واختلاف

أذواق الناس واقتدارهم ، فمن أراد الرفاهية وجدها ، ومن أحب التوسط كان له ما أراد ، وكذلك من أحب أقل من المتوسط

ومنها اظهار العناية بالسائح عناية تجعله لا يمل الاقامة وارشاده الى كل ما يريد بكل لطف وذوق وانسانية ،فقد علمت أن بها أكثر من مائة مدينة وسبعة توجد فيها مكاتب لارشاد الغريب والقريب،يسأل الانسان فيها عما يشاء مجانا وقد نظمت هذه بمعرفة الشركات المحلية ولا عمل لعمال هذه المكاتب الا أن يجيبوا الناس عما يسألون من الصباح الى المساء

ومنها أنك لا تجد أحدا يضايقك فى معاملاتك فلا تجد حوذيا يلح عليك فى أن تركب مركبته ولا عاملا من عمال الفنادق يلح عليك أن تسير معه الى فندقه بل كلهم يلبون طلبك بلطف

وما برحت شركة الفنادق تتفنن فى ترغيب السائحين وراحتهم و نشر الكراسات والكتب التى لا تقصر فى توزيعها ، ومما أنشاته مدرسة لتعليم إدارة الفنادق يتعلم فيها مدير الفندق تعليما يجعله عالما بأساليب جلب رضاء السائحين ، لان ضرورة المباراة وحاجات النازلين فى الفنادق وصعوبة الحياة الحديثة تجعل صناعته مشكلة يوما بعد آخر ، ولذلك أحدثوا مدرسة داخلية فى ضواحى لوزان واسعة الارجاء مطلة على البحيرة ، وجعلت أجرة الدرس والاكل فيها لا تزيد عن ١٣٠ فرنكا فى الشهر لابناء سويسرا ومائة وستين للغريب ، ومدة الدراسة فيها ثمانية أشهر ، ويسأل الطالب فيها فى الاكثر فى اللغات الحية ويجب أن يكون سنه من ١٦ الى ١٨

وتدرس فى هذه المدرسة (١) اللغات الحية كالانكليزية والفرنسية والالمانية والايطالية (٢) الحساب (٣) الجغرافيا العامة وجغرافيا المواصلات

(٤) تاريخ سويسرا (٥) حسن الخط والحساب (٦) أصول معاملة الفنادق والمعاملات التجارية على أصول الدفاتر (٧) معرفة الحاصلات (٨) نظريات فى الخدمة والتنظيم وحسن الهندام (٩) كيفية تقديم الطعام وحفظ الصحة والرياضة البدنية والالعاب والرقص

فانظر بم ترقى الامم وتنهض وتتسنم ذروة المجد وتبلغ مدى ما يمكن بلوغه فى الحضارة والمدنية ، وكيف يجلبون الارزاق الى بلادهم وهمتهم فى العمل الى حد لا تباريهم فيه أمة أخرى اذا استثنينا الامريكان ونزع الغل والحسد من صدورهم وتكاتفهم فى العمل متساندين متعاضدين متآلفين . بهذا ترقى الامم وتسعد ، وتعيش عيشة هناء ورخاء ، وبهذا ينشر فضل الامم ويذاع صيتها وتحسن سمعتها ويشاد بذكرها فى كل جهات المسكونة ، وبهذا تنمو الحرية ويزخر بحرها ويعج عجاجه ويكثر خيرها

ولقد يهولك فيها كثرة صناديق البريد وذلك يظهر كثرة البيع والشراء والاخذ والعطاء ونمو التجارة وازدياد الصادر والوارد ، حتى لقد ذكرت إحدى الصحف مامعناه (ينم عن ارتقاء الشعب كثرة البريد وكثرة مايبتاعه من الصابون والسكر) وقد امتازت الدانمرك بكثرة بردها فان لكل ٢٣٤ ساكنا فيها صندوق بريد وفى سويسرا لكل ٢٨٦ نسمة صندوق بريد ، ولكل ٢٣٠ فى لكسمبرغ صندوق

ثم تجىء المانيا ففرنسا فالنمسا فالبرتغال فالعثمانيون اذ ليس عندهم غير صندوق واحد لكل ٦٩٥٣٠٠ نسمة

هذا بعض ماعلمته عن سويسرا وما يأتيه الافراد والشركات والحكومات لجذب السياح اليها حتى اصبحت فندق اوربا حقا وصدقا

من لوزان الى جنيف

ازمعنا السفر من لوزان الى جنيف ، فقصدنا محطتها الساعة التاسعة والنصف صباحا ، فسار القطار يخترق مروجا فيحاء وجنات واسعة تابعا شاطىء البحيرة فى سيره ، ووصف هذه المناظر ، لايزيد كثيراً عن اوصافنا التى وصفنا بها ارض سويسرا حين قدومنا اليها ، غير أن الجزء الذى قطعناه من لوزان الى جنيف كان قليل الجبال والتلال . ومما يمتاز به هـذا الجزء جمال المناظر والقصور المنتشرة على شاطىء البحيرة هنا وهناك وكثرة الحدائق والجنان ، حتى مدينة جنيف ، وقد وصلنا اليها الساعة العاشرة صباحا

مدينة جنيف

مدينة فخمة المبانى ، متسعة الشوارع ، كثيرة الحوانيت ، مشيد جزء منها فى منبسط من الارض على ضفاف البحيرة المسماة باسمها . منازلها مستديرة حول البحيرة ، حيث تستدق عند خروج نهر الرين منها الذى يشطرها شطرين عظيمين. وقد أقيمت الجسور الكثيرة على مجراه ، لتربط اجزاء المدينة بعضها ببعض ، صنعت عدة منحدرات فى مجرى النهر عند خروجه من البحيرة ، ينتفع بها فى توليد الكهرباء وادارة بعض المعامل والمصانع ، فترى الماء عند انحداره ، كأنه فيروز ينتثر على الأحجار . وقد امتازت هذه البحيرة بصفاء مائها وزرقته، تمخر فيها الجوارى الحسان، المزينة جميعها بالاعلام ، تحمل السائحين والمتنزهين والمتفرجين الذين يقصدون المدن الجميلة الواقعة على شواطئها ، مثل مدينة افيان وفيفيه ولوزان وغيرها ، من المصايف المشهورة . ويحيط بهذه البحيرة جبال بهية مجللة قممها بالثلوج

الناصعة البياض ، والتى تتلون بألوان جميلة زرقاء وخضراء وبيضاء فى غضون مرور الشمس عليها ، يقصدها اكابر البلاد واغنياؤها والسائحون ، وفى اكثرها قصور لبعض الاغنياء وفنادق جميلة ، شيدت على قمم الجبال ، تستهوى الافئدة بمناظرها الفتانة وشكلها البديع

ولا أكذب القارئ اذا تحدثت اليه بذهولى لرؤية هذه المناظر مجتمعة ، زرقة ماء ، وجبال شماء ، وثلوج ناصعة بيضاء ، وقصور فيحاء وحدائق غناء

ولجنيف شهرة كبيرة بمدارسها الجامعة ، يقصدها الطلاب من كل الانحاء ، وبها معامل كثيرة لصنع الساعات ، وأهلها يتكلمون الفرنسية لمجاورتها لفرنسا ، وأعظم متنزهاتها البحيرة وما يحيط بها من آكام وجبال شيدت فوقها القصور ، وطرق وشيت بالاشجار ، وحدائق رصعت ببدائع الازهار خصوصا ماوقع منها على شاطىء البحيرة ، وقد انشىء عليها شارع طويل جدا ، عبارة عن متنزه ، يكتظ بالمتنزهين الذاهبين والآيبين ، فيكون لذلك أثر فى النفس وراحة فى القلب ، به انواع كثيرة من الاشجار ضخمت جذورها . واشتبكت فروعها ، زينت جوانبه بانواع الازهار والحشائش ولا غرابة فى أن يكون اهل جنيف اهل رقة ولطف وذكاء متوقد

ولقد شعرنا بتغيير الجو فجأة ، حيث انتقلنا من جو لوزان البارد الى جو جنيف الحار ، مع انها لا تبعد عن لوزان الا بمقدار ساعة فى القطار السريع ويظهر أن تشييد لوزان على سفح الجبل اكسب جوها برودة

ولقد داخلنى سرور لا يوصف ، لرؤية منبع نهر الرين من نهاية البحيرة

المستدق عند جنيف ، حيث أقيمت عليه عدة قناطر (كبارى) تربط اجزاء شوارع المدينة بعضها ببعض وبين كل جسرين تكون جزء صغير من النهر يسبح فيه البجع والزوارق البخارية التى تحمل المتفرجين والمتنزهين تغدو وتروح بهم فرحين مسرورين. وقد ركبنا زورقا اخترق بنا عدة اجزاء منها مارا من فتحات القناطر ، وقد تكونت فى بعض هـذه الاجزاء من المياه جزيرة صغيرة ، يصل الانسان اليها من طريق ممتد من احد الجسور المقامة على النهر ، بها متنزه جميل وأشجار باسقة ، وقهوة جميلة ، اقيم فى وسطها تمثال نخم للعالم الفيلسوف الذائع الصيت (جان جاك روسو)

ومما زاد سرورنا اننا نزلنا فى فندق على شاطئ البحيرة (يسمى روجينا) واخترنا حجرتنا فى الطابق الرابع ، فظهرت لنا البحيرة ليلا تتلألأ بها الانوار الساطعة اللامعة ، فينعكس ضوءها فى الماء كزئبق رجراج ، اوفضة نثرت عليها أحجار الماس ، والزوارق تغدو وتروح بالسائحين يجتلون مناظر هذه البحيرة الجميلة التى أبدعت تنسيقها يد الطبيعة

عصبة الامم

فى اليوم الذى وصلنا فيه الى جنيف ، قصدنا زيارة دار عصبة الامم فرأينا بناء ضخما فسيحا يشرف على بحيرة جنيف ، تزينه حديقة كبيرة فاستأذنا فى الدخول فاذن لنا . وقد صحبنا فى زيارتها احد مستخدميها العارفين ، فارانا الحجرة التى يجتمع فيها اعضاء العصبة . ومقاعد محررى الجرائد فيها والمتفرجون يجلسون خلف محررى الجرائد اذا كانت الجلسة علنية . والحجرة واسعة جميلة المنظر ، مزينة بالرسوم والنقوش ، وفى آخرها

الجنوبى مبنى يرتفع قليلا ، وضعت عليه المنضدة المكسوة بالمخمل الازرق وحولها كراسى اعدت لجلوس الاعضاء . وقد فرشت ارضها ببساط ازرق من لون غطاء المنضدة

وبدار العصبة مكتبة من أحسن المكاتب نظاما وتنسيقا . مباحة لكل من يريد الاطلاع على أنواع العلوم والفنون . صفت فيها المناضد والمقاعد ليجلس عليها بعض المغرمين بالاطلاع ردحا من الزمن

وقد رأيت فى هذه الدار حجرة واسعة مستطيلة . رصت فيها الكراسى على هيئة مدرج (أنف تياترو) قليل الانحدار . وقد اعدت هذه للجمعية العمومية لعصبة الامم ، لالقاء الخطب والمحاضرات فى الشئون الهامة ، يحضرها كثير من ذوى الحيثيات والمقامات الرفيعة . مزينة جدرانها واسقفها بالصور الجميلة والنقوش البديعة . وقد سألنا مرشدنا عن عدد الدول التى انتظمت فى سلكها فاخبرنا انها تبلغ نحو اربع وخمسين دولة . وللاربعة واربعين دولة موظفون بهذه الدار . يقومون بشئون دولهم فيها . وقد اتفق وجودنا وقت انصراف الموظفين ، فرأيناهم يتقاطرون رجالا ونساء من جميع جهاتها مختلفى الوجوه والالوان والازياء فنراهم بادئ ذى بدء ، سائحين يزورون هذه الجمعية كما نزور ، فسررت جداً لمشاهدتها ، وتذكرت مايحكم به هؤلاء الاعضاء على الامم والشعوب المهيضة الجناح ، ويقضون فيما يقع بينهم من المشاكل والمنازعات السياسية ، وهى مفيدة نافعة اذا تجرد اعضاؤها عن الهوى ، وعدلوا واقاموا الوزن بالقسطاس ولم ينحازوا الى اممهم ويعملوا لصالح بلادهم فحسب ، ويقضون القضاء المبرم على الامم العاجزة التى لاحول لها ولا قوة فتقع فريسة بين مخالبهم الحادة المهلكة

وهنا وددت لو كنا مستقلين استقلالا حقيقيا متمتعين بحريتنا حتى نصبح فى عداد الامم الحية الحرة التى نفضت عنها غبار الذل والهوان ورتعت فى بحبوحة العز والهناءة ، وكسرت قيود الاستعباد ، ويكون لنا ممثلون يشغلون محلا فى دار هذه العصبة ، ويعملون لخير بلادنا ويدفعون عنا غائلة الامم القوية الفاتكة

جامعة جنيف

واقعة فى الجزء المرتفع من المدينة على شمالى البحيرة ونهر الرين ، امامها ميدان فسيح به بعض التماثيل ، غير أن بناءها أقل ضخامة من جامعة لوزان . رأينا فيها حجر الدراسة مشغولة بالطلاب والطالبات ، ملتفين حول منضدة طويلة ، والمعلم جالس فى نهايتها ، يلقى دروسه بهدوء وسكينة ، بحيث لا يسمع له صوت خارج حجرته ، وبعض الحجر هيئت على نظام مدرج ، والطالبات والطلاب مختلطون لا حاجز بينهم حين تلقى دروسهم من المعلم

وقد كان الدرس فى هذا اليوم يبتدئ الساعة التاسعة صباحا ، فلما حان الوقت وجدنا الطلاب والطالبات ، والسائحين والمتفرجين ، يتقاطرون من كل الانحاء ، وحضور الدرس مباح لكل شخص مقابل جزء قليل من الدراهم فاردنا أن نأخذ جوازا بحضور درس من الدروس ، حتى نطلع على نظام التدريس ، وكيفية الالقاء ، ولكننا اخبرنا ان الجواز يؤخذ قبل الدرس بيوم

والجامعة واقعة فى حديقة كبيرة جدا فى نهايتها الشرقية تماثيل عدة لعظماء رجال السياسة والعلم من اهل سويسرا

وقد كتب على كل تمثال منها بعض أعماله العظيمة التى تدل على مقدار ماله من الفضل والهمة فى رقى امته

وهكذا تعيش الامم الحية بتمثيل عظماء رجالها لابنائها حتى يتسنى لهم النسج على منوالهم . والاقتداء بأعمالهم. فينشئون على حب الفضيلة والعمل لامتهم وانكار الذات وتضحية المصالح الخصوصية بجانب المصالح العمومية . فيسعى الكل متكاتفين متساندين فى رفعة أوطانهم وترقية شئونها ماديا وعلميا واقتصاديا . فيعيش الافراد ناعمى البال مطمئنى القلب .

ومما يلفت النظر فى سويسرا بنوع خاص ان دواوين الحكومة ومصالحها ليس بها حجاب ولا خدم يرشدونك الى محل رؤسائهم

ولقد ذهبنا الى زيارة مصلحة الصحة بناء على ما كتبه مفتش الحدود بين ايطاليا وسويسرا على الجوازات من ضرورة عرض أنفسنا على طبيب الصحة فلما ذهبنا اليه لم نجد من يرشدنا الى حجرة الطبيب الخاص لعدم وجود خدم ولا حجاب ولا سعاة على الابواب الخاصة بالموظفين بل يدخل الانسان دار الحكومة كأنه داخل فى محل خال من الموظفين لان كل موظف داخل حجرته المغلقة . وما زلنا نتنقل من طرقة الى أخرى ومن محل لآخر ونسأل من يصادفنا من الناس حتى وصلنا الى حجرة الطبيب . فاطلع على الجوازات وأعطانا شهادة بأننا اصحاء الاجسام .

وقد كتب على باب حجرة كل موظف هذه العبارة (أدخل بدون استئذان) وحينئذ خطر ببالى (والضد أقرب خطورا بالبال) ما يكتب على أبواب الموظفين هذه العبارة (ممنوع الدخول) كأنه يأتى أمرا منكرا داخل حجرته مع ما يهولك من كثرة الخدم والسعاة الواقفين على بابه فاذا

أردت الدخول فى مصلحة من المصالح المصرية لقضاء شأن من الشئون أخافك من يقابلونك من الخدم والسعاة والحجاب فلا يمكنك مقابلة الرئيس حتى تقابل الحاجب ثم كاتم السر (السكرتير) ، الى الانتظار الممل ، بل ان لم ينظر الكاتم إليك نظرة عطف ورحمة خرجت فى بعض الاحيان من المصلحة بدون مقابلة الرئيس فتتعطل أعمالك ويذهب وقتك النفيس سدى ، فتفضل عدم قضاء مصلحتك على ما تراه من الذل والهوان فى سبيلها

فمتى يأتى الوقت الذى يعرف فيه الموظف المصرى واجبه ، ويحترم حقوق الناس ويسعى فى انجازها ، ويعلم أنه ما جلس على كرسيه الا لخدمة الناس وقضاء مصالحهم ، وأنه يأخذ أجره من عرق جبينهم ، وتمتنع هـذه الكلفة والفوارق الهائلة التى تجعل الهوة سحيقة بين الموظفين والاهليين ، ولا تكون مصالح الحكومة كالتكايا يقيم الموظفون فيها بدون انجاز أعمال الناس . والويل لك إذا دخلت مصلحة لم تعرف بها أحدا فأنه لا يقضى لك أمر ولا ينجز لك عمل واذا طالبت بحقك سمعت ما تكره وربما كان ذلك سبباً فى أنه لا تقضى حاجتك إلا إذا توسلت بالرئيس وكان عادلا لطيفا

وقد عجبت كل العجب من عمل السويسريين ونظامهم فى أعمالهم ، وانجازها بالترتيب لا فرق بين قريب وغريب وحقير وعظيم

وعلى الجملة فقد جمعت سويسرا بين محاسن الطبيعة ومحاسن الاخلاق والنظام فى الاعمال

ولكون هذه المدينة لم تحو آثارا ولا متاحف لم تطب لنا الاقامة فيها كثيراً وقد غادرناها الى مدينة باريس قصبة فرنسا ان شاء الله .

من جنيف الى باريس

بعد أن فرغنا من زيارة أهم مايزار فى مدينة جنيف ، قمنا منها قاصدين مدينة باريس ، فركبنا القطار الذى يقوم من محطة جنيف الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا ، فوصلنا الى باريس الساعة العاشرة والنصف مساء وحجر القطار فاخرة تحوى ثمانية مقاعد كل مقعد عليه رقمه ليتيسر لكل من يحجز الامكنة معرفة مكانه ، وكل مقعدين يفصلهما فاصل مكسو بالمخمل الاحمر ، وقد سار القطار بنا يهب الارض نهبا ، نحو ساعة ونصف ساعة فى مناظر سويسرية جميلة ، تأخذ بالالباب وتسحر الافئدة ، حتى وصلنا الحدود الفرنسية عند محطة تسمى (ديوان التفتيش) فمكثنا بها نصف ساعة ومر بنا المفتش خلفه خمسة رجال يساعدونه ، فيسأل الراكبين هل عندكم شيء ممنوع حمله فيكتفى منهم بقولهم لا أو نعم ، وبعد ذلك سار القطار فى اجزاء من بلاد فرنسا تشبه مناظرها المناظر السويسرية ، الى أن وصلنا الى محطة غير منها القطار اتجاهه ، وهنا سار فى أرض سهلة ، متوسطة الخصوبة ، يتخللها قليل من جبال وتلال ووديان وماء جار ومزارع واسعة ، ترتع فيها الماشية محتاطة بسياج من الاشجار يمنع الماشية من تجاوزها مرعاها

وعند الساعة الثالثة دعينا فى المرة الثانية لتناول طعام الغذاء مقابل سبعة عشر فرنكا ، وانواع الاطعمة لذيذة شهية وهى :

١ — كامخ (سلطة) وهى سردين ـ قوطه بيض ممزوج بشىء شهى (٢) شربة (٣) بيض مقلى ممزوج بلحم الخنزير ، ولذا لم يكن لنا نصيب فيه

(٤)قطعة من اللحم العجالى الصغير (بتلو) تسمى(روزبيف) يصحبها بطاطس محمرة (٥) جبنه رومى (٦) جيلاته (٧) موز وتفاح

وقد انتهينا من الاكل الساعة الرابعة والنصف . ولما لم يكن يصحب هذا الاكل ماء غير المشروبات الروحية اضطررت لاخذ زجاجة ماءمعدنى ثمنها ثلاثة فرنكات قيمة الفرنك بالقطع قرش وربع قرش .

وقد أخذ القطار يسير بسرعة عجيبة ، ولم يقف بعد أن جاوزنا حدود سويسرا غير مرتين حتى وصلنا الى محطة باريس وهنا يعجز القلم عن وصف الانوار التى تتقدم محطة باريس على مسافة بعيدة ، وقد ظهرت المحطة والضواحى تتلألأ بالانوار الساطعة الخلابة ، التى تأخذ بمجامع القلوب ، وتسحر الالباب ، وتترك فى النفس أثراً لا يمحى ، خصوصاً لمن لم يرها قبل ذلك

وقد يخيل للرائى أنه يسير وسط ثريات وأنوار ساطعة ، كأنه فى حتفال بمهرجان عظيم وقد سار القطار مسافة طويلة فيها

وبعد أن وصلنا الى محطتها ، نادى كل مندوب باسم فندقه ، وقد قرأنا فى الجرائد أسماء الفنادق ، والعيشة فى الاسر ، وأثمان كل فاخترنا النزول فى بنسيون (عيشة الأسر) ، فركبنا سيارة تطوى الارض طيا ، وسط شوارع واسعة ، كثيرة الاضواء المتلألئة وما زالت سائرة حتى وصلنا الى المكان الذى نقصد اليه فلم نجد فيه حجرة خالية ، فرجعنا بالسيارة نبحث عن فندق حتى عثرنا على فندق يسمى (مصر) فارتاحت نفوسنا الى ذكر هذا الاسم المحبوب عندنا ، ومنينا أنفسنا بالراحة فيه ، ولكن الامر كان بعكس ذلك . فان صاحبه طلب منا فى الحجرة التى تحوى سريرين ستين فرنكا عدا الاكل

وهى قيمة كبيرة بالنسبة له ولذا نمنا فيه تلك الليلة وفى الصباح قمنا مبكرين وكان هذا اليوم باردا فتناولنا طعام الافطار وخرجنا نبحث عن السفارة المصرية حتى أرشدنا اليها . وهناك قابلنا حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ البنا إمام السفارة مقابلة شفت عن لطفه المعهود وأدبه الجم ، وحضرة صاحب العزة سيزوستريس بك الذى كان قنصلا لمصر فى البلجيك فى ذلك الوقت وهو غاية فى الأدب وحسن الخلق ورقة الحديث ، وحضرة عبد السلام بك الجندى المملوء همة ومروءة وذكاء ، وغيرهم من موظفى السفارة. فارتاحت نفوسنا واطمأنت قلوبنا ، وأصبحنا كأننا فى مصر ، لوجودنا بين أبناء وطننا العزيز وأخذنا نتجاذب اطراف الحديث عن مصر وحالتها العامة برهة من الزمن ثم سألناهم عن الفنادق التى يعرفونها فارشدونا الى فنادق جميلة اخترنا منها واحدا موقعه أمام القنصلية المصرية وأجرة النوم فيه خمسون فرنكا بما فى ذلك الاكل. فاحضرنا حقائبنا اليه وتناولنا فيه طعام الغذاء واسترحنا الى الساعة الرابعة وبعد ذلك خرجنا لنرى أهم شوارع باريس . وهنا يقف القلم ويجمد الفكر ولا يعرف كيف يصور الكاتب أو يصف مايقرب جمالها وحسنها الى ذهن القارىء لانها جمعت من المحاسن نصيبا وافرا ولكن أجدنى مضطرا الى ذكر شىء مجمل عن وصف باريس وما حوته من الجمال والابداع

باريس

هى باجماع آراء الكتاب والزائرين لها والقادمين عليها والساكنين فيها أول مدائن الارض عظمة وضخامة ، وزهاء وبهاء ، ورونقا وجمالا .

وحسناوجلالا . لم ير الناس من يوم أن قامت للحضارة والمدنية قائمة نظيرا لها يناظرها ،ولا شبيها يشابهها . فى جمال شوارعها . وضخامة مبانيها . وعظمة ميادينها ، ومتاحفها وحاناتها ومتنزهاتها ، وتنسيق حدائقها وقصور ملوكها ، ورقة أهلها

فهى مركز دائرة التمدين الحالى ، ونبراسه الذى ينير ما حوله من البلدان والممالك . مقصد الطلاب . وقبلة السائحين ؛ ونزهة المهمومين . ومفرجة كرب المكروبين ، يؤمونها من فجاج الارض على اختلاف مللهم ونحلهم وأجناسهم ؛ ويتسللون اليها من كل حدب وصوب . فلا تخلو هذه المدينة العظيمة من الآلاف المؤلفة تنساب اليها من جميع الاقطار والنواحى القاصية والدانية ؛ سواء فى الصيف أم فى الشتاء ليمتعوا أرواحهم بجمالها . ويغذوا نفوسهم بزيارة معاهدها ومتاحفها وآثارها . ويرتضعوا لبان علومها ومعارفها . ويرتشفوا من منهلها العذب . ويرجعوا الى بلادهم متضلعين فى العلوم والمعارف وأنواع الفنون والصنائع . فهى مطمح القاصد ونجعة الرائد . ومورد الظمآن وجنة الضجر . وسلوة المحزون . منبع الازياء ومصدر الكياسة واللياقة واللطف والظرف . أس الحضارة وفهم الاشارة وموطن الرقة والرشاقة . يقفو المتمدينون أثرها ويتبعون خطواتها وينسجون على منوالها ويحتذون حذوها فيما يستجد فيها من التمدين

طليعة المدائن العظمى فى العلوم والمعارف والمخترعات ، عليها اعتمد الناس فى ترقية النشء ، واوسلت اليها الممالك المختلفة ، والبعوث الكثيرة ليرقوا بلادهم بما تعلموه واستناروا به من علوم هذه المدينة العظيمة وفنونها فيعلو شأنها وتصبح امة حية ناهضة ، بين الامم الراقية

ولقد كان لها الفضل الاول فى ترقية افكار المصريين ، المرسلين اليها زمن محمد على باشا وخلفه ، فرجعوا منها حاملين لواء العلم ، ونالوا فى ميدانه القدح المعلى فاصبح يضرب بذكائهم المثل ، ولهم الأثر البين فى النهوض بامتهم وترقية احوالها ماديا وأدبياء وفى رواج الصناعة والتجارة وتنظيم الجيوش ونظام الشوارع والمدن ، والحدائق ، وسن القوانين والنظام الذى ضمن سير الامور على محور الاستقامة والعدل

فيها من المعارض والمتاحف ، ودور العلم ، وبيوت الصناعة، مايعجز القلم عن وصفه وتعداده ، وبيان قيمته الفنيــة والعلمية ، التى تدل دلالة واضحة على ما لفرنسا من القوة العامية ، والمجد التالد ، وضربها فى العلوم والمعاوف بسهم وافر ، حتى اصبحت علما يهتدى بها ، ومنارا يسترشد به ، فى دياجير الظلمات ومدلهم الخطوب والنوائب ، ولطالما تغنى المادحون بمدحها واجاد الواصفون فى وصف تلك المشاهد والمناظر التى تسر الناظرين وتفتن عقول السامعين

يخيل إلى السائرين فى شوارعها وطرقاتها ومنحنياتها انه فى عيد عظيم واحتفال جسيم ، لان أهلها فى هرج ومرج ، غادين رائحــين ، لبس وخلاعة ، جمال ورشاقة ، وجوههم مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ، تحسبهم لم يخلقوا الا للنعيم ولم يعيشوا الا فى هنائه ، لايعرف الشقاء ولا البؤس لهم بابا ، يهرعون الى هاتيك المتنزهات اليانعة ، والرياض النضرة ، ذات الازهار الجميلة ، يكبون على الملاهى ، ويتهافتون عليها ، تهافت الفراش على النار فهى بهم غاصة ، وبمناظرهم الجميلة مزدانة ،

يدلك على مقدار تهافتهم على دور التمثيل والملاهى انى قصدت مرة

ان احضر رواية (تاييس) فى الابرا حتى ارى بعينى ماشوقنى الى رؤيته الواصفون ؛ قصدت نافذة التذاكر لابتياع تذكرة منها الساعة الحادية عشرة صباحا ، وقد تأخرنا عن الميعاد المضروب لفتح نافذة التذاكر خمس دقائق ؛ فلم نتمكن من الوصول الى النافذة الا الساعة الثانية عشرة وربع الساعة ، فكيف يكون الحال لو تأخرنا نصف ساعة ، وقد بلغ الازدحام غايته ، ولذا تجد رجال الشرطة فى عناء وتعب لكثرة الوافدين بين أهلين واجانب

وانه ليعسر على الذى يزور باريس وهذه حالها ، وتلك آيات جمالها ، وصفها وصفا يقرب حقيقتها الى ذهن القارئ

وان الشوارع الباريسية ، محور الجمال والاتقان ؛ ينفق عليها مجلس بلديتها المبالغ الطائلة فى كل عام ، حتى تبقى بحالة تليق بعظمة المدينة ومكانتها فترى فيها احسن ما اكتحلت بمرآه العين ؛ من قصور فخمة للأثرياء ؛ او لحفظ الآثار ، او للفائدة العامة ؛ ومخازن جمعت ماتناهى فى الحسن وغرابة الصنع ، رتبت فيها البضائع على نسق بديع ؛ وجواهر تسطع انوارها وتتلألأ من وراء الواح زجاجية نقية ، وهى فى الليل اوفر بهاء وزخرفا منها فى النهار ؛ إذ يلقون عليها النور الكهربائى ، فتزهو فوق زهائها وتتلألأ بضوئها الساحر ، فيجذب بريقها الساطع آلافا من المتفرجين ، وعلاوة على ذلك فان فى كل الشوارع اناسا يخطرون بابهى الحلل وسيدات يرفلن فى الدمقس والحرير وبديع الازياء ؛ ولهن فى حركات السير والتثنى فن عجيب يصدق عليهن قول الشاعر :

اذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران

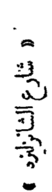
فلو انك زرت باريس ولم تشهد ضواحيها ولم تدخل متاحفها وقصورها الباذخة ، وجنائنها اليانعة ، بل اقتصرت على التجوال فى شوارعها الفيحاء لكفاك منظراً ترتاح اليه نفسك ، وتشهد بغرابة هـذه المدينة ، التى لم يشيد الناس الى هذا اليوم نظيرا لها ·

شارع الشانزليزه

هذا الشارع يمتد من ساحة الكونكورد الى بناء قوس النصر ، الذى شرع نابليون الأول فى بنائه ، لانتصار جيوشه على جيوش اوربا

وهو يعتبر متنزها عاما لاهل باريس ، تحفه الحدائق الغناء من الجانبين ، قد نضدت على جوانبه المقاعد الكثيرة للحكومة ولبعض الشركات فاذا جلست على كرسى للشركة ، جاءك عامل يطلب منك ان تدفع له نصف فرنك أو اقل من ذلك مقابل جواز (تذكرة) ، تبيح لك التنقل على تلك المقاعد طول اليوم . وهـذا الشارع مقسم الى ثلاثة اقسام ، قسم لسير السيارات الغادية والرائحة ، وقسمان للغادين والرائحين مشاة

وجميع هذه الأقسام غاصة بالأشجار الباسقة والازهار الجميلة ، يتخللها كثير من النافورات ، تسير فيه السيارات متصلة بعضها ببعض كالقطار يظن الناظر اليها انه فى احتفال بملك كبير او فاتح عظيم ، فاذا اراد الانسان قطع هذا الشارع عرضا ، فلا يتمكن من اجتيازه الا بصعوبة ، فالناس فيه كأنهم فى يوم حشر ، تحيط به العمائر العالية من الجانبين ، تناطح السماء بعلوها الشامخ تحوى منازل الاغنياء . وقصور الأثرياء . والقهوات ومسارح اللهو والفنادق



« شارع الشانزليزه »

فلو سرت فيه يوم الاحد لرأيت من اشكال الناس وازيائهم وجماعاتهم مايبهرك ، وتحسب ان السعادة والجمال صورا فى ذلك الشارع ، فاينما قلبت الطرف رأيت جمالا يروقك ، ومنظرا يسرك ، تسير فيه المركبات الضخمة التى تسمى (امنبوس) وهى كثيرة فى شوارع باريس ولندن

ساحة الكونكورد

هى ساحة واسعة لانظير لها فى الارض كلها كما علمت ، ولم تصنع امة من الامم مثل هذه الساحة العظيمة الشأن ، يرى السائر فيها ابهى المناظر واحسنها ، فى وسطها مسلة مصرية ، اهداها المغفور له محمد على باشا الى لويس فيليب ، ملك فرنسا . وهى قائمة على قاعدة عظيمة ، ومن حولها المماشى والممرات الواسعة ، يسير فيها المتنزهون والمتفرجون . وقد شيد فى ناحية منها عدة فساقى جميلة ، تخرج نافوراتها ، من افواه صور اسماك تحضنها تماثيل فتيات من احسن ما اقامه المثالون فهى آية فى الابداع والجمال

وساحة الكونكورد كما علمنا قديمة العهد اشتهرت ايام الثورة الفرنسية. شهدت فى تلك الثورة مالم تشهده الساحات والميادين فى العالم من الاهوال والفظائع . حدث بها من الحوادث ماتشيب لهولها الولدان ، وترتعد لذكرها الفرائص فان رجال الثورة جعلوها مقر فظائعهم ومظالمهم ، فاقاموا فيها المشانق وأطاروا مئات رءوس من العظماء والأمراء ورجال الدين. صبغت جوانبها بدماء المقتولين . ولقد قال بعض المؤرخين ، إن الذين قطعت اعناقهم فى ساحة الكونكورد مدة سنتين ، من سنة ١٧٩٣ الى سنة ١٧٩٥ لم يقلوا عن الفين وثمانمائة شخص من عظماء فرنسا ، منهم الملك لويس السادس عشر



« ميدان الكونكورد »

وزوجه ماری انتوانت واختها اليصابات ، وأخوه الدوك دورليان، وابن عمه فيليب واعوانهم ، وكثيرممن ينتسب اليهم

فسبحان الملك الديان الذى يغير الشئون من حال الى حال ، فبعد أن كانت مصرعا للرجال ، ومقرا للمظالم والنكبات والاهوال ، اصبحت مسرحا للغوانى الحسان ، ومركز البهاء ، ومقر الظرفاء ، ودعامة العمران ترتاح لمنظرها النفوس ، وتسر لرؤيتها القلوب، مذهبة الاحزان ، ومخففة الاشجان ، لما حوته من المناظر الفتانة ، والتماثيل البديعة الصنع .

وينتهى شارع الشانزليزه من الجهة الاخرى بقوس النصر العظيم

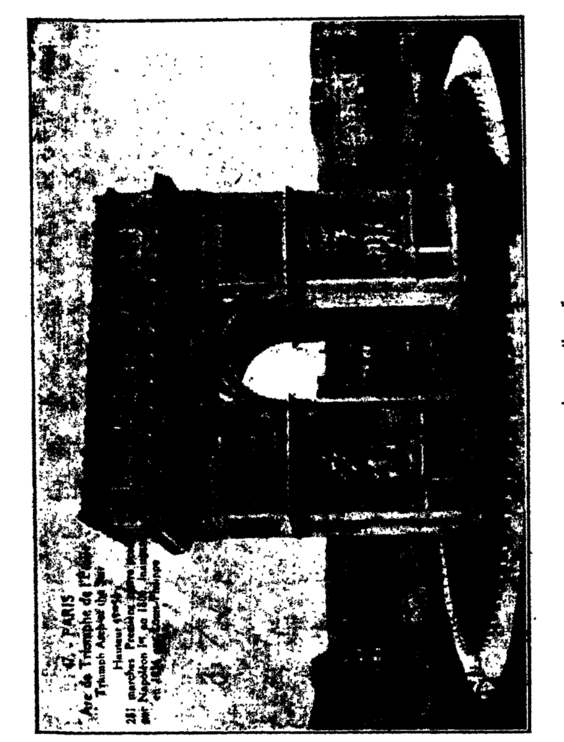
قوس النصر

هو بناء ضخم شاهق البنيان ، عظيم الأركان ، له أربعة حنايا ضخام مقام وسط ميدان عظيم ، تتفرع منه عدة شوارع من اكبر شوارع باريس المعدودة فى اوائل شوارع مدن العالم زينة وبهاء

شرع نابليون الاول فى بنائه تذكارا لانتصاره على جيوش اوربا ، واتمه من بعده فيليب ، تحوى حناياه رسوم المعارك العظيمة التى احرزت فيها الجيوش الفرنسية نصرا على الاعداء

وقد اقيم فى اعلى هذه الحنايا الاربع عدة تماثيل ، غاية فى العظامة . تمثل رجالا وفتيات وحيوانات ، رمزا وتصويرا لحالة فرنسا وحروبها وغلبتها فى المعارك والوقائع الحربية الكثيرة .

وهو اكبر قوس للنصر فى الارض كلها كما علمت ، ويعرف باسم قنطرة الكوكب ، رمزا للكوكب الذى تنبعث منه الاشعة والانوار فى



قوس النصر بباريس

كل جانب . كما تنبعث منه الطرق وتتفرع منه الشوارع ، وهى اثنا عشر شارعا ، من اجمل الشوارع واحسنها ، توصلك الى داخل المدينة وخارجها قد زينت جميعها بالاشجار الباسقة ، والازهار النضرة ، والقصور الشامخة. والمآثر الباذخة ، والمصايف الجميلة البديعة

ومن اهمها الشارع الذى يوصل الى غابات بولونيا . فهو لا يقل كثيرا عن شارع الشانزليزه من حيث السعة وانشاء الحدائق على جانبه حتى يتصل بغابات بولونيا ، رصت على جانبيه المقاعد داخل المتنزهات وخارجها

ولمعظم هذه الشوارع وتشابهها يضل الانسان فيها ، ولا يعرف الشارع الموصل الى محل قصده ، وقد ضللنا مرة فيها وحسبنا اننا نسير فى الشارع الذى يوصل الى فندقنا ، فاذا بنا فى شارع غيره وهذه الشوارع كلها مركزها قوس النصر ، فاذا وقف الانسان تحته ومد بصره رأى هذه الشوارع عبارة عن حدائق غناء فاصبحت بذلك مجتمعا لاهل الترف ، ومتنزه جماعات الحظ واليسار ، يأتون اليها ، من سحيق الاقطار ، ليمتعوا بمحاسنها الطرف. يجتمع فيها كل يوم من أهل المدينة ونزلائها الآلاف المؤلفة ، ليجلوا محاسن مناظرها ، يسير أكثرهم فى سيارات جميلة المنظر ، والأزاهر من هنا وهناك ، والشجر الانيق فى كل جانب وماء البحيرات الصناعية يتدفق من انابيبها ، فكأن السائر فيها يسير فى ارض جمعت انواع المحاسن . ولا غرابة بعد هذا الجمال اذا توافد عليها الناس من جميع فجاج الارض بخيلهم ورجلهم ، حتى ان المسير يتعذر على الناس خصوصا ايام الآحاد فتضطرب صفوف السيارات وتسير الهوينا

ولم يكن يحلو لى الا الجلوس فى حدائقها والسير فى جنباتها، خصوصا غب المطر الذى يكسبها منظرا حسنا وهواء عليلا ونسيما بليلا

وفى وسط ارض قوس النصر مدفن الجندى المجهول، تذكار التضحية التى قامت بها فرنسا فى الحرب مع المانيا من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨

ومما يلفت النظر فتحة فى نهاية القبر تتصاعد منها النيران ليل نهار يحيط بالمدفن، الذى لا يرتفع عن سطح الارض، اكاليل الازهار الكثيرة يحضرها من فقدوا اقاربهم فى الحرب، ولم يعرفوا عنهم شيئا. وهو رمز لكل جندى فقد فى ساحة القتال، وهذا القبر محروس بجنديين يقفان امامه دائما، وقد كتب على سطح القبر ماترجمته: (هذا قبر الجندى المجهول الذى قتل مدافعا عن وطنه)

وكل شخص يزور هذا القبر يخلع قبعته ويقف أمامه خاشعا خاضعا، وقد وقفت أمامه ولم انتبه لذلك، فجاء الى الجندى وارشدنى بلطف الى خلع القبعة فخضعت لاشارته

وكل من حل هذه المدينة تدعوه نفسه إلى رؤيته ولذلك تجد السائحين والزائرين يفدون اليه بكثرة عظيمة

وكل يوم أحد تقوم فرقة من الجيش بموسيقاها تحمل اعلاما واشارات كثيرة تقف امامه وتؤدى التحية العسكرية له ويتبعها كثير من الناس، ثم ترجع بهذه الاعلام والموسيقى تصدح بالحانها المحزنة، مخترقة الشوارع، فيكون المنظر مؤثرا والحزن والسكون والرهبة بادية على وجوه السائرين

والجندى المجهول يدفن فى اضخم محل تتجه اليه انظار السائحين

والزائرين ، فقد رأيته فى روما فى اضخم بناء يحرسه جنديان تغطيه الازهار والا كاليل، ورأيته فى لندن فى اكبر معبد وهى كنيسة (وست منستر) التى خصص اكثرها لدفن مشاهير رجال انجلترا الذين لهم الاثر البين فى نهوضها ادبيا وماديا وعلميا واقتصاديا وسياسيا اكراما لهم واذاعة لمجدهم وتخليدا لذكرهم

متحف اللوفر بباريس

لايقوى مثلى على ابراز ماراه وشاهده فى متحف اللوفر بباريس ، فى صورة تجمع شتاته ، وتعطى للقراء صورة حقيقية ، لان هناك معانى تقوم بنفس الانسان ، وليس فى مقدوره أن يلبسها اللفظ الذى يرضاه لها . على انى ساجتهد بقدر ماتسمح لى الحالة فى وصف ماشاهدته فيه من التحف والآثار ، حتى لاأحرم القارىء من الاطلاع على بعض ماعند القوم من الآثار الخالدة ، والاهتمام الكبير بحفظ ماتركه السلف للخلف، ليكون دروساً عملياً تحتذيه الابناء فيعملوا مثلهم ، ويقوموا بمثل ماقاموا به من جلائل الاعمال وعظائم الامور . وتكون انشودتهم :

لسنا وان احسابنا كرمت ... يوما على الآباء نتكل
نبنى كما كانت اوائلنا تبنى ... ونفعل مثل مافعلوا

فى صبيحة يوم قمنا مبكرين ، قاصدين زيارة متحف اللوفر العظيم الذى يتحتم على كل زائر باريس أن يفكر فى رؤيته قبل كل شىء لاهميته وعظمته ، واعتباره من اشهر المتاحف والمشاهد فى العالم ، لاشتماله على

كثير من الآثار المهمة المتنوعة من آثار اغلب الممالك القديمة والحديثة التي لها شهرة في التاريخ فذهبنا لنركب المركبات الكهربائيـة التي تسير تحت الارض ، وهي اشبه بالقطار منها الى الترام

ينزل الانسان الى المحطة من فتحة في الشارع يحيط بها سياج من حديد قليلا معلقة عليها خارطة تعين الطرق التي يقطعها القطار تحت الارض ، فقطعنا نحو عشرين درجة في النزول وسرنا تحت قبو من الصيني حتى وصلنا الى فتاة ، داخل نافذة الجوازات (التذاكر)، يقدم لها الانسان الاجرة المطلوبة ، فتعطيه الجواز (التذكرة) الى المحل الذي يقصده ثم سرنا قليلا منحدرين على درجات سلم آخر ، حتى وصلنا الى فتاة أخرى ، اشرت على هذا الجواز ، ومنها اجتزنا بابا الى محطة نضدت فيها المقاعد ، فجلسنا حتى حضر القطار ، الذي لايغيب اكثر من خمس دقائق . واذا وقف القطار فتحت ابوابه للركاب ومتى تحرك اقفلت هذه الابواب ، من تلقاء انفسها واديرت مزالجها وحدها ايضا ، ثم يسير القطار بسرعة عظيمة

وجميع المحطات محلاة بصور الاعلانات الكثيرة ، وباغلبها دكاكين لبيع بعض الاشياء كالكتب والصور وغيرها ، وبها عدة صناديق على هيئة الموازين في المحطات ، مملوءة (بالشكولاته) ، وبكل عدة فتحات ، كتب على كل منها ثمن مايريده الانسان ، فيضع الثمن في فتحة من تلك الفتحات ، فينحدر مادفع ثمنه (من الشكولاته) بعد ان يدير يدا فيه

وللراكب في بدء امره دهشة عظيمة ، متى خيل اليه أنه يسير تحت الارض بهذه السرعة ، وكيف يكون حاله اذا خر عليه السقف ، او فسد الهواء

فى هذه الانفاق الكثيرة التى ليس لها منافذ الا فتحات المحطات، ويبقى عدة ايام بين استغراب ودهشة ، حتى يألفه ، والناس تركب فيه بكثرة فيكون مكتظا دائما بالراكبين . ولم اتذكر مرة انى ركبت فيه ووجدت بعض مقاعده خالية الا قليلا ، خصوصا عند الساعة السادسة ، وقت خروج العمال من محال اعمالهم ، فان الانسان لا يقوى حتى على الوقوف بينهم

وجميع هذه الانفاق منارة بالكهرباء ليلا ونهارا ، ومسقوفة من الداخل بالصينى اللامع على هيئة قبو . ويبلغ اتساع هذه الانفاق فى بعض مواضعها كالمحطات نحو اثنى عشر مترا

وقد عددت درجات بعض السلالم من سطح الارض الى المحطة فالفيتها نحو ثلاثين سلما ، وبعض المحطات بها رافع يصعد فيها من لا يقوى على صعود السلم لعلوه ، مقابل شئ من النقود

والناس فى المحطات فى هرج ومرج ، خصوصا عند مايغيرون الركوب من قطار الى آخر ، فانهم يسرعون فى السير رجالا ونساء واطفالا ، فى انفاق مختلفة الاتجاهات ، نازلة وصاعدة ، قد يضل فيها الانسان وان كانت موسومة عليها الاتجاهات ، وقد ضللنا طريقنا مرارا فيها . وهم يهتمون بتطهيرها دائما خوفا من فساد الهواء حتى تكون صالحة للتنفس ، وإلا مات تحت الارض خلق كثير

وهذه الانفاق تمر تحت نهر السين فى جهات كثيرة منه ، فهو آية فى العظمة وعمل خطير ، يدل على المقدرة الكبيرة ، فلم يكفهم مشاركة الطيور فى سمائها والاسماك فى مائها حتى ذللوا باطن الارض للسير فيها لتكمل لهم المواصلات بانواعها ، ولتسهل لهم الحركة فى اعمالهم الكبيرة

وتخف الحركة الهائلة فوق الارض . وللك الحق ان تركب بجوازك هذا جميع الخطوط تتنقل من خط الى آخر مادمت تحت الارض ، ومتى ظهرت فوقها بطل عمله

مازلنا سائرين تحت الارض ، حتى وصلنا الى محطة قريبة من اللوفر فصعدنا من باطن الارض الى ظهرها من فتحة فى الشارع ، محاطة بسياج من حديد كاننا بعثنا من قبورنا . وبعد ان سرنا قليلا لاحت لنا فخامة متحف اللوفر وعظمته

متحف قصر اللوفر

هذا القصر العظيم كان فى أوله مسكنا لملوك فرنسا ، بدءوا فى بنائه سنة ١٥٤١ وأخذوا فى تحسينه ووسعوا بناياته جيلا بعد جيل ، وكان آخر ملك زاده حسنا الامبراطور نابليون الثالث ، فانه أوصله بقصر (التولرى) الذى أعده لسكنه حتى بلغت مساحة القصرين معا فى عهده نحو ١٩٥٠٠٠ متر مربع فكانت لهما الشهرة العظمية حتى خرب جزء من التولرى فى احدى الثورات ، فلم تهتم الحكومة الجمهورية،لاصلاح القصر ولكنها أبقت منه حديقته الجميلة واهتمت باصلاحها ، وجعلتها من متنزهات باريس العامة المشهورة بجمالها وتنسيقها وحسن ازهارها حتى صار يضرب بها المثل بما فيها من الاشجار الباسقة والحسن والجمال والاتقان تقصدها الأسر للنزهة فيها والتمتع بحسنها فى وقت الفراغ من الأعمال . دخلنا من بابه الاول الى فناء واسع مستطيل تحيط به أجنحة من القصر ، وبعد أن سرنا فى هذا الفناء ما يقرب من مائة وخمسين مترا قابلنا رجلا

يبيع صورا للمتحف فسألناه عن ميعاد فتحه للزائرين ، فاخبرنا أنه لايفتح إلا الساعة العاشرة وكانت الساعة حينئذ التاسعة، فاجتزنا هذا الباب الى ساحة عظيمة أيضاً تحفها مبانى هذا القصر فى وسطها حديقة أقيمت فيها التماثيل المختلفة رمزا الى حوادث تاريخية ، وتتصل هذه الحديقة بحديقة (التولرى) التى مر ذكرها ، يفصلها شارع كبير تمر فيه المركبات والسيارات فجلسنا على مقعد من مقاعدها ، نمتع الطرف بالازهار والأنوار والتماثيل البديعة، حتى آن الوقت فقصدنا الباب الذى تقاطرت عليه افواج السائحين والمتفرجين ، ففتح ودخلنا مع الجميع متراصين متساندين ، وقد تفرق هذا الجمع بعد سيره قليلا فى نواحى المتحف وهذا القصر أفخر واعظم قصور باريس على الاطلاق بل قيل إنه أوسع قصور الدنيا باسرها . وقد يهولك منظره عند دخولك الى أول ردهة منه لما به من العظمة وحسن الترتيب وفخامة البناء وغرابة التماثيل .

رأينا الطابق الاسفل ، وبعضه يشمل آثار القسم الشرقى بعجائبه وغرائبه ، وهو أقسام منها ما هو خاص بالآثار المصرية القديمة ومنها ماهو للآثار الرومية والرومانية والفارسية والاشورية وغيرها من الممالك الشرقية القديمة . وجميعها وضعت فى حجر متداخلة ، يصل الانسان من بعضها الى بعض بطرق متعرجة .

وللآثار المصرية بنوع خاص بهجة ورواء دالة بأوضح بيان على ما كان للمصريين من القدح المعلى فى فنى النقش والنحت ، وتماثيل يظهر لاول وهلة أنها أحسن تماثيل قام بنحتها ونقشها أشهر النحاتين والمثالين . وقد ملئت بها عدة حجر سميت بأسماء مختلفة، منها قاعة ايبيس، وقاعة الاموات لما فيها من

الآثار التى تدل على مقدار ما كان يبذله المصريون لحفظ اجسام الاموات وما كانوا يعتقدونه من خلود الروح ، وبناء القبور العجيبة وغير ذلك مما يعرفه من اطلع على دار العاديات المصرية ولا يتسع المجال لشرحه الآن . وهناك متحف للصور المجسمة التى صنعت فى القرون الوسطى وهو يشتمل على عدة قاعات غاية فى الابداع والاتساع ، مكتظة كلها بالنفائس من التماثيل المنحوتة من الاحجار ، ترمز أغلبها الى حالات دينية وسياسية. وعلى الجملة فلكل أمة من الأمم القديمة آثار على أشكال مختلفة وأنواع منوعة منها ماهو من البرنز ومنها ماهو من المرمر ومنها ماهو من الرخام. والأحجار أغلبها يدل إما على حوادث تاريخية أو أحوال سياسية أو حروب دينية أو ما كان يتخيله هؤلاء من النجوم وحوادثها ، فيدلون عليها بتماثيل حسب ما يتخيلون مثل رسم صنع تمثال للزهراء على هيئة فتاة غاية فى الابداع وحسن الصنع ، ومثل إله نهر تبر وجد تمثاله فى حديقة برجيزى فى رومه وأجمل تمثال لآلهة الجمال فى اليونان يسمى (منرف) أجمل ما وجد الآن من رسم الآلهة وغير ذلك من التماثيل التى تمثل تاريخ الرومانيين ، وعظمة الفراعنة ، مما يقف الناظر أمامها مذهولا .

وهناك صور وتماثيل تدل على معان مختلفة لا يتسنى لى ولا لغيرى وصف بعضها فى كتب ضخمة لان فى هذا القسم ما يشرح حالة الرومانيين من العظمة برسم مشاهير عظماء رجالهم وأحوالهم السياسية والدينية ، وما لهم من المواقف الشهيرة ، ويعيد الى الذاكرة قوة الاشوريين ورفعة وعظمة المصريين ، وما وصلوا اليه من النبوغ فى فن النحت والتمثيل فى الازمان الغابرة ، والعصور الخالية ، بينما كانت جميع الامم الارض تائهة فى دياجير

الظلام الحالك ، ليس لها من العلوم والفنون والعظمة ماتساوى شروى نقير بجانب معارف المصريين ، فكانت كنبراس عظيم الضوء ، انتشرت اشعته على جميع الممالك المجاورة لها ، فا كسبتها مدنية وحضارة لما اخذته من علومها ومعارفها مما جعلها تسمو الى الرقى وتسلك سبيل حضارتها

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

وهذا المتحف يمتاز عن دار العاديات (الانتكخانة) فى بلادنا بانه يشمل آثار كل امم الارض فيرى الناظر اليها ما كان للامم من العظمة ، ويمكنه ان يحكم بعض الحكم على أخلاق تلك الامم فى مدنيتها وحضارتها ورقيها وحالتها المعادية والمعاشية

وفى الطريق العلوى من هـذا المتحف قسم الرسومات البديعة التى قدرها بعضهم بانها تزيد عن ثلاثة آلاف رسم تقدر قيمة بعضها بنحو عشرين الف جنيه

ولما دخلت هذا القسم اخذتنى الدهشة ، وخالطنى الذهول ، ووقفت حائراً أفكر وأسائل نفسى كيف تسنى لفرنسا ان تجمع فى هـذا القصر تلك النفائس الغريبة للامم المختلفة وفى أى زمن حصلوا على تلك الصور التى يخيل للناظر اليها انها حقيقة ، ولا تنقص غير الحركة والكلام ، وان تلك الصور تمثل لك كل مايخطر ببالك من احوال الدنيا والآخرة فقد شغلت عدة حجر من القصر يبلغ طولها نحو كيلو متر ولا يمكن السائر فيها ان يشاهد مابها مشاهدة تامة ولو فى عدة إيام ، لان جميع الرسامين المشهورين فى امم الارض لهم بها عدة رسومات وصور نفيسة شتى لمهرة الرسامين الفرنسيين وغيرهم

وهناك حجر تحوى ماللصين من صورورسومات واسلحةومفروشات وآلات طرب وقوارب صغيرة مصنوعة من سن الفيل الدقيق غايةفى الجمال، وعلى أوان صينيةمحلاة بابدع النقوش، وأوان بلورية واقمشة واحذية صغيرة جداً تمثل صغر ارجل الصينيات وغير ذلك كثير. ومن هذا يعلم بعض مافى هذا المتحف من النفائس والذخائر التى تقدر بملايين الجنيهات .

ومن الصور التى تلفت الانظار صورة يوم القيامة ، وحالة الناس فى ذلك اليوم ومام فيه من الذهول والكرب ،وصورة كليوبترا ملكةمصر المشهورة ، وصورة آسية امرأة فرعون تنشل موسى عليه السلام من النيل وصور دينية تمثل حوادث الانجيل والتوراة ، او تمثل خيال المصريين على اشكال بديعة انيقة ، غاية فى الجمال عظيمة التأثير فى النفوس ، وصور المعارك البرية والبحرية .

وقد أدى بنا المطاف ونحن مسرعون لنرى بعض الحجر قبل فوات الوقت المحدد الى رواق (ابولون) مزينة جدرانه واسقفه بالذهب والتماثيل الجميلة التى لها روعة فى النفس ، نضدت فيه الجواهر النفيسة والحلى البديعة داخل الواح زجاجية وكذا الاوانى الفضية والذهبية التى كانت للملوك فرنسا مما لا يدخل تحت تقدير. وقد رأينا داخل الواح زجاجية تاجا مرصعا بالماس والاحجار الكريمة ، وبجواره سيف نفيس حليت قبضته باحجار الماس الكبيرة وهو لنابليون الأول ومعه قطعتان من الماس كبيرتا الحجم قد بلغ وزن احداهما كما هو مكتوب عليها ١٢٠ قيراطا

وقد زين هذا الرواق بصور جميع المشهورين من الرسامين بينهم بعض ملوك فرنسا وغير ذلك مما يبهر العقول ولا يحيط به وصف

والخلاصة ان قصر اللوفر وتحفه آية من آيات الجمال ، وعظمته تفوق كل عظمة . ولم نتمكن من مشاهدة جميع مايحويه هذا القصر الفخم لان هذا يحتاج الى عدة اسابيع بل الى شهور واعوام لمن يريد درسه درساً فنيا وعلميا وتاريخيا ودينيا . ولم نر فى ساعتين اكثر من الطابق الاول وجناح واحد من الطابق الثانى مع السرعة

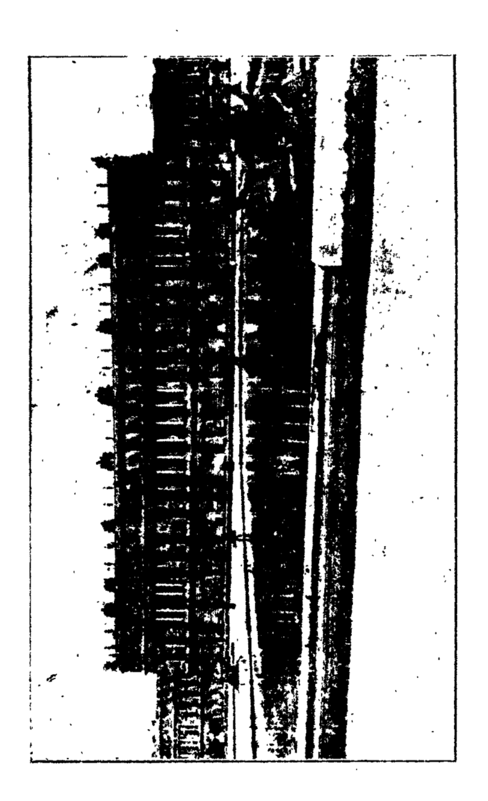
هـذا ما أمكنني ان اقدمه الى القراء وان كان قطرة من بحر . وما لا يدرك جله لا يترك كله

قصر فرساى

فرساى مدينة صغيرة قريبة من باريس ، ابتدأت شهرتهـا على عهد لويس الرابع عشر . فانه جعلها مقر حكمه الرسمى مدة الصيف ، وشيد فيها هو ومن اتى بعده من الملوك قصوراً لم تزل افخم ماشيده الملوك الاوربيون واكثرها بهجة وزينة وزخرفة

وقصر فرساى هو ذلك القصر العظيم الذى يقصده السياح والزائرون من كل فج . ولما اعتزم لويس الرابع عشر تشييده ، قرن ذلك بالجد والاجتهاد فى ابرازه الى حيز الوجود ، بسرعة عظيمة ، حتى بلغ عـدد العاملين فى اصلاح الطرق وتنسيق الحدائق والبساتين ، واعداد مايلزم له على مايقال ٣٦ الف رجل فى اليوم الواحد ، تساعدهم ستة آلاف من الخيل الى أن تم العمل وبرز هذا القصر الفخم شاهدا لهـذا الملك ومن أتى بعده بالقدرة والهمة العاليـة . واصبحت له شهرة تاريخية ، لوقوع كثير من الحوادث المهمة فيه ، بما هو معروف فى كتب التاريخ

وقد زاد فى هـذا القصر من أتى بعد لويس الرابع عشر من الملوك



قصر فرساي

عمائر أخرى متصلة به ، غاية فى الابداع والعظمة ، ولذلك كان مجموعة مركبة من عدة عمارات .

وقد هجر هذا القصر العظيم من عهد الثورة الفرنسية ، وكاد يتخرب ويذهب عمل هؤلاء الملوك مع حوادث الزمان وكوارث الايام ، حتى فكر بعضهم فى بيعه تفاديا من تحمل مايستدعيه ترميمه واصلاحه من النفقات الباهظة ، الى أن تولى الملك لويس فيليب ، فرأى أن يرممه ويصلحه وينشىء فيه المتحف التاريخى الباقى الى الآن ، وكان ذلك سنة ١٨٣٢ م فوضع فيه جميع الرسوم التى ترمز الى حوادث تاريخية حتى اصبحت المجموعة التى فيه عديمة المثال .

قمنا مبكرين فى يوم لنقضيه فى مشاهدة هذا القصر وتحفه العجيبة ، فركبنا الترام الذى يسير تحت الارض ، قاصدين محطة فرساى ، ولما وصلنا اليها ، اخذنا جوازا (تذكرة) لنركب قطار السكة الحديدية الموصل اليها ، فسار بنا القطار فى مناظر جميلة ، تشبه مناظر سويسرا من حيث الارتفاع والانخفاض والهضاب والتلال ، ووشيت سفوحها بالاشجار والازهار ، والمنازل الجميلة المشيدة فوق التلال ، ولذا كان القطار تارة يعلو واخرى ينحط ، وطورا يدخل فى نفق

وما زلنا سائرين تمتع الطرف بهذه المشاهد الجميلة ، حتى نزلنا فى محطة فرساى وسرنا فى الطريق الموصل اليه ، وكان هذا اليوم ممطرا ، فنشرنا الظلل ، وسرنا تحتها حتى لاح لنا القصر من بعد تعلوه الابهة والجلال . دخلنا من بابه الخارجى فرأينا سياجا عظيما من الحديد يحيط بفناء واسع ، يكتنفه جناحان عظيمان من ذلك القصر ، فى وسطه تمثال لويس الرابع عشر

يمتطي جوادا ضخما ، فوق قاعدة عالية من الرخام ، والتمثال والجواد من النحاس ، فوقفنا فى هذا الفناء الواسع المرصوف بالاحجار ، لنرى عظمته وجلاله ، وعلو همة من شادوه وقد صدق فيه قول من قال

قصر عليه تحية وسلام   خلعت عليه جمالها الايام

وقد دخلنا من بابه الذى يوصل الى حجراته مع جم غفير من السائحين والمتفرجين ، بعد أن دفع كل منا فرنكين أجرة الدخول ، دخلنا حجرات الطبقة الارضية وفيها شيء كثير من الصور والتماثيل التى لا يمكن حصرها ولا مشاهدة جميعها إلا بعد جهد كبير . ومما لفت نظرنا أن من بين هذه الحجرات احدى عشرة حجرة، بها الرسومات التاريخية من اول مدة شارلمان الى مدة لويس السادس عشر، ويسمى مجموع هذه الحجرات برواق تاريخ فرنسا وفى الواقع إن الرسومات التى فيها ، تمثل حروب فرنسا الشهيرة فى المدد المذكورة . وفيها أيضاً رواق الامبراطورية وهو يشمل عدة قاعات كالسابقة تحتوى على رسومات الوقائع الشهيرة التى حصلت مدة الامبراطورية ، مثل دخول نابليون الاول برلين واستقباله رؤساء مدينة ويانه وغير ذلك من الحوادث التاريخية . وفى هذه الطبقة أيضاً حجر التماثيل المجسمة التى تحتوى على كثير من تماثيل رجال الجمهورية والامبراطورية مما لهم أثر بين فى نهوضها ماديا وأدبيا وحربيا وسياسيا

واذا أردت أن ترى عظمة قصر فرساى وأبهته فانظر اليه من حديقته التى سيأتى وصفها فانك ترى ما يملأ نفسك رهبة وجلالا وتقديراً لهمة ملوك فرنسا وما كانوا عليه من أبهة الملك والسطوة والمقدرة

أما من الداخل فلا ابالغ اذا قلت أنه قصر يقل نظيره فى أعظم

قصور العالم ، لم يشاهد السائح زخرفة قصر وعظمة بناء وصورا وتماثيل مثل ما يشاهد فى قصر فرساى ، لان الصناع أفرغوا مافى جعبتهم ، فى زخرفه وتحسينه وتزيينه ونقشه ، حتى يصح ان يقال فيه (ليس فى الامكان أبدع مما كان) فاذا دخلت حجراته الواسعة المزينة بالرسوم والنقوش العجيبة ، ورأيت ما تحويه من النفائس ، شعرت فى الحال بعظمة الذين شادوه ولطالما رأت هذه الحجرات عزاً وفخراً فى عهد لويس الرابع عشر

وفى هذا القصر توج البروسيون ولهلم الاول امبراطوراً على ألمانيا كلها، وبه الرسوم الكثيرة التى تدل على انتصار فرنسا على الالمانيين خصوصاً فى عهد المغوار نابليون الاول وغيرها من الامم مما يصح أن يكون درساً واضحاً يشرح تاريخ فرنسا وحروبها الكثيرة من الرسوم المجموعة فى حجرة الحروب وقد قسمت هذه الحروب حسب تاريخ وقائعها فى غرف خاصة .

فصور الحروب الصليبية فى حجرات خاصة بها ، وصور حرب القرم كذلك ومعارك نابليون المشهورة فى قسم آخر ، وحروب ممالك شمال أفريقية وكيفية أسر الرجال والنساء والامراء بأزيائهم وضعت كذلك فى حجرات خاصة بها

ومن بين هذه الرسوم صورة تمثل المانيا جاثية على ركبتيها بذل وخشوع أمام فرنسا ، وهولندا مصابة بصاعقة الحروب تئن وتشتكى : واسبانيا وجلة . وقد بلغ من شهرة هذه وذيوعها بين تلك الامم أنها كانت حسب ما رواه بعض المؤرخين السبب فى تألب ممالك أوربا ضد الملك لويس الرابع عشر

ومما يذكر بالاعجاب والغرابة حجرة المرايا العظيمة فان طولها يبلغ

٧٣ مترا فى عرض ١٠ امتارفى ارتفاع ٢٣ مترا وهى تطل على بساتين القصر وحياضه وبحيراته من سبعة عشرة نافذة كبيرة تجاه كل نافذة مرآة محلاة بالذهب تنعكس فيها صور الزائرين والمتفرجين حتى يخيل إلى الانسان أنه يسبح فى ماء ، وقد زين سقفها بالذهب والصور البديعة . التى تشير الى حوادث تاريخية أو خيالية

واذا أشرفت من إحدى تلك النوافذ على الحديقة وبحيراتها وبركتها اطربك هـذا المنظر ، وملأ نفسك سروراً لا يقدر ، وتتجلى لك عظمة القصر وحديقته ، ولا يسهل على واصف وصفه ، خصوصاً اذا كانت المياه تتدفق من البرك الكبرى ومياه الانابيت ترتفع فى الجو على أشكال غريبة منوعة . ويصل الانسان من هـذه الحجرة العظيمة الى حجرة نوم لويس الرابع عشر ، مفروشة بأحسن الفرش ، فى وسطها سرير نهاية فى الفخامة والزخرف ، يفصله عن باقى الحجرة سياج ليس لاحد من الزائرين ان يتعداه ، وقد مات لويس الرابع عشر على هـذا السرير بعد ان حكم فرنسا زمنا طويلا جداً ، وقد زينت هذه الحجرة بابدع النقوش وافخر التماثيل وثمين الاثاث

ورأينا فى هذا القصر مسرحا للتمثيل (أوبرا) آية فى الزخرف والزينة والعظمة شيده لويس الرابع عشر وأبدع فى زخرفه وموه فى نقوشه بالذهب وكسا مقاعدها بالمخمل الاحمر (القطيفة) وجعل له أروقة تشرف على المسرح وليس المسرح عرضة للزائرين ، بل يبحث عنه من يحب أن يراه ويكافىء الحارس الذى عهدت اليه حراسته ببعض الفرنكات حتى يسهل له رؤيته .

وقد رأينا حجرة مارى انطوانيت الخاصة بهـا ومحل جلوسها وبعض حجرها التى اعدتها للحوادث وكيفية تنقلهـا من حجرة الى أخرى بحالة لايمكن للناظر أن يعرفها الا بالارشاد مثال ذلك انك تجد فى نهاية حجرة من حجرها هيئة مكتبة بها كتب قيمة ، فيتوهم الناظر اليها انهـا نهاية الحجرة فاذا بها عدة منافذ خلف هذه المكتبة، وقد استعملتها حين هجم عليها الثوار فاختفت عن انظارهم مدة طويلة ولـكن ذلك لم يجدها نفعا فانهـا وقعت فى ايديهم وقتلت كما مر ذكره فيما سبق وغـير ذلك من الحجر والاروقة التى تحتوى على نفائس وتحف لايتسنى لزائر مثلى وصفها فانها تجل عن الوصف

وطول هـذا القصر يبلغ نحو ٤١٥ مترا به حديقة لاتوصف لجمالها ونضرتها وما فيها من الازهار والنافورات المتعددة والاحواض الـكثيرة، وبها ٦٠٠ بحيرة غاية فى الجمال ، وبركة يتدفق منها عشرة آلاف متر مكعب من المـاء ، ترد اليها بالآلات البخارية من امكنة بعيـدة وهم يعلنون عن تدفق الماء منها فى ميعاد محدود بصحف باريس ويكثر أن يكون ذلك كل خمسة عشر يوما ، فيتقاطر الناس عليها لمشاهدة ذلك المنظر البديع النادر المثال لان خروج المـاء منها وظهوره بالوان متعددة واشكال بديعة يسحر العقل ويحير اللب. ومنظر الحديقة من أعجب واغرب مايرى الناظر لالـكبرها واتساعها ، وانما لنظامها وجمالهـا ، وحسن ازهارها نظمت على اشـكال هندسية يجمع الشكل الواحد عدة الوان من الازهار . يحيط بجميع بحيراتها تماثيل مختلفة الصنع والجمال ، وعلى منحدراتها يجلس الناس على بساط من الخضرة ، موشى بالازهار المختلفة ، كانها يد رسام خطها على قطعة من

الورق . ويتصل بهذا القصر قصران آخران ، يعرف احدهما باسم (تريانون الكبير) والثانى باسم (تريانون الصغير)

أما الاول فبناه لويس الرابع عشر لاحدى محظياته واشهر مافيه الآن عجلات قديمة فاخرة استعملها ملوك فرنسا الاول فى احتفالاتهم العامة والرسمية واكثرها من ايام بونابرت ، وبعضها قد استعمل فى موكب تتويج نابليون الاول ، واستعملت اخرى فى زواجه ، الى غير ذلك من العجلات المزخرفة التي تدل على الابهة والعظمة . واشهر مافيه برلمان صغير جعله لويس الرابع عشر لاجتماع المجلسين ، حين الاختلاف فى شأن من شئون المملكة ، ولكل رئيس من الرؤساء مقعد خاص به ، وفى صدر البرلمان عرش الملك البديع الصنع آية فى الزخرف والزينة

وقد جلسنا على مقاعده الفخمة ، فداخلنى الغرور حيث اجلس فى محل جلس عليه أحد عظماء فرنسا ،وكان ذلك اثناء شرح المترجم لنامايحويه هذا البرلمان ولا يدخله الا طائفة قليلة من السائحين والزائرين ، والباقى ينتظر حتى يخرج من دخل وهكذا تدخل طائفة ويغلق الباب ولا يفتح الا بعد انتهائها من الفرجة وفى مقابل ذلك تدفع قيمة قليلة من النقود

وإما التريانون الصغير ، فهذا قصر شيده لويس الخامس عشر ، وكان قصرا لبعض أفراد الاسرة المالكة ، وله حديقة جميلة تفتح كل يوم يقصدها المتفرجون . وفى القصرين رسوم وآثار تشير الى حوادث جمة تاريخية لاتخرج عما وصفناه آنفا

ولا يزال قصر فرساى له الشهرة التاريخية فى الحوادث الحربية وغيرها ، وبه تعقد المحالفات والمعاهدات ، إما على فرنسا أو لها . وآخر

معاهدة عقدت فيه معاهدة الحرب العظمى ، بين فرنسا والمانيا وحلفائهما ولا تزال مشكلتها معقدة الى الآن ، لعدم اذعان المانيا لما جاء فيها من الشروط ومحاولة التملص من قيودها ، ولا ندرى ماذا تتمخض عنه الايام من مكنون حوادثها ، خصوصا بعد رياسة هندنبرج الذى تنبهت لتوليته أعصاب اوربا

ان الليالى من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبه

وما ذكرته عن قصر فرساى وما به من التحف قل من كثر وليس الخبر كالعيان

قصر الانفليد

بناء فخم آية فى العظمة والفخامة بناه لويس الرابع عشر ليكون مأوى لمن اصابتهم عاهة من الجند اثناء الحروب ولم يكن لهم اهل يعولونهم او للذين يفضلون الالتحاق به على الاقامة عند اهليهم وتجرى عليهم الارزاق فيه مادامو احياء يدير شئونهم واحوالهم جنرال عظيم من اقدم القواد فى المملكة يقضون اوقاتهم فى حدائقه الواسعة ورحباته الجميلة يتنزهون ويقرءون ماطاب لهم من الكتب والمجلات والصحف وقد شيدت لهم فى هذه الدار الواسعة كنيسة يتعبدون فيها لهم مايريدون من امر الدنيا والآخرة بدون ان يكابدوا ادنى صعوبة ويسمى هذا القصر الفخم دار « العجزة »

ويشغل هذا القصر مساحة من الارض لاتقل عن ١٢٧ الف متر مربع وقد هيء لان يسع نحو خمسة آلاف نفس ولكن لاتجتمع فيها

نصف هـذا العدد لايثار بعضهم العيشة الحرة فى بلادهم على العيشة فى هذا القصر

وواجهة القصر فخمة فان طولها يبلغ نحو مائتى متر. وهو ثلاث طبقات زينت بتماثيل كثيرة ترمز إلى وقائع الحروب التى نصرت فيها فرنسا على اعدائها. وبه الآن معرض عظيم القدر والقيمة يقصده السائحون والمتفرجون من جميع جهات الارض، وبه عدة حجر جمعت فيها الاسلحة على اشكال متنوعة متعددة قديمة وحديثة وما استعمل منها فى الحروب الفرنسية والذى غنمته جنود فرنسا فى حروبها الكثيرة من المدافع والسيوف خصوصا ما غنمه الفرنسيون فى الحرب الاخيرة من الالمان وترى فيها الاسلحة البيضاء المستعملة للهجوم وهى تشمل البنادق «والطبنجات» وسائر الاسلحة النارية كما انها تحوى الاسلحة البيضاء المستعملة عند جميع الامم. ويتبع الاسلحة المذكورة عدد الخيل وما كان يستعمله المحارب من الملابس اثناء الحرب من رأسه الى قدمه مما يمثل حالة الحروب القديمة والحديثة تمثيلا تاما. وبه عدة قاعات بها تماثيل رجال الحروب والقواد العظام بملابسهم الحربية على اختلاف انواعهم وهيآتهم وجهاتهم كقواد الجزائر الاوقيانوسية وقواد امريكا وسواحل آسيا وافريقية وغير ذلك مما يعجز القلم عن وصفه. وبه حجرات تشمل على صور صغيرة تمثل انواع الاسلحة فى الازمان الغابرة الى وقتنا الحاضر. ومما يلفت النظر وجود سلسلة من الحديد يبلغ طولها نحو ١٨٠ مترا استعملها العثمانيون لوقاية جسر مدوه على نهر الطونه أيام محاصرتهم ويانة. وبالكنيسة التى مر ذكرها فى هذا القصر قبر نابليون

الاول بطل فرنسا العظيم الذى دوخ البلاد وقهر الممالك والعباد أقيمت عليه قبة يهولك منظرها وتروعك عظمتها وتقف امامها خاشعا خاضعا عند ماتتذكر ذلك البطل المشهور واكبر قواد الارض قاطبة فى العصور الحديثة وما قام به من امتلاك الممالك التى كانت تتيه كبرا وصلفا واذل اكبر الجبابرة من الملوك ودانت له اوربا باسرها وتحكم فيها كأنها امارة صغيرة ولكن بعد زمن صغير زال ملكه وذهب عزه وتهدم مجده

لكل شئ اذا ماتم نقصان   فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الامور كما شاهدتها دول   من سره زمن ساءته ازمان

فان الدهر قد قلب له ظهر المجن وادارت له الايام ظهرها واذاقته مرارتها بعد ان تمتع بلذيذها وشهى ثمارها فوقع اسيرا فى يد الانكليز على اثر خدعة نصبوها له (والحرب خدعة) فنفوه الى جزيرة القديسة هيلانة وبقى بها اسيرا حتى مات فنقلت رفاته منها الى هذا القصر الفخم كما وصى قبل موته انه يريد ان يدفن فى فرنسا المحبوبة بجوار نهر السين ففعلوا ما اراد وشيدوا على قبره هذه القبة العالية التى ترى جوانبها من عدة اماكن بباريس قد طليت بالذهب وهى عبارة عن مربع ضلعه ٦٠ مترا وفى وسطه قبر نابليون من قطعة واحدة من الحجر طولها أربعة متار وارتفاعها اربعة امتار ونصف وحول القصر عدة تماثيل بديعة تشير الى الاصلاحات التى قام بها نابليون الاول كاعادة النظام واصلاح الادارة والمجلس الادارى والصناعة الى غير ذلك

وبها لوح احمر من الرخام كتب عليه اشهر الوقائع التى قام بها هذا

البطل العظيم وفى القبة غير قبر نابليون قبور بعض المشاهير من اقربائه وقد كتب على قبره هذه العبارة « أتمنى أدفن على شواطئ نهر السين بين الامة الفرنسية التى أحبها كثيرا » وبهذه الكنيسة ايضا نحو ١٥٠٠ راية غنمها جنود فرنسا فى معارك نابليون الاول وكلها محفوظة فى ذلك القصر كما إن هنالك حجراً كثيرة مملوءة بالملابس القديمة المتعددة الاشكال والانواع والالوان لملوك فرنسا وأبطالها مما يعجز القلم عن وصفها وعدها

وقل ان يأتى فرد من الناس فى باريس ولا يرى عظامة هذا الاثر العظيم الذى يملأ النفس عظة واعتبارا ويشعره بعظامة الاثر الموجود به ويذكره بحوادث الدهر وعبره

قصر لكسمبرج

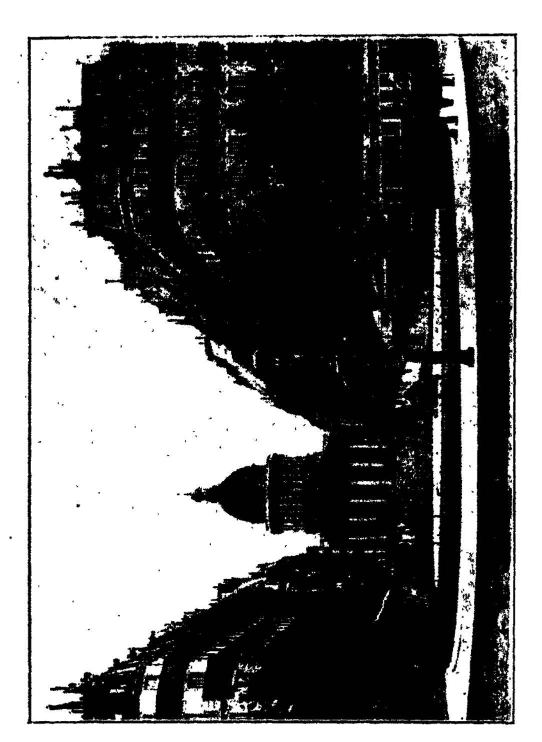
هو قصر بديع تحيط به الحدائق من كل جهاته وقد وصلنا اليه بعد مشقة لاننا قصدناه راجلين وبعد هذا كله لم يصرح لنا بدخوله كما لم يصرح لغيرنا ولذلك حولنا وجهتنا لرؤية متحفه الجميل الذى يعد من ابدع المتاحف فاول مايرى الرائى فى صالاته الخارجة تماثيل كثيرة صنعت من المرمر البديع وغيره تشير الى حوادث كثيرة ومعانى متعددة كتمثال العدل وتماثيل الاخاء والاتحاد وتماثيل للشجاعة والحروب . وقد أدى بنا المطاف الى حجر كثيرة متصلة بعضها ببعض فرأينا مالا يوصف حجر زينت سقفها بالنقوش البديعة وحوائطها بالرسوم الغريبة والاطر المموهة بالذهب تحوى صورا جميلة منها مايشير الى بعض الحوادث الحربية ومنها مايشير الى حوادث تاريخية ومنها صور ربات الجمال اللاتى اشتهرن فى التاريخ بحوادث دعت

الى رسمهن ليرى الزائر صواحب تلك الحوادث المهمة ومنها صور تدل على بعض الكواكب وأخرى من خيالات المصورين تشير الى معان كثيرة ويظن الناظر اليها انها حقيقية كلها ناطقة بفضل المثالين والرسامين وهذا المتحف مكتظ بالمتفرجين والسائحين خصوصا الامريكان الذين يملئون انحاء اوربا لانى مادخلت متحفا او أثرا الا وجدته مملوءا بهم

مدفن عظماء فرنسا

بعد أن فرغنا من زيارة متحف قصر لكسمبرج اعتزمنا زيارة مدفن عظماء فرنسا فسرنا اليه حتى اشرفنا على فناء واسع فى نهايته بناء ضخم مرتفع يصعد الانسان اليه بسلم عريض يبلغ نحو خمسين مترا شيدت واجهته على عمد ضخمة تشير الى عظمة البناء وابهته

بعد أن صعدنا هذا السلم سرنا على منبسط من الرخام حتى وصلنا الى بابه فقابلنا رجل داخل حجرة صغيرة لها نافذة فاخذ منا «فرنكين» وسمح لنا بالدخول فدخلنا فى فناء واسع مرصوف بالرخام مقام على عمد ضخمة سقفه مرتفع جدا مزين بالنقوش البديعة مموه ا كثره بالذهب الوهاج وقد اقيم فى صدر هذا المحل مذبح من الرخام الابيض الناصع واقيمت عليه وبجوانبه التماثيل التى لا توصف لجمالها يعلوها تمثال على هيئة فتاة ترمز الى حرية فرنسا ويمتد على جوانب هذا المذبح من الجهتين على مسافات طويلة اروقة مزخرفة يجلس فيها الرهبان حين اقامة الصلاة ليلقوا على الناس المواعظ وقد دفن على جوانب هذه الكنيسة الضخمة عدة من عظماء فرنسا فى قبور بارزة من الرخام وبعد أن متعنا النظر بهذه المناظر الجميلة



« مدفن العظماء بباريس »

رأينا على بعد قوما مجتمعين على باب ليدخلوا منه الى رؤية بقية القبور الضخمة فانتظرنا معهم حتى يخرج من دخلوا قبلنا ومازلنا كذلك حتى فتح الباب رجل سار امامنا وتبعناه وسرنا فى ممشى حتى وصلنا الى سلم نزلنا منه الى سرداب طويل مظلم منار بالكهرباء وعلى جانبه القبور داخل حجر مجللة باكاليل الازهار قديمة وحديثة مضاءة بالكهرباء كتب على كل قبر اسم صاحبه وقد أخذ الدليل يشرح لنا اسماء اصحاب القبور وما قاموا به من بعض الاعمال التى كانت لها اثر بين فى ارتقاء فرنسا أدبيا وماديا وعلميا وحربيا كالفلاسفة والقواد والعلماء والكتاب والشعراء كفولتير وهوجو وغمبتا وقد دخلنا مدفنا واسعا ضم نحو اربعين جثة من عظماء فرنسا وجميعها منارة يراها الانسان من نوافذ حجر المقابر الا أن هذا النفق الطويل الذى يجتازه الناس لرؤية المقابر رطب ذو رائحة تضايق المتفرجين فلا يرغب الانسان البقاء فيه وقدخرجت منه وعندى صداع شديد ولو ضاهينا هذا المدفن بمدفن عظماء الانكليز الذى سيأتى وصفه لرأيناه أضخم منه بناء وزخرفا وعظمة

غابات بولونيا

هي حديقة واسعة طارت شهرتها فى الآفاق ، حتى أصبحت مجمع أهل الترف ومتنزه جماعات أهل الحظ واليسار ، يقصدونها من سحيق الاقطار ، ليمتعوا الطرف بمحاسنها الفتانة ، الجذابة للنفوس ، الساحرة للالباب يجتمع فيها كل يوم من أهل المدينة والزائرين والسائحين والنازلين بها عدد عديد ، يسير اكثرهم فى سيارات جميلة ، بين الازهار النضرة

والشجر الباسق ، والخضرة اليانعة ، والبحيرات الجميلة ، التى تمخر بهما الزوارق ، تغدو وتروح حاملة شموسا تسطع انوارها ، فتزيدها حسنا وبهجة ورواء . بها من الشلالات الصناعية ، مايشرح القلب ويسر النفس ، تتدفق منها المياه فيكون لخريرها هزة فى انفس

ولا عجب بعد هذا الحسن والجمال الوفير ، اذا توافد الناس على هذا المتنزه بخيلهم ورجلهم ، فيتعذر السير عليهم فى ايام الآحاد ، فتضطر صفوف السيارات ان تسير الهوينا

بها دروب كثيرة لاحصر لهـا تخترق هذه الغابة الكثيرة الاشجار الباسقة ، تحتها الاشجار القصيرة ، والاعشاب الجميلة المنوعة . بها مطاعم وقهوات وبارات ، انشئت على شواطىء بحيرات جميلة ، تسرح بها الحسان كما تسرح الظباء فى خمائلها يخيل إلى السائر فيها انه فى دار النعيم

وقد قصدنا زيارتها يوم الاحد ، فلمـا وصلت اليها رغبت أن أسير راجلا ، حتى امتع الطرف بمحاسنهـا ، وأرى شوارعها الجميلة ، وطرقاتها ومنعطفاتها وما زلت امتع نفسى بجمالها الرائع وتنسيقها البديع حتى ادى بى المسير الى بحيراتهـا وهناك رأيت بحيرة ملأى بالزوارق والقوارب تحمل الغانيات يجذفن بمجاذيف تدفع القوارب دفعا ، ويشاركهن فى هذا البجع والطيور فيحدثن منظرا جميلا ، ويبلغ طول بعض هـذه البحيرات نحو ١١٥٢ مترا فى عرض مائة ، وقد اقيم فى بعض هذه البحيرات جزيرتان فيهما المطاعم ومحال الرقص والالعاب المنوعة والقهوات . وعلى منحدرات هذه البحيرة وعلى الخضرة الجميلة جلسنا بين الجالسين أمامنا الماء تسير فيه الزوارق حاملة المتفرجين والمتنزهين وفوق رؤوسنا اغصان الاشجار الجميلة

يهزها النسيم العليل ، وبجوارنا ينابيع الماء تتحدر مياهها فوق الاحجار والصخور ثم تنحدر الى البحيرات ، وكل زمنى الذى قضيته على شاطىء البحيرات ، وأنا بين استغراب ودهشة ، بسبب الحرية المتناهية التى تلحق الانسان العاقل بالحيوان الاعجم ، تجلس الفتيات مع الفتيان والرجال على شواطىء البحيرة مختلطين مستهترين ، لا يخفن منتقدا ، وليس من ينتقد اعمالهن الا الغريب الذى لايعرف اخلاق وعادات تلك البلاد ، فانه كثيرا ما استوقف نظرى مشاهدات يحمر لها وجه الانسانية خجلا مألوفة مباحة عندهم ، حتى يأتيها الشرطى الموكل بالحفظ ، فيالها من انسانية قد انقلبت الى وحشية

ويخيل الى أن فرنسا تسير بهـذه الحرية المطلقة الى هوة سحيقة وستصير بعد زمن ما اباحية واذا دام الحال على هذا المنوال ، انتشرت من باريس تلك الازياء المغرية التى تنفر منها الطباع السليمة الى الامم خصوصا الامم التى تقلد تقليدا اعمى

ولقد عجبت كثيرا من مقدرة رجال فرنسا لقيامهم بالاعمال الجسيمة وخلق النعيم والرفاهية لاهلها ، وكيف يعتنى اهل باريس بقضاء اوقات فراغهم فى اللهو والسرور والجذل والحبور وخروجهم الى المتنزهات العامة بكثرة فان الغابة مع اتساعها وصلاحيتها للسير والجلوس مكتظة بالمتنزهين حتى خيل الىّ ان جميع سكان فرنسا هجرت منازلها الى تلك الغابة ، وقد كانت هذه الغابة قبل اصلاحها ملجأ للشريرين وقطاع الطرق حتى اعطتها الحكومة لبلدية باريس بشرط ان تقوم بالنفقات اللازمة لاصلاحها اصلاحا يعود بالمنفعة على الامة ، فقبلت البلدية ذلك ، وانجزت ما اوعدت

فاصبحت هذه الغابة أحسن متنزهات باريس ، مع بقائها على هيئة الغابة الطبيعية ، ولكن شوارعها اصبحت تضارع أحسن شوارع المدن ، وقد بلغت مساحتها اكثر من الفي فدان . وزادت رغبة النساء للتنزه فيها لما يقصدها من أهل اليسار وغيرهم فتجدها ملأى بهن ، يتبارين فى اظهار جمالهن وخلاعتهن وملابسهن الحسناء

وصفوة القول ن هذه الغابة فى باريس نقطة الجمال واكبر متنزهاتها وليس لمدينة من المدن العظيمة ضاحية مثلها ، جمعت انواع المحاسن والجمال، وحسن الانتظام تتصل بها اعظم الشوارع التى تعتبر كمتنزهات عامة ، تكثر فيها المقاعد فيجلس الناس عليها لرؤية الغادين والرائحين ، ومن لم يرها فقد فاته شيء كثير

برج ايفل

من غرائب الآثار وافخمها واعجبها وادلها قدرة على براعة الانسان وعلو همته ورقى فكره (برج ايفل) فان منظره يهولك لعظمته وفخامة بنائه وتركيبه اكثر مما يهولك منظر هرم الجيزة الاكبر

وهو يعد الآن من غرائب الصناعة ، وأجمل آثار التمدين الحالى بنى فى سنتين من سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٨٨٩ للمعرض العام الذى اقيم فى باريس فى تلك المدة بناه المهندس الشهير جورج ايفل ، فنال من حكومته اعظم مكافأة وبعد اتمامه نصب عليه العلم الفرنسى ، وهو لا يزال الى الآن

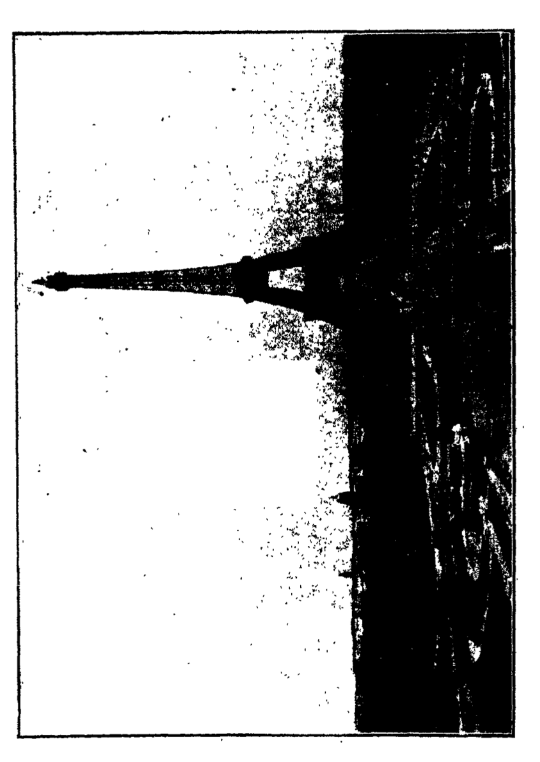
وقد اقيم وسط حدائق غناء ، يبلغ علوه ٣٠٠ متر أو الف قدم وهو أعلى بناء فى الارض، مصنوع كله من الحديد تقريبا ، اقيمت قوائمه المنحنية

على قواعد ضخمة من الاحجار الكبيرة ، يشغل من الارض مسطحا اكثر من ١٦٧٠٠ متر مربع ، وكل ضلع من اضلاع مربعه ١٢٩ متراً ويقال إنه اذا وزن حديده لا يقل عن سبعة ملايين كيلو جرام ، به خمسة وعشرون مليونا من المسامير كما علمت . وقد جعل ثلاث طبقات ، يصعد اليها إما بدرج أو بالآلة الرافعة (السنسير) وهى التى يعتمد عليها الناس فى صعودهم الى الطبقات الثلاث ويمكن أن يصعد بواسطة هذه الرافعة نحو ٢٣٠٠ شخص فى الساعة الواحدة ومثلها للطبقة الثانية و ٧٥٠ للطبقة الثالثة ، ويمكن لعشرة آلاف نفس الاجتماع فى جوانبه فى آن واحد

وقد أخذت جوازا من نافذة على بابه ثمنه خمسة فرنكات للصعود لآخر طبقة فيه ، ولكل طبقة اجرة خاصة ، ولما دخلت حجرة الرافعة وجدتها واسعة ، تسع نحو ٦٣ شخصا فى المرة الواحدة وقد اضطرب قلبي وبللنى العرق فى يوم كان باردا لما فكرت انى سأصعد الى هذا العلو الشاهق ، ولما امتلأت ارتفعت بنا بسرعة ، تسير على جانب من جوانب البرج كأنها تسير على قضيب سكة حديدية

وصلنا الى الطبقة الأولى ، التى تبعد عن سطح الارض بنحو ٥٧ مترا ومسطح ارضيتها نحو ٤٢٠٠ متر مربع ، وهى مفتوحة على مسطح ٩٠٠ متر مربع فيرى الناظر من هذه الفتحة أرض البرج

وقد شيد فى هذه الطبقة عدة اماكن للطعام والقهوات يسع الواحد منها من ٥٠٠ الى ٦٠٠ نفس ، بها دكاكين للبيع والشراء والبارات وحديقة جميلة ، وقد نقش فى أعلى محال هذه الطبقة صور كبار المهندسين الفرنسيين الذين اشتهروا فى هذا القرن باختراعاتهم ، وفى هذه الطبقة دعا جورج ايفل



برج إيفل

فى يوم ٤ يوليه سنة ١٨٨٨ نحو مائة رجل من كبار محررى الجرائد الباريسية لتناول الطعام وكانوا أول من صعد فيه بعد صناعته

وتبعد الطبقة الثانية عن سطح الارض ١١٥ مترا ومسطح هـذه الطبقة ١٤٠٠ متر مربع ولما اردت الصعود من هـذه الطبقة الى التى أعلى منها راودتنى نفسى أن اكتفى بما رأيتـه ولكنى لما رأيت الرجال والنساء والاطفال يصعدون بدون خوف ولا وجل شجعنى ذلك وحب الاطلاع على المضى الى النهاية وفى هذه الطبقة البارات والقهوات وبعض الحوانيت مما يعد سوقا صغيرا

وكلما وصلنا الى طبقة غيرنا الرافعة باخرى اصغر منها لان البرج شيد على شكل هرمى يستدق كلما صعدنا، فتستعمل رافعات مناسبة لذلك ، وليس هناك طريق للوصول الى الطبقة الثالثة وهى قمة البرج غير الرافعة وكنت اعتقد أن هذه الطبقة لاتسع فوق سطحها سوى واحد أو اثنين فلما وصلت اليهـا وجدتها تسع نحو ٦٠٠ نسمة بهـا دكاكين أيضا لبيع الاشياء الجميلة تذكارا لزيارة هذا البرج ، وفى القمة برق بدون سلك (تلغراف اللاسلكى) وبريد

وهنا تأخـذك الدهشة حينما ترى باريس تحت نظرك كانها خارطة تنظر اليها من جميع نواحيها فيحددها نظرك وترى الشوارع العظيمة الاتساع تسير فيها الناس والسيارات كانهـا طرق نمل كما ترى نهر السين يخترق باريس كانه جدول مزرعة يسير متعرجا فيهـا وترى غابة بولونيا العظيمة كانها حديقة صغيرة ، والقصور والضواحى الجميلة والمعامل يتصاعد منها الدخان ، فيداخلك سرور يملأ نفسك ، وتود ألا تغادر هـذا المكان

لتمتع نظرك بديع المناظر الباريسية الجميلة التى لا يتسنى لك رؤيتها الا من هذا المكان

والجلوس على قهواته يعده الانسان من اجمل النزهة وأحسنها فكأنه جالس فى السماء أو فوق هامة الجوزاء

وقد اقامته شركة نالت به امتيازا لمدة احدى وعشرين سنة فجمعت نفقاته مدة المعرض وكل ايراده فى المدة الباقية ربح خالص لها فأن عدد الذين صعدوا الطبقة الاولى منه كما قال بعض المؤرخين ١٢٩٦٨٢٧٨ والثانية ١٢٢٨٣٢٣٠ والثالثة ٥١٩٢٣٨٤ فمجموع ذلك اكثر من أربعة ملايين فى مدة ستة اشهر

وعندى أن برج إيفل يعد من غرائب آثار الدنيا وعجائبها واكثر مشاهد الزمان غرابة ، ويدل دلالة واضحة على مالأهل فرنسا من الثروة والغنى فى العلم خصوصا العلوم الهندسية، فهو على الاجمال من أحسن ماجادت به قريحة الانسان ، ولا يمكن شخصا أن يتصور عظمة هذا البرج وكيفية إقامته ، وما به من الحديد ، حتى يحضر الى باريس ويراه بنفسه

الملاهى بباريس

الاوبرا وميـــــــدانها

اذا سرت فى شوارع باريس ، ورأيت ميدانا فسيحا تتفرع منه عدة شوارع مكتظة بالناس والمركبات المتراصة ، ورأيت جنديا يمتطى جوادا وتحت إمرته خمسة جنود راجلين فقل هذا ميدان الاوبرا

لم تر عيني طول حياتي مثل هـذا الازدحام وتلك الحركة الهائلة، التي يقف الانسان أمامها ذاهلا ، خصوصاً من لم يرها من قبل : قوم يهرولون وسيارات تمر ، وعالم يكر ويفر ، وآخرون يغوصون من فتحات فيه تحت الارض لا يستطيع الانسان أن يجتازه إلا بعد ان يأمر الشرطي بوقف السيول الجارفة من السيارات . فاذا حول وجهه الى شارع وصفر وقفت حركة السيارات فجأة ، وتكون في لحظة جسر عظيم عريض من السيارات وتدفق سيل من الناس يقطع الشوارع . ومع هذا الازدحام وتلك الحركة الكبيرة لا تحدث أخطار وهـذا يتبع النظام ومهرة السائقين ، ومعرفة الناس واجب السير . ومتى أشار الشرطي بمرور السيارات سارت تدب دبيبا بحركة تسترعي الانظار .

وقد سرت في هـذا الميدان ليلا حين خفت الحركة فرأيت العمال يصلحون بعض جوانبه ووجدته مرصوفا بالخشب السميك ولم اتبينه إلا بعد تفرس كبير لاني لا أعلم أن الميادين ترصف بقوالب من الاخشاب المتينة .

وفي هذا الميدان يجتمع الناس على قهوة قريبة من دار الاوبرا . تسمى (كافيه ده لابيه) قهوة السلام ، وهي من أشهر القهوات وأوسعها ، يجلس الناس عليها لمشاهدة الحركة في هـذا الميدان ، ويقصدها عصرا أهل الذوق واللطف من الجنسين ، فمنظر هذا الميدان يأخذ بالالباب ، ويبين عظمة الممالك ومقدار ازدحام المدن الكبيرة بالسكان ، وعليها تمر وتجلس غانيات باريس وحسانها ، فهو مركز حركة المدينة ونقطة اتصال أعظم شوارعها

مسرح الاوبرا

فى هذا الميدان أقيم مسرح الاوبرا وهو بناء شامخ حليت جوانبه وحيطانه وأعاليه بالتماثيل الكثيرة المتعددة المتنوعة ، ابتدىء فى بنائه سنة ١٨٦٢ ولم ينته منه الا سنة ١٨٧٤ ، وهو أوسع مسارح العالم . وان كان مسرح (سكالا) بميلانو و (سان كارلو) بنابولى يسع كل منهما أكثر منه لكثرة محالهما ، الا أنه أوسع منهما مساحة ، فانه يشغل من الارض ماmساحته نحو ١١٢٣٧ مترا مربعاً . ولقد افرغ فيه العقل الانسانى من التحسين والزخرفة قصارى ما يصل اليه . وقد انفق فى بنائه مبلغ يقدر كما قال بعض المؤرخين بـ ٤٧،٠٠٠،٠٠٠ فرنك واجهته التى تشرف على الميدان تشتمل على طبقة أرضية أقيمت على سبع حنايا (بوالك) يصعد اليها من سلم عريض ، جميعها محلاة بالصور والتماثيل التى ترمز الى حالة الشعر والموسيقى والغناء والانشاد والرقص الى غير ذلك وتعلو هذه الطبقة أخرى تشتمل على سبع نوافذ فوق الحنايا السفلى تشرف منها على هذا الميدان العظيم الساطع بالأنوار المتلالئة . ويحيط بهذه النوافذ عمد جميلة تبلغ نحو الثلاثين واكثرها من الرخام الملون متوجة رءوسها بالبرونز المطلى بالذهب الوهاج .

وقد صنعت الخارجات (بلكونات) أمام هذه النوافذ من الرخام الاخضر ويعلو هذه الطبقة سياج محلى بما يفوق الوصف من الصور والتماثيل المذهبة . ويعلوه قبة عظيمة أقيم عليها تمثال اله الشعر ورب الانشاد . أما داخل المسرح فقد اتفق المؤرخون على أنه أحسن مسرح للتمثيل والموسيقى

فى الارض كلها لو عدت الابنية التى تؤثر فى نفس الناظر اليها داخلا وخارجا لكانت أربعة :

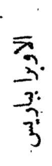
(١) الاوبرا بباريس (٢) كنيسة ميلانو (٣) قصر الحاكم فى بروكسل (٤) كنيسة الفاتيكان وقصره بروما

فجميعها من المبانى الضخمة العظيمة التى اشتهرت عند الخاص والعام ، والممثلون فى هـذا المسرح ينتقون من أحسن الممثلين والممثلات ، وأمهر المغنين والمغنيات ، وتمده الحكومة الفرنسية باعانة سنوية

ولقد يقف الانسان أمام وصفه حائرا لا يتسنى له وصف جماله وآيات حسنه وبهائه ، كله أعمدة مذهبة ونقوش دقيقة ، ومقاعد فاخرة وسقف تلمع وجدران تسطع وصور تكاد تنطق ، بلغت غاية المدى من الاتقان والجمال ، يرقى اليه الصاعدون على سلم عريض ، صنعت درجاته من المرمر الابيض فاذا ما صعد الداخل رأى من كل جانب منه اناسا يصعدون وينزلون فى الفروع الباقية من هذا السلم العجيب حتى أنه ليظن الانسان أنه فى بلاد الجن وهذا السلم مقام على ثلاثين عمودا من الرخام

ومما يزيد الانسان ذهولا فخامة ذلك المسرح المذهب رخامه الساطع زجاجه، يقصده علية القوم من الرجال والنساء بأفخر الملابس، وثمين الجواهر

وبين كل فصل وآخر يخرج الناس للسير فى بهو تراه آية فى الجمال وحسن البهاء ماوصف مثله الواصفون ، كله رخام صقيل ، وبلور نضيد وذهب وهاج وأطلس نفيس ، وتماثيل ، وصور آلات الموسيقى والغناء بالسقف وسائر الانحاء ، بلغت نهاية الزخرف وحد الاتقان ، تعد من عجائب هذا المسرح من حيث بنائها وزخرفها وتذهيبها ، وما بها من العمد وسعتها



الاوبرا بباريس

فان طولها يبلغ نحو ٤٤ مترا فى عرض ثلاثة عشر فى ارتفاع ثمانية عشر مترا بها مرايا ارتفاع الواحدة منها سبعة امتار بجوانبها عمد صغيرة تبلغ العشرين، تختال فيها الغيد الحسان ، ببديع الازياء فينسى الانسان هموم الحياة ومتاعبها ولا يفكر الا فى بديع صنع البارى

رهبان مدين والذين عهدتهم   يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها   خروا لعزة ركعا وسجودا

وهذا المسرح يحوى سبع طبقات من المقصورات مكسوة جميعها بالمخمل الاحمر فاذا اطفئت الانوار ظهرت الالواح محمرة كانها اللهب يدخل النساء فيه لابسات المعاطف فاذا ماجلسن على مقاعدهن خلعنها فاظهرن جزءا من ظهورهن وصدورهن تحلت محل ضوء الكهرباء

ومما لاحظته فى هذا المجتمع الادب الكامل والوقار التام تسيل الناس فيه رقة ولطفا وحسن ذوق ، فاذا ما دخلت المسرح تقدمتك فتاة وارشدتك الى مقعدك بلطف ورقة . وهنا يجمل بك ان تقدم لها شيئا من النقود ، وإن لم تطلب منك ذلك . واذا ما دخلت خلال الفصل ارشدتك الى محلك بضوء كهربائى

وجميع الرجال يخلعون قبعاتهم (برانيطهم) متى دخلوا المسرح الا النساء فلهن الحرية التامة فى ذلك ؛ وقد علمت ان لك الحق ان تطلب الى السيدة التى تحجب قبعتها نظرك عن رؤية الممثلين نزعها عن رأسها ؛ وهو واجب يقوم به الشرطى اذا عجزت عنه

ومما يلفت النظر بنوع خاص انك لاتجد فى المسارح اولادا ولا بنات مع آبائهم وامهاتهم ولا تسمع دويا ولا صفيرا ولا دقا بالعصى والارجل كالذى نشاهده فى مسارحنا ، فاخلاق الناس وآدابهم فى المجتمعات العامة يصح ان تكون نموذجا للاخلاق الراقية والاداب العالية

وعلى الجملة فانك اذا نظرت الى حوائط المسرح وما فيه من التماثيل والزخرف والنقوش والجلوس هالك هذا المنظر ، وملأ نفسك هيبة واحتراما لاهل باريس وعجبت لتفننهم فى اتقان ملاذهم واعتقدت انك فى عالم آخر لم يخطر لك على بال

واذا خرجت تتمشى بين فصل وآخر وجدت فى نواحيه قهوات وحانات ومحال للتدخين والمرطبات بانواعها وغير ذلك مما يريح المتفرج

ومن حسن الحظ انى حضرت فيه رواية (تاييس) وقد كنت رأيت تمثيلها فى مصر فرأيت البون شاسعا والفرق عظيما : رأيت الممثلين يؤدون ادوارهم فى حذق ومهارة غاية فى الاتقان والبراعة خصوصا من أدت دور تاييس فانها برعت فى اتقان دورها مع جمالها الرائع وحسن صوتها الرخيم وسلامة التعبير ، وحسن الالقاء وجودة التمثيل ، كما اجاد الكاهن كل الاجادة وقد اعجبنى منه مثابرته واستمراره على نصح تاييس والحاحه عليها فى الاقلاع عما هى عليه من الغواية والضلال صابرا على مايلاقيه منها من الاهانة والتحقير حتى ذلل ماصعب وامكنه ان يدخل مواعظه الحسنة وارشاداته الى آذانها ثم إلى قلبها حتى انقادت له واتبعت نصائحه واقلعت عما كانت عليه من الغواية ووقعت فى حبائله فاصبح يتصرف فى قلبها ويلعب به كلما تلعب النكباء بالعود ، ورجعت الى الله رجوعا لاتشوبه شائبة التعلق

بزخارف الدنيا ونعيمها ، وقد فارقت الحياة وهي في ريعان شبابها فاسف الكاهن على موتها وبكى بكاء مرا وظهر انه كان يحبها حبا يقرب من العبادة كل ذلك مثل بغاية الدقة والاتقان والبراعة ، حتى ترك ذلك في نفسي اثرا لاتمحوه يد الايام

ولايزال يرن في اذني الى الآن صدى صوت تاييس وهي تلتجيء الى صنم معبودها ان ينجي شبابها وزهرة جمالها من سقوطها في يد هذا الكاهن وحيرتها بين الرجوع الى نصائحه ومواعظه وبقائها في ملاهي الدنيا وملاذها

فأين مارأيته من براعة الممثلين في مسرح الاوبرا مما أراه في مسارحنا فاني لا اكاد افهم لبعض الروايات مغزى لعجز بعض الممثلين عن القيام باتقان ادوارهم وعدم وضوح مغازى الروايات التي تمثل . ولا انكر مايقوم به بعض الممثلين في مسرح رمسيس من اتقان ادوارهم إلا أن ذلك لايعد شيئا بجانب مارأيته هناك

واعتقد انه اذا دام تشجيع الحكومة للممثلين وقام اهل المسارح بما تفرضه عليهم الوطنية واتجهت اغراضهم وميولهم الى الغرض منه أدوا خدما جليلة للامة واثروا في اخلاقها تأثيرا بينا يفوق وعظ الواعظ وارشاد المرشدين فتنتقل الامة من هذا الانحطاط الخلقي الفظيع الى درجة الرقى والكمال وفقنا الله جميعا الى خدمة الوطن العزيز

من باريس الى لندن

لم يكن من برنامج سياحتى أن أزور انجلترا ، ولذا لم اطلب من قلم الجواز (الپسبرتات) فى مصر ذلك . ولكنى لما وجدت نفسى فى باريس وعلمت بفخامة وعظمة معرض (ومبلى) وان الناس يقصدونه من الممالك السحيقة ، لمشاهدة ما به من آيات الصناعة والفنون ، اعتزمت زيارته مهما اعترضنى من الصعوبات ، فقصدت قنصلية انجلترا فى باريس ، لآخذ منها جوازا بالسفر الى انجلترا ، فامتنعت عن اعطائى جوازا ، بادعاء انى لم أطلب ذلك وانا بمصر ، فايست من السفر الى انجلترا ، ولكنى فكرت أن اذهب الى قنصل مصر فى باريس ، لعلى أجد عنده حلا . فلما ذهبت اليه ، واعلمته الخبر ، أشر على الجواز (بقوله لا مانع من ذهابه الى انجلترا) وأخبرنى أن أقدمه الى القنصل الانجليزى فلما قدمته اليه لم يتردد لحظة فى السماح لى وتقاضى ٣٥ فرنكا رسم الجواز .

وبهذه المناسبة لا يفوتنى ان أثنى ثناء عاطرا على حضرة المحترم مراد بك قنصل مصر فى باريس لسمو اخلاقه ورقى آدابه ولما يقوم به من الاعمال الجليلة فانه يمنع كثيراً من الباريسيات الساقطات اللاتى يحضرن الى مصر ، للاتجار باعراضهن ، ولا يعطى لهن جوازا الا اذا قدمن له سبباً معقولا يقتنع به ، ويساعده فى ذلك حضرة المحترم التقى الشاعر الناثر موسى بك رئيس الكتبة هناك ، وقد رأيت ذلك بنفسى مرارا فلو لم يكن للقنصل فائدة سوى منع هذا السيل الجارف ، والخطر المحدق عن مصر لكفى ذلك ، مع أنها تقوم بتسهيل شئون المصريين وربط العلائق التجارية

وحسن التفاهم والتعارف بين المصريين وغيرهم ، ونشر فضل مصر فى البلاد التى تجهل مكانتها ورقيها .

ولم يغب عن ذهنى ماقالته احدى الكاتبات الفرنسيات، (اننا سنذهب لنأكل عسلا وجرادا بريا) لما دعاها صاحب الدولة سعد باشا زغلول الى حفلة شاى اقامها فى باريس، فاذا كان هذا حال كاتبة متنورة ، ملمة باحوال الأمم فما حال من لم يعلم عن تلك البلاد شيئا مع أن أهل فرنسا اكثر ارتباطا ومعرفة بالمصريين من غيرهم لما لهم من المصالح الكثيرة فيها . ولا انسى مقابلة صاحب السعادة محمود فخرى باشا ، سفير مصر فى باريس فانه قابلنا ببشاشة ولطف لم اعهدهما فى عظيم مثله ، وجاملنا أحسن مجاملة، وقضى معنا وقتا طويلا من زمنه النفيس ، فعرفنا منه اخلاقا يصح ان تكون نموذجا لارقى الاخلاق، يقوم باحسن الخدمات لمصر والمصريين هناك، وينشر فضلها ومكانتها وأحقية استقلالها ولزوم السودان لها بصحف باريس الكبرى

وهو قوى جدا فى اللغة الفرنسية ويعرف اللغة العربية ويحفظ كثيراً من شعرها ونثرها وكذا يحفظ كثيرا من القرآن الكريم وله مكانة سامية ومنزلة خاصة بباريس

وياحبذا لو قام كل سفير بما يقوم به سفيرا مصر فى فرنسا وانجلترا ، حتى يقف العالم على أحوال مصر وحقيقتها ومركزها وما هى عليه من الرقى الذى تستحق به أن تتبوأ مركزها اللائق بها تحت الشمس ، وقد سرت آدابه واخلاقه الى جميع موظفى سفارته حتى اصبحوا جميعا غاية فى حسن الاخلاق والادب . ومما يجدر ذكره انى شاهدت جميع مستخدمى السفارات والقناصل فى الممالك التى زرتها يلبسون القبعات متى برحوا مكاتب السفارة

ويلبسون الطرابيش فيها ، مع انه يجب ان يلبسوا الطرابيش داخل السفارات وخارجها ، حتى يمثلوا مصر باعمالهم وازيائهم ، فيعرفهم كل من رآهم

وفى اعتقادى انه واجب يجب على الحكومة ان تلزمهم بلبس الطرابيش داخل السفارة وخارجها هذا

وقد ذهبنا الى محل كوك لنأخذ منه جواز السفر (التذكرة) الى انجلترا ذهابا وإيابا فبلغت قيمتها ٢٩٠ فرنكا ، وقد سألنا مستخدميه عن احسن طريق واسهلها لعبور بحر المنش بين فرنسا وانجلترا ، فاختاروا لنا الطريق من مدينة (دييب) الى مدينة (نيوهافن) فى انجلترا وان كانت المسافة تستغرق نحو ثلاث ساعات إلا ان السفر منه ليس مزعجا كالسفر من كاليه الى دوفر وان كانت ساعة ونصف ساعة لان البحر بينهما شديد الاضطراب والامواج والانواء ، فاتبعنا نصيحتهم

ولما كان فى نيتنا ان لانمكث كثيرا فى انجلترا تركنا حقائبنا الكثيرة فى الفندق الذى نزلنا به فى باريس ، وأخذنا معنا ما يكفينا من الملابس مدة قصيرة ، لأن غرضنا زيارة معرض ومبلى والمشاهد المشهورة بلندن

ثم امتطينا سيارة من فندقنا الساعة العاشرة فوصلنا المحطة وركبنا القطار حيث قام الساعة العاشرة والنصف صباحا ، مخترقا مروجا نضرة جلها تلال ووديان تجرى بها المياه والجداول ، بها مراع واسعة ترتع بها الخيل والبقر والغنم ومنازل منتثرة هنا وهناك ، يتمنى الانسان ان تكون مسكنا له طول حياته . ولا اريد ان اعود الى وصف الاراضى التى يسير بها القطار لانه قد مر وصف مثلها كثيرا

ومقاعد القطار فخمة مريحة ، وضع على رف كل حجرة من حجره

كتابان كبيران ظننت انهما لاحد الركاب ولما لم يأخذهما أحد بحثنا فيهما فوجدنا ان بكليهما معلومات جغرافية عن الجهات التي يقطعها القطار وعدد مايقطع بالكيلو مترات بين بلدة وأخرى وخرطها غاية في الدقة والاتقان توضح مواقع البلدان التي تمر بها وما بها من الفنادق واجرة المبيت بها ومواقعها ، ومعلومات واسعة ترشد المسافر الى كل مايريد معرفته ؛ فعجبت العجب كله لعناية الغربيين بما يدل على رقي البلاد وتمدينها وقيامها بما يفيد اهلها والمسافرين والسائحين ولم ار في قطر الممالك التي زرتها مثل هذا

ومازلنا سائرين وسط مشاهد تشرح الصدور وتسر العين وتزيل الهموم والافراح تارة نصعد فوق تل وأخرى نهبط واديا وتارة ندخل في نفق ، حتى وصلنا الى مدينة دييب ، وهي ثغر فرنسي به ميناء واسعة محفوظة من غوائل البحر برصيف عظيم صناعي وطبيعي ، وهذا الثغر مشهور بلطف حماماته البحرية يقصده السائحون من كل فج ، وقد دخل القطار بنا الى الميناء حيث وجدنا السفينة في انتظارنا ؛ ووجدنا البحر هادئا هذا اليوم فسررنا وحمدنا الله ، ومنينا انفسنا بالراحة لقطع هذا المضيق المشهور باضطرابه وهيجانه ، ولما انتظم الراكبون واخذ كل مكانه ، صفرت السفينة ايذانا بالمسير ، فاصطف الناس في ممشى السفينة لرؤية المدينة والميناء من البحر ، فأقلعت وسارت باسم الله مجريها ومرساها ، واخذت تمخر عباب البحر في هدوء وسكون ، فملا السرور فؤادي ، لاني سأصل الى بلاد طالما تمنيت رؤيتها واخذت اتجاذب اطراف الحديث مع صديقي على افندي فهمي الرشيدي في امور شتى وبالاخص عن لندن وما بها من الحركة والزحام واخلاق الانكليز في بلادهم ، وما نسمعه

عنهم من وداعة الاخلاق ، مما نشاهد عكسه فى بلادنا من الفظاظة والغلظة والكبر والغطرسة المملة التى لاتحتمل . وما كنت اصدق مايقال عنهم من أنهم اهل لطف وادب و خلاق راقية ، حتى رأيت منهم من حسن الاخلاق والآداب فوق ما كنت اظن (وليس الخبر كالعيان)

وقد لاحظت اثناء سير السفينة ان طيورا بيضاء كبيرة الجثة تقرب من النسر تتبع السفينة فى سيرها ، حتى وصلنا الى مدينة (نيوهافن) من اعمال انكلترا ، ولم أعرف السبب الا انى استنبطت انها تتبع السفينة حتى لاتضل طريقها ، فتصل الى البر الآخر فى زمن قليـل ، وما زلنا نمتع الطرف والبحر هادئ ليس به مايقلق الراحة حتى قربنا من مدينـة (نيوهافن) وهنا شعرت بدوار ، فقاومته مقاومة كبيرة حتى سلمت منه وعنـد وصولنا أخذوا منا الجوازات ليؤشروا عليها بما يفيـد صحتها والسماح لنا بالمرور ثم عرضت حقائبنا على المفتش بالمكس فلم نلاق صعوبة وقد يكتفى بسؤالنا عما معنا ، فنجاوبه صدقا ، فيخلى سبيلنا . وبعد أن خرجنا من محال التفتيش ، وجدنا القطار الذى يقلنا الى لندن منتظرا ، فركبناه وقام مسرعا ، وهنا يعجز القلم عن وصف المناظر الجميلة التى مررنا بها ، من مزارع غاية فى التنسيق والترتيب ، ومراع ترعى بها أنواع الماشية ، وتلال مكسوة سفوحها بالاشجار الباسقة ، والوديان ذات الجداول الجميلة وقد امطرتنا السماء غزيرا ، فاوصدنا المنافذ بالالواح الزجاجية ، وصرنا نمتع الطرف بالمشاهد التى نسجتها يد الطبيعة ، فطورا تصعد فوق قنطرة وأخرى تهبط واديا ، وما زلنا كذلك حتى اشرفنا على منازل العمال . وهنا يأخذك

العجب لعناية الحكومة بتشييد منازل للعمال غاية فى النظافة وحسن الترتيب والنظام والصحة . وقد شيدت على نظام ونمط واحد فى حقول ومزارع واسعة فانك تجد شوارع طويلة جدا مرصوفة ، تفتح فيها أبواب المنازل ، أمام كل منزل حديقة صغيرة يفصلها عن الشارع سياج صغير ، وكل بيت مركب من ثلاث طبقات أو اثنتين ، كل سطوحها بالطوب الاحمر ، فتراها كأنها مجاميع من الورود الحمراء ، فيرى الناظر اليها منظرا يملأ نفسه سرورا يرغب كل انسان فى سكناها لما بها من الجمال وحسن الرونق والرواء وقد سار القطار فى هذه المبانى الجميلة الصحية مايقرب من ساعة حتى خيل إلىّ أن لندرة عبارة عن مساكن للعمال لكثرة ما رأيت منها

وهنا رثيت لحال العامل المصرى الذى يسكن احط الاكواخ واقذرها لا يجد مأوى يريحه بعد تعبه الشاق المتواصل ، فلا الحكومة تنظر اليه بعين الشفقة والرحمة ولا هو يعرف كيفية نظام حياته ، فتراه يقضى سحابة يومه مجدا فى عمله حتى يخيم الظلام فيذهب الى كوخ لا منفذ فيه الا كوة صغيرة فى أعلاه لتصريف الهواء الذى يفسد من تنفسه وأولاده وماشيته فيكاد يختنق ولا ينجيه الا طلوع الفجر حيث يبدأ عمل يومه

وما زال القطار يخترق هذه المشاهد الجميلة حتى وصلنا الى محطة فكتوريا الساعة السابعة مساء وهى محطة غاية فى الابهة والعظمة .

لندره

وصلنا محطة لندن بعد سفر ثمانى ساعات ونصف من باريس الى لندن عن طريق دييب ونيوهافن ، ولما وطئت قدماى أرض أكبر عاصمة فى العالم

قوة وعظمة وسكانا ، أحسست بانى فى بلد صاغتها يد الحضارة الراقية وألبستها ثوباً قشيبا ، بلاد دوخ أهلها الممالك والبلدان ، وتحكموا فى الرقاب واستطالت يدهم الى أبعد مدى ، فأصبحت تجبى اليهم الاموال من جميع أنحاء المعمورة ، وانتشرت تجارتهم مزاحمة كل اسواق العالم ، وقد احكموا مواصلاتهم برا وبحرا وجوا فدانت لهم البلاد والعباد

رأيت محطتها مكتظة بالمسافرين الى جهات عدة على ارصفة كثيرة متعددة والخدمة منتشرون فى جميع نواحيها يرشدون الضال الى محل قصده فى هدوء وسكون ، يقصد المسافر نافذة التذاكر منتظرا دوره ، فلا تزاحم بالمناكب ولا ضجة ولا جلبة ، ولا جرس يطن ، ولا صفارة تزعج الناس بصوتها ايذانا بقيام قطار ، ولا حارس يصيح فى الناس ان ابتعد عن القطار ولا غير ذلك مما نسمعه فى بعض محطاتنا ، بل كل مسافر يبتاع جوازه ويقصد القطار مطمئنا عارفا ميعاد قيامه ، ومع هذا الزحام الشديد وتلك الحركة المدهشة لا تجد لها اثرا يقلق لان كل شئ سائر على محور النظام والترتيب

ولما سرت فى اول شارع فى لندن هالنى مارأيت من ضخامة عماراتها وارتفاع بنائها ارتفاعا يناطح السماء تمتـد اميالا غاصة بالسلع النفيسة والجواهر الثمينة ، والحوانيت التى رتبت فيها البضائع ترتيبا يلفت النظر ، ولـكن كثرة مايتصاعد من دخان المصانع والمعامل شوه ظاهر تلك العمارات الضخمة فازال جمالها ورونقها وبهاءها ، الا فى مواضع قليلة من لندن لبعدها عن مجرى دخان المعامل

وما كدت اخطو خطوات قليلة ، حتى صدتنى جماهير السائرين ، لان المدينة يومئذ كانت مكتظة بالالوف التى حضرت من الممالك والبلدان

البعيدة لزيارة معرض (ومبلى) الذى طار صيته فى الآفاق، فاخترقنا الصفوف واصطدمنا بالمئات والالوف سائلين عن اقرب فندق للمحطة فارشدنا شخص اليه فلما دخلناه لم ترق لنا الاقامة فيه وكانت تديره سيدة فاعتذرنا لها بانه لا يوافقنا فاخبرتنا بان هـذه فرصة يجب ان تغتنموها لان كل الفنادق مشغولة بالزائرين للمعرض فلم نصدق قولها وخرجنا نبحث عن الحجر التى عرفناها قبل قدومنا الى المدينة نحو ثلاث ساعات فلم نعثر على حجرة واحدة فيها خالية فرجعنا الى فندق هذه السيدة، ونحن نجر أذيال الخجل ولا نود مواجهتها لرفضنا الاقامة فى فندقها ولـكن الضرورة اضطرتنا الى الرجوع اليها معتقدين انها ستقابلنا باحتقار وازدراء، كما نعهده فى اخلاق أهل بلادنا، فلما وصلنا الى الفندق، رحبت بنا، وهشت وبشت فى وجهنا فازالت ماعلق بنفوسنا من الخجل واكرمتنا كثيرا حتى اضطرتنا الى الاقامة فى فندقها مدة اقامتنا فى لندن. وقد يهولك كثرة الحركة فى الشوارع فانك لا تقوى على قطعها عرضا الا بمساعدة الشرطى فمتى أشار بيده الى تلك الجبال المتحركة من السيارات وقفت فجأة كانما يده آلة كهربائية متصلة بعجلات السيارات والمركبات فاذا وقفت حركة السير، مرت الناس افواجا، ثم يرفع يده مرة أخرى فتعود سلسلة المركبات الى السير، ولا يمكن سائقا أن يخالف أوامره مهما كانت حالته ولو سائق الملك والسيارات ذات الطبقتين (الامنيبوس) لها كثرة لا تعقل فلا تخلو دقيقة من وجود سيارات منها تمر بك، ويركب الطبقة العليا فيها من يريد التفرج على شوارع المدينة

ولا أخالك تتصور هذه الحركة المروعة مهما وصفتها لك فانها فوق

وصف الواصفين . ولا عجب فان سكانها يزيد عن سبعة ملايين ، وهو عدد يزيد عن سكان مملكة برمتها ؛ حتى انك لو وقفت طول اليوم فى بعض الميادين تريد اجتيازها لما وجدت فرصة تمكنك من ذلك ، الا إذا اوقفت حركة السيارات يد رجال الشرطة . وما الذى يقوله الواصف فى مدينة اعظم مدائن الارض وا كبرها واهمها اتصلت بها العمائر الكثيرة من كل جانب حتى أصبحت كأن لا آخرها يعرف ولا أول لها يوصف ، فلو جمعت شوارعها العديدة بعضها الى بعض ، لبلغ طولها اربعة آلاف ميل ، وهى مسافة تزيد عن البعد مابين مصر ولندن

ولما كانت لندن متسعة وحركة الاعمال عظيمة فيها لم يكن بد من ايجاد طريقة تسهل المواصلات وتقوم بانجاز تلك الاعمال التى لاحصر لها ولذا شيدوا كثيرا من محطات السكك الحديدية من ذلك اربعة عشر محطة كبيرة لشركات مختلفة ، توصل لندن بالاطراف والجهات ، وا كبرها محطة واترلو بها نحو سبعة عشر رصيفا تقوم منها القطر على شكل بديع ونظام جميل يتنقل الناس فيها من رصيف الى آخر على جسور جميلة يضل فيها المسافر ، ولذا يجب عليه ان يسأل العمال الواقفين فى مدخلها عن الرصيف الذى يقوم منه القطار الذى يقصده فيرشدونه بلطف . وقد خصصوا عمالا يقومون بالاجابة عن كل سؤال يوجه اليهم يختص بقيام القطر ومجيئها ومايلزم لراحتهم وبعض هؤلاء العمال لاينتهى من الاجوبة عن الاسئلة التى توجه اليه طول اليوم

وفى لندن من غير هذه المحطات اكثر من ثلاثين محطة أخري خصصت بهذه العاصمة وقد بنيت كلها تحت الارض ، وانفقت لعض

الشركات فى حفر السراديب تحت الارض مبالغ طائلة ، وهى تخترق لندن فى جميع جهاتها كالشرايين فى جسم الانسان ويركب فى تلك القطر التى تسير تحت الارض الالوف من الناس كل يوم وقلما تجد فيها مقعداً خاليا

وتمتاز هـذه السراديب عن سراديب باريس فانها متسعة جميلة لايشعر الانسان فيها باقل سآمة كما يشعر فى انفاق باريس لاتشم هواء فاسدا وكانك سائر فوق الارض ، واكثر الناس يركبون فيها لبعدها عن جلبة المدينة ويطهرونها كل يوم حتى تكون صالحة للتنفس والسير فيها براحة تامة . ويقول بعضهم لو فسد الهواء فيها لمات تحت الارض نحو مليونى نفس وبعض هـذه السراديب تمر تحت مياه نهر التاميز كما تمر الناس فى انفاق تحته ايضا سقفوها بالحديد ، وبنوا لها محطة فى كل جانب من جانبي النهر ، والمسافر ينزل الى المحطة فى آلة خافضة ورافعة ، او على سلم كثير الدرجات حتى اذا وصلها وجد الناس تحت الارض بكثرة لا تعقل منتظرين ورائحين وغادرين كأنهم فى يوم حشر او فى مهرجان عظيم ، وعلى كل فليس لامة من الامم من المواصلات برا وبحرا وجوا وتحت الارض مالانجلترا

ومما يجدر ذكره أنه يحرس الشوارع رجال من الشرطة اقوياء اذكياء ذوو نباهة وذوق ، ينظمون حركة السير فى الشوارع تنظيما يريح السائر خصوصا فى محل تقاطعها ، حيث يكثر الزحام ، والناس جميعهم يطيعون اشارتهم ، واذا سألت أحدهم عن محل تقصده اقبل عليك باهتمام وارشدك الى ما تريد من غير أن ترى على وجهه علامة ضجر او ملل ، واذا خانته ذاكرته ، وضع يده على جبهته ، واخرج من جيبه مصورا (خارطة)

ونظر فيها ثم دالك على كيفية السير والوصول الى محل قصدك ، فازداد عجبي لتلك النباهة وهـذا الاستعداد ، وتذكرت حال الشرطى المصرى الذى لايعرف مايجاوره من المحال والمساكن وقد تكون فى حوزة اشرافه وملاحظته

وللشرطى الانكليزى دراية كبيرة فقد يعلم كل شئ يحدث فى بلده حتى عن السياسة الخارجية لانه فى اثناء سؤالنا له عن السفارة المصرية ، قال من اين أنتم فقلنا له من مصر فقال لماذا كل هـذا الاضطراب وتلك المظاهرات مع انكم اصبحتم مستقلين كارلندا ؟ فقلنا له من اجل الاستقلال التام لمصر والسودان ، فلم يجاوبنا وانصرفنا الى حال سبيلنا ، وقد لايكون فى البلاد الراقية شرطى مثله فى روعة المنظر والهيئة ، فان رجاله ينتخبون من ذوى القامات الطويلة والاجسام الضخمة ويشترط فيهم ان يكونوا ذوى معارف وخبرة باحوال البلاد ، قولهم مسموع امام المحاكم فى كل حادثة يباشرونها ، فتكفى شهادتهم لأدانة المذنب ، وهو محترم لدى الجمهور يطيعون اوامره فيما هو من اختصاصه

وقد يدهشك كثرة ما فى لندن من النوادى ومحال المجتمعات على اختلاف انواعها وتعدد احوالها ، لان لكل طائفة من الطوائف ـ وهى كثيرة ـ امكنة للاجتماع لترقية أحوالهم ماديا واجتماعيا. وهى تعد بالالوف عندهم ، وقد تستخدم هذه الاندية فى بعض الاحوال للشئون السياسية

ومن فوائد الاندية عند الانكليز ان اهل كل حرفة وطبقة يعرفون فى انديتهم اقدر الرجال واخلصهم ، فاذا جاء دور الانتخاب لمجلس النواب يكون لمبرزيهم اعرف الدعاة لهم ، فيختارونهم للنيابة عن الامة وبهذه

للمناسبة ، انقل عبارة عن الاندية لبعض المؤرخين لما تحتويه من الغرائب والعجائب قال :

من غرائب الاندية فى لندن نادى السكوت وهو للصم والبكم ، ليس فيه كلام يسمع ، ولا جرس يقرع ، ومن يدخل النادى من المشتركين يضغط على زر كهربائى ينير قطعة من المكان فيفتح له ، وبنور الكهرباء اصطلحوا على اشارات للتفاهم بينهم ، ويدخله الرجال والنساء يلعبون ويتحادثون احاديث صم ويغنون غناء الصم . وبها ناد للمعتزلين عن الناس يدخله من ضاقت صدورهم ، ولا تقبل فيه النساء الا بعد سن الخامسة والعشرين ، وقد جعل دوليا عاما ، ولا يؤدى المشترك فيه شيئا ، وهو فى بابه ، لانه يضم اناسا من اهل الارض باسرها ، ومن جميع الطبقات الراقية وفيه طائفة كبيرة من أرباب المكانة والشهيرة . وعندهم ناد اسمه نادى (العجل الذهبى) ونادى (القط الاسود) ونادينا واعضاؤه من اعاظم الادباء ونادى (١٠١) ونادى الست الساعات وهو ناد اعضاؤه ستة ، يدخلون اليه كل يوم الساعة السادسة ويخرجون منه الساعة الثانية عشرة ومع كل واحد منهم كتاب . (والنادى الدائم) وعدد اعضائه مائة يقسمون ألا يبرحوا أماكنهم مهما كلفهم الامر من المخاطر حتى إنه حدث يوما حريق قرب ناديهم فلم يخرجوا منه الا بقوة رجال الشرطة

وفى لندن اندية قلما تقبل فيها النساء ، وفيها أندية للراغبات عن الزواج . ومن انديتهم نادى اللوبيا السوداء على مثال نادى نيويورك ، وهو مؤلف من اربعين عزبا يجتمعون مرة فى السنة ، ويضع رئيسه فى صندوق اربعين حبة من اللوبياء ومنها واحدة سوداء ويسحب كل عضو حبة ،

فمن سقطت السوداء فى يده حكم عليه قانون النادى بالزواج . والنادى يتكفل بنفقة تزويجه ، كما يبتاع له أثاث بيته ، ويقوم بنفقة سفره ثلاثة أسابيع مدة شهر العسل .

وفيها أندية طالبات الزواج على مثال نادى اليابان يتم بواسطته كل اسبوع مائتا قران ، ويتزوج اكثر هؤلاء بالنظر الى صور خطيباتهم الشمسية . وفيها ايضا نادى المنتحرين شعاره (بالموت شفاء الاسقام كلها) ولا تقبل فيه النساء ولا العزب من الرجال ، وناد للارواح يدخله علماء ومحامون وجراحون وباحثون ممن يهتمون بكشف الاسرار عن مخاطبة الارواح ، وناد لمن لا انوف لهم ورئيسه مصرى انفه لا يكاد يظهر فى وجهه ، ونادى مشوهى الخلقة ، ونادى السوداويين يجتمعون فيه كل اسبوع وهم عبارة عن حوذيين وسواقين وملاحين ، ليتسابوا ويتشاتموا ، ويظهروا فضل قرائحهم فى علم الطعن والقذف ، ومن قصر من الاعضاء أو أبدى لطفا فى الفاظه وحركاته يغرم فى المرة الاولى وفى الثانية يطرد من حظيرة اقرانه ، ونادى العبوسين يدخله من ساءت اخلاقهم ، يلتزمون السكوت ، فيجلس الواحد منهم الى ناحية ، يدخن غليونه بدون أن يتكلم ، ونادى قتلة البشر ، وهم يؤثرون القتل على ثلم الشرف ورئيسهم قتل خمسة وعشرين شخصا فى البراز ؟ اه

فانظر يارعاك الله الى هذه الاندية وغرائبها وتفننهم فيها بما هو معقول وغير معقول .

وقد قال من وصف اندية الانكليز (الاندية مرآة صادقة تقرأ فيها

عنوان القلب والابدال الذى طرأ على المجتمع الانسانى والاخلاق على توالى القرون والاعوام)

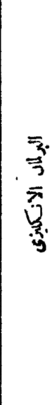
وأقدم أندية لندن النادى البحرى الملكى أسس سنة ١٦٧٤

ولا يفوتنى أن اذكر أن الجو هناك لايروق الشرقى الذى الف الشمس الساطعة والضوء اللامع الصحو ، فالمطر هناك لا ينقطع الا قليلا ، والسماء لا تصفو حتى يرجع اليها ظلامها الدامس ، فيجتمع ظلام الجو مع سواد المنازل فيكونان ظلمة لاتسر ، تجد البرد صباحا ومساء شديدا ، فهو يشبه شتاءنا مع أننا كنا هناك فى شهر اغسطس ، ولذا تجد بعض الانكليز يلبسون المعاطف نهارا وليلا ، وقد شاهدت بعض النساء لايخلعن معاطف المطر الا قليلا . والجو كثير التقلب لايستقر على حال ، فلا تأمن أن يكون الجو صحوا حتى يتغير بسرعة عجيبة الى سحاب داكن فتنسكب الامطار بشدة ومع ذلك فلا تزعجهم كما تزعجنا لانهم ألفوه ، وجعلوا له استعدادا فى لباسهم ومنازلهم وشوارعهم .

البرلمان الانكليزى

يقرب من كنيسة وستمنستر بناء ضخم ممتد الاطراف والنواحى له عظمة وجلال ، هو مجلس نواب الامة الانكليزية ولورداتها . وعظمته لاتخفى على أحد ، حيث تصدرمنه سياسة العالم ، فهو مدير دفتها ومحورها الذى تدور عليه وقطب رحاها . وقد أخبرنا سائح زار اكثر ممالك اوربا أنه لايوجد برلمان لامة من الامم مثله .

وقد شيد على نهر التاميز ، ممتدا على النهر بواجهة تبلغ ٩٤٠ قدما ، مزينا بتماثيل الملوك والملكات من عهد وليم الفاتح إلى عهد الملكة فكتوريا



البرلمان الانكليزي

ويشغل مساحة قدرها ثمانية افدنة انكليزية . به ثلاث عشرة ردهة ، غاية في الجمال والزخرف ، ومائة سلم في جهاته المختلفة وبه نحو ألف حجرة . وتنتهي واجهته في كل من طرفيها بجناح بارز ، وما بين الجناحين ينقسم الى ثلاثة أقسام متساوية ، تفصلها عن بعضها بروج صغيرة ، لها منظر فخم يجذب القلوب ، ويدل على مقدار اعتناء الامم الراقية بمحل اجتماع نوابها ، ليتشاوروا فيما يعود على بلادهم بالخير والبركة ، وقد نزعوا ما في صدورهم من غل ، إخوانا على سرر متقابلين

لما وصلنا إليه وجدنا السائحين مزدحمين على بابه الخارجي ازدحاما شديدا يتعذر معه دخولهم الا بترتيب ونظام ، فاصطفت الناس على بعد كبير من بابه ، ولما فتح سرنا متراصين متكاتفين ، لا يقدر الانسان ان ينقل قدمه اكثر من قدم . ولما دخلنا القاعة الاولى ، رأينا عظمة البناء والنقوش والصور وزخرف السقوف التي تلفت الانظار لجمالها وبهائها . ومازلنا سائرين متراصين يدفع بعضنا بعضا فلا يتمكن الانسان من الوقوف اذا أراد ، لشدة اندفاع الناس وعدم القدرة على التقدم او التأخر ، نتأمل في نظام الحجر وجمالها وتنسيقها ونقوشها وابداعها وسمتها ، حتى وصلنا الى حجرة مجلس اللوردات وهنا ظهرت عظمة البناء وجلاله ، غشيت جدرانها واسقفها بالذهب ، ونضدت فيها المقاعد مدرجة على هيئة (انف تياترو) مكسوة بالجلد الاحمر الناعم ، وضعت في وسطها منضدة تحيط بها المقاعد ، وفي صدر هذه الحجرة عرش الملك يجلس عليه عند الاجتماع ؛ له حسن وزخرف لامثيل لهما موه جميعه بالذهب الخالص وارتفع حتى قرب من السقف ، وامام العرش شبه منبر يصعد اليه من يخاطب اللوردات

وعلى يمين العرش وشماله مقاعد للأمراء والسفراء مرتبة ترتيبا يليق بمنازلهم وطبقاتهم ، وبه عدة مقصورات مرتفعة اعدت للمدعوين واصحاب الصحف.

وطول هذه الحجرة يبلغ نحو ثلاثين مترا فى عرض اربعة عشر ، وارتفاعها كذلك ، بها اثنتا عشرة نافذة ، وقد رسم فيها كثير من صور الملوك الذين حكموا انكلترا ولهم يد فى نهضتها ؛ وقد خرجنا من هذه وسرنا حتى وصلنا الى ردهة واسعة على شكل دائرة مسقوفة بالحجر بها عدة تماثيل مقامة فى جوانبها لعظماء رجال الانكليز ، ويتفرع منها عدة طرق ، منها طريقان ، احدهما للذاهب والآخر للآيب ، فسرنا على اليمين فى طريق طويل ، اقيمت بحوائطه تخوت زجاجية ، نسقت بها الكتب الكثيرة التى لا تعد ولا تحصى وامتدت على مسافة طويلة ، منظرها يأخذ بالالباب لكبرها ونظام كتبها وزخرف جلودها ؛ واكثرها محلاة بالذهب وجلود الكتب بنظام واحد

وقد دخلنا من باب كبير اوصلنا الى حجرة مجلس النواب ، طولها ثلاثون مترا فى عرض اربعة عشر ، وزخرفها أقل بكثير من زخرف مجلس اللوردات ، وللرئيس محل مرتفع فى جهتها الشمالية ، قد نضدت مقاعد على يمينه جعلت للوزراء ؛ وخلفها مقاعد حزب الحكومة ، وقد خصصت المقاعد التى على يساره لرؤساء احزاب المعارضين ، وخلفهم احزابهم ، وبجوار الرئيس مقصورات خصصت لكتاب الجرائد والاجانب الذين يصرح لهم بالدخول لرؤية المجلس وسماع مناقشاته ، وبداخل حجرة مجلس النواب حجرتان : احداهما عن يمين الرئيس والاخرى عن يساره ، يستعملان فى تعيين عدد الاصوات اذا حصل شك فى عددها ، فيدخل

الأعضاء الذين من رأيهم الايجاب الى الحجرة اليمنى والذين من رأيهم السلب الى الحجرة اليسرى ويعدون وقت خروجهم فتظهر نتيجة الاغلبية من غير شبهة

وقد دهشت للفرق العظيم بين حجرة اللوردات وحجرة النواب ، فانها خالية من الزخرف والزينة لاتزيد عن حجرة عادية ، دارت حولها المقاعد الخشبية الخالية من الفرش ، وفى صدرها مقعد للرئيس خال من الزينة والحلية . وقد داخلنى شك كبير فى أن تكون هذه حجرة مجلس النواب ولذا سألت كثيرا حتى تأكدت انها لهم ، فعجبت أشد العجب لمجلس نواب هو اقدم المجالس النيابية عمراً ، واعظمها صولة وهيبة ، تنقل الاسلاك البرقية أخباره فتكون لها طنة ورنة ، وتأثير عظيم فى مجرى سياسة العالم اجمع، عجبت ان تكون بهذه البساطة الغريبة اذا رآها الغريب لم يصدق انه مجلس نواب هذه الامة العظيمة

وقد سألت عن الحكمة فى ذلك فاخبرت انهم لايريدون تغيير ما كانت عليه قديما وان النائب يخدم امته على أية حالة كانت وبأى اعتبار كان . وليس لهم مرتبات ضخمة مثل ما لنوابنا الكرام بالنسبة لايراد الدولتين ودخلهما ، وقد كان النائب عندهم لايأخذ اجراً على نيابته

ومما يدهش الناظر الى مبنى البرلمان خارجا رؤية برجين عظيمين :

١ — الاول برج الساعة تضاء بالكهرباء حال انعقاد جلسات البرلمان يرى منه ليلا ، كما تقام فى أعلاه راية ترفرف عليه ، وارتفاعه يبلغ نحو ٣١٦ قدما ، به ساعة من اكبر ساعات الدنيا وأعظمها وأدقها ، لها أربعة وجوه ، قطر كل منها ٢٢ قدما ونصف قدم ، وطول الرقم قدمان ، والمسافة

بين الدقائق قدم وربع قدم ، وجرسها يزن ١٣ طنا ، اذا دق سمعه جزء عظيم من لندن مع سعتها خصوصا اذا كان الجو ساكنا . فهى آية فى العظمة والغرابة .

٢ — برج فكتوريا يبلغ ارتفاعه ٣٣٦ قدما قد بنيت به حجر بطريقة لا تؤثر فيها النار ، حفظت بها الاوراق والمستندات البرلمانية . وأسفل هذا البرج العظيم ، مدخل الملك الذى يدخل منه عند فتح البرلمان . ولقد يخيل اليك وأنت سائر فى طرقات البرلمان أنك سائر فى شوارع مدينة كبيرة ، وله من الخارج روعة فى النفس وهيبة وعظمة ، لا يمكن أن يصفه واصف مهما بالغ فى الوصف ، كما أنه لا يدرك دقة ماقى الحجر من النقوش والتماثيل .

كنيسة وستمنستر

هى بناء ضخم فخم يشعر الداخل اليه بالعظمة ، وهى مشهورة بمدافن الملوك والملكات وعظماء رجال الانكليز من السياسيين والشعراء والكتاب والقواد والصناع وغيرهم ممن اشتهر امرهم وذاع صيتهم ، ولهم عمل عاد على الامة بالفائدة الادبية والمادية . وقد رأيت فيما رأيت فيها قبرا نثرت عليه الورود والرياحين والاكاليل هو قبر الجندى المجهول وله عندهم احترام عظيم . فاذا وصل اليه الزائر رفع قبعته ووقف أمامه خاشعا خاضعا يعظم فيه الجهاد الوطنى والتضحية الكبيرة : يهدى الى قبره كل يوم كثير من الورود والاكاليل ، قد كتب على قبره مامعناه (هذا قبر الجندى المجهول الذى دافع عن وطنه الى آخر لحظة من حياته) وله احتفاء خاص فى كل

الممالك التى زرتها خصوصا فرنسا وقد تكلمت عليه فيما مر . والزائر لهذه الكنيسة يشعر باحترام عظيم لاولئك الابطال الذين خدموا بلادهم ورفعوها الى ذروة المجد باعمالهم العظيمة حتى استحقوا الشرف والتكريم من امتهم احياء وامواتا . ومن بين المدفونين هناك من السياسيين (وليام بيت) الذى عين رئيسا للوزارة وهو فى سن الرابعة والعشرين من عمره ، ثم المستر غلادستون وزوجته ، وقبر الشاعر ملتون وشكسبير وغيرهم كثير . ومنهم من هو مدفون فى فناء الكنيسة وقبره سوى بالارض ومنهم من اقيمت له تماثيل كاملة ، ومنهم من وضع فى تابوت من الحجر وثبت فى الحائط وهناك تمثال نصفى للقائد العظيم غردون باشا الذى قتل فى الخرطوم ايام ثورة المهدى وغير ذلك من العظماء

ومحل التعبد فيها على شكل صليب يعجب الناظر لجماله وزخرفته وزينته وقد اكثر الاغنياء من التبرعات لهذه الكنيسة حتى صارت من اغنى الكنائس ، ولكن صادرتها الدولة فى املاكها ، كباقى الكنائس ، ثم رجعت عن ذلك فيما بعد واعادت اليها ماسلبته منها

وينظر الانكليز الى هذه الكنيسة بعين التجلة والاحترام ، ويكافئون الشخص على اعماله الجليلة بدفنه فيها ، ويعد ذلك اكبر شرف واعظم فخار له ولاسرته ولذا تجد قبور عظماء الانكليز واغلب ملوكهم فى هذه الكنيسة مرسوما على بعضها ما يشير الى صفات امتازوا بها فى حياتهم . مثال ذلك تمثال شارل جاكيز فوكس الوزير الكبير ، صور وهو يقضى نحبه بين ذراعى الحرية وعلى ركبتيه ورجليه شارات السلم وتحت



كنيسة وستمنستر

قدميه رجل من الارقاء، قد اطلق من قيود الاستعباد. وهكذا من هذه الاشارات والرموز والمعانى

وقد وصلنا فى مطافنا الى باب امامه رجل يأخذ نصف شلن لمن يريد الدخول فى حجر خاصة بالملوك ومحال تتويجها وبعض تماثيل لهم ولزوجاتهم. ومن اجمل الحجر وانخرها محراب اعد لصلاة الملك له عظمة وفخامة وجلال نضدت فيها كراسى من الخشب الجميل، ثبتت فى الحوائط لها بهجة وتنسيق وترتيب ونقوش ورسوم بديعة، يجلس على كل كرسى منها حاملو نشان (الحمام) يجتمون فيه باحتفال عظيم عند حضور الملك، وامام مقعد كل شخص كتاب مذهب جميل. وقبة هذه الحجرة من ابدع مايري الناظر: سقفها مموه بالذهب الوهاج وبها صور وتماثيل ونقوش واعلام كثيرة علقت فى وسطها وفى جوانبها، تعد من اعجب العجائب. وامام هذه الحجرة مكان مرتفع على شكل مربع، صعدنا اليه من سلم بديع، وهناك وجدنا الكراسى العتيقة الخالية من الزخرفة والزينة تتوج عليها ملوك انكلترا وقد اتبعوا هذه العادة قديما ولم تتغير الى الآن

ولم أر ازدحاما وكثرة زوار كما رأيت فى هذه الكنيسة، لاننا قد حضرنا قبل فتح ابوابها فترا كمت الناس عليها، وعند فتحها انسابت الجماهير انسياب تيارات المياه القوية، فساروا اصفوفا متساندة، متبعين السير بنظام فى الطرق المعدة للمرور بين الكراسى الكثيرة، يرى الزائر سلسلة دائرة من الداخلين والخارجين

وقصارى القول انها من اعظم الكنائس التى زرتها لوجود كثير من آثار الملوك والعظماء فيها مما يضيق المقام عن شرحه

معرض ومبلى

ارتضينا النزول فى الفندق الذى لجأنا اليه بعد ان اعيانا البحث والتنقيب وكانت اجرة المبيت فيه ثمانية شلنات ونصف (٤٢) قرشا بما فى ذلك تناول طعام الافطار ، وهو عبارة عن بيض مقلى وزبدة ومربى وشاى باللبن ، وبعض اللحوم لمن يطلب والانسان يقبل على الاكل صباحا بشهية ، لان الجو هناك بارد كالشتاء عندنا

نمنا فيه مستريحين تلك الليلة ، وقمنا مبكرين قاصدين رؤية المعرض ، فسرنا فى الشوارع نمتع الطرف بما فيها من محاسن التجارة والصناعة حتى وصلنا الى المحطة التى يركب منها زائرو المعرض القطار ، ومنها أخذنا جوازا بعد دفع شلنين ونصف بما فى ذلك رسم دخول المعرض وبعد ان ركبنا القطار ، سار بنا فوق الارض جزءا من الزمن ، وبقية المدة سار تحتها ، فى الانفاق التى مر ذكرها فى المقال السابق ، واجرة دخول المعرض وحدها شلن ونصف ، ولما خرجنا من القطار ، صعدنا فوق قنطرة (كبرى) ثم نزلنا وسرنا قليلا جدا حتى وصلنا الى باب المعرض

ومبلى ضاحية من ضواحى لندن ، تبعد عنها بمقدار ثلث ساعة فى القطار ، فتحت انكلترا المعرض لزيارة الزائرين يوم ٢٣ ابريل سنة ١٩٢٤ وقد بلغت تكاليف اقامته نحو عشرة ملايين من الجنيهات الانكليزية ، اشترك فى اقامته الهند وبعض المستعمرات الانكليزية والتى تحت الحماية ، فهو نتيجة اهتمام الامبراطورية باسرها ، ولقد كانت فكرة اقامة المعرض مختمرة عند الانكليز قبل الحرب العالمية الكبرى ، ولكن اشتعال نار

الحرب اخرت تلك الفكرة الى هذا الوقت . واذا كان هناك شئ يدل على عظمة الامم ورقيها ، فمعرض ومبلى يدل دلالة واضحة على مالانكلترا من العظمة و بسطة الملك والسلطان وضربها فى الرقى المادى والادبى بسهم وافر لاتضارعها فيه امة أخرى

فاذا اشرفت على المعرض من ربوة عالية هالك منظره ، وادركتك الحيرة ، وعلمت كيف تقوم الامم بعظائم الامور وجلائل الاعمال ، جمعت فيه كل دلائل الحضارة الحديثة ، ومقومات العصر الحاضر ، مما يقف الانسان امامه خاشعا

دخلنا بابه فرأينا حديقة واسعة جميلة ، بها انواع الزهور الزاهية الزاهرة نسقت تنسيقا بديعا ، ووضعت بها الكراسى الخضراء حول بحيرة جميلة المنظر ، وله فى مدخله طريقان احدهما على يمين الداخل والآخر على يساره ، فسرنا على اليسار وسط جم غفير من الناس كلهم اعين لرؤية مايذهل العقول فلا تجد احدا ينظر الى الآخر ، كانهم فى يوم حشر ، رأينا مركبات كهربائية تتحرك مستمرة ينتظر الانسان سيرها بطيئا فيقفز بسرعة حتى يمكنه ركوبها ، فتسير به فى جهات كثيرة من المعرض واذا اراد النزول انتظر بطاءها ونزل بسرعة كما ركب ، وكراسى بعجل يدفعها الخدم يركبها من يتعب من السير او من لايقوى عليه ، وعجلات مقسمة الى صفوف بها مقاعد كثيرة يديرها رجل من الامام تسير بسرعة فى طرقات المعرض الممهدة ، وعدة زوارق بخارية وغير بخارية فى بحيرات جميلة ، مزدانة بمصابيح الكهرباء والاعلام ، فتحدث منظرا بالليل يسحر العقول وبهاعدة جزر وسط البحيرات تقام بها المراقص والالعاب ليلا وتصدح بها انواع



بحيرة معرض ومبلي

الموسيقى وآلات الطرب فتعتقد انك فى مهرجان عظيم جمعت فيه انواع السرور والملاهى

وقد اقيم فى ميدان واسع قريب من المدخل بناءان عظيمان ، اولهما بناية تحوى الآلات الميكانيكية والهندسية ، وآلات توليد الكهرباء وانواع العدد على اختلاف انواعها وتباين اشكالها ، وقد بلغت الدرجة العظمى من الرقى

وأهم شئ لفت نظرى فيها ضخامة آلات توليد الكهرباء وتعددها لا يعرف انواعها واشكالها إلا من له خبرة ودراية بالعلوم الهندسية والميكانيكية ورأينا عدة موانى بحرية للدولة الانكليزية ، مثلت احسن تمثيل بها السفن الصغيرة التى تسير بالكهرباء تتبع فى سيرها الطرق البحرية تدخل فى موانيها وتخرج منها ، ورأينا موانى ممثلة بالجبس تمخر فيها السفن الحربية والتجارية وغير ذلك مما يعجز الواصف عن وصفه

ولكونى لا اعرف انواع هذه الادوات ولا يمكننى حصرها اكتفى بان اقول انها تدل دلالة واضحة على مالانكلترا من الرقى الصناعى الذى لا تضارعها فيه أمة أخرى ، وبهذا المبنى وحده خمسة واربعون شارعا ، كتب على كل شارع رقم يدل عليه وعلقت على بابه الواح تدل على بعض مايحويه من الصنائع وغيرها وبه خيالة (سنما) تعرض فيها كيفية سير السفن الانكليزية ورسوها وخروجها من الموانى حاملة انواع التجارة والصناعة فى جميع المحيطات

ومما يلفت نظر المتفرج فى هذا المبنى محل بناء السفن به الآلات

الضخمة التى تستعمل فى بنائها مما يعجب لها من لم يرها من قبل ،والآلات الدقيقة كذلك

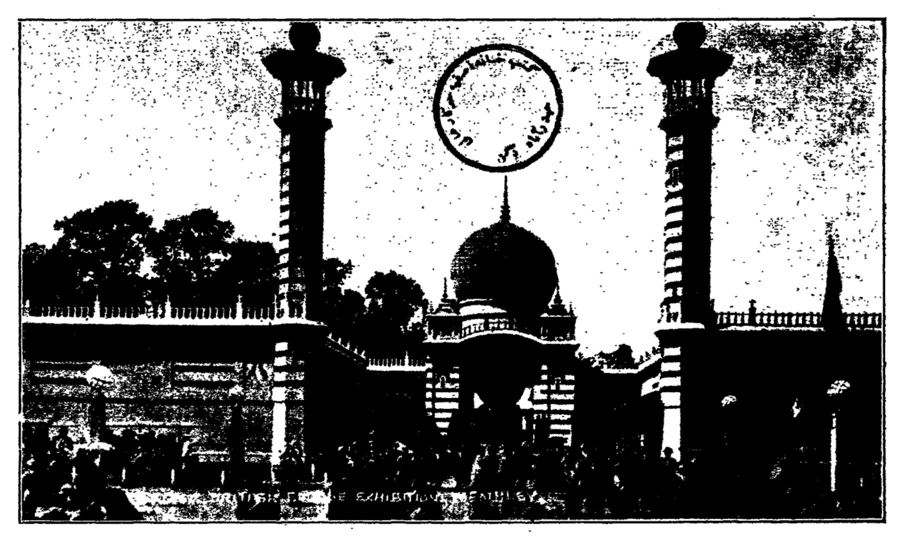
وترى عجائب الكهرباء فى الكى والغسيل والطبخ والحلاقة كل ذلك من غير ان تديرها يد انسان ، وفيه السكك الحديدية مجهزة على احسن وابدع طراز وترى فيه اكبر القاطرات التجارية ، وبه بهو لصاحب الجلالة ملك مصر المعظم فؤاد الاول على أحسن ماترتب ونسق ، به اثاث فاخر من الحرير النفيس فارتاحت نفوسنا لرؤيته ، وبه احدث السيارات واضخمها وغير ذلك مما لا يتصوره الا من يراه بعينى رأسه

والمبنى الثانى مبنى الصناعة والفنون به غرائب الصناعة وعجيب ما اخرجته يد الانسان واستنبطته قريحته ، على احدث نظام وابدع ترتيب، حوى اهم صناعة الامبراطورية . به تماثيل كثيرة للرجال المشهورين الذين لهم يد فى نهضة الفنون والصنائع ، وبه قسم الملاهى ترى مسرحا جميلا به زر كهربائى اذا ضغط عليه ظهر على المسرح الممثلين والممثلات بازيائهم القديمة فى القرون الوسطى ، فترى كيفية التطور الانسانى وما وصل اليه من الرقى. وبه كيفية صناعة الشكولاتة توضع المواد المكونة لها فى آلات فتمر فيها بغاية السرعة فتظهر من الجهة الاخرى مجهزة كاملة ،وبه ايضا كيفية صناعة العلب ، تمر الآلة على صفائح من القصدير فتكون فى طرفة عين العلب وأغطيتها وماعليها من كتابة وزخرفة مما يعجب الانسان له ويدرك سرعة الآلات فى احداث الاشياء وتجهيزها بسرعة عجيبة . ومن عجائب الصناعة وادقها نموذج لقصر ملكى ، ارتفاعه نحو ثلاثة امتار ، مركب من ثلاث طبقات ، حوى داخله كل مايصح ان يوجد فى قصور الملوك ، من

اثاث ورياش غاية فى الجودة والزخرف، وبه مكتبة تحوى اكثر من أربعمائة كتاب ، لايزيد حجم الكتاب عن انملة الاصبع . وبالجملة فيه كل مايحتاجه ملك فى قصره . وقد اشترك فى صناعته اكثر من الف عامل وبعد اتمامه اهدوه الى ملكة انكلترا فظهر آية فى عالم الصناعة ، وكل ما فى القصر من الاثاث والفرش والرياش مناسب لحجمه ، ثم خرجنا من هذا قاصدين معرض الهند فشاهدنا بناء عظيما غاية فى الفخامة والعظمة شيد على هيئة جامع من جوامع الهند الكبيرة ذى قباب عظيمة ، يدخل الزائر بابا عظيما فيرى فناء صنعت به بحيرة جميلة ، احيطت بالماشى المبلطة بالاحجار ، واذا سرت بعد المدخل على يمينك رأيت المحصولات النباتية والحيوانية والمعدنية قد اكتظت بها حوانيت هذا المبنى الهائل ، وترى الفيلة الضخمة والسباع والضباع والفهود محشوة قائمة على ارجلها كانها حية ، يرى الناظر اليها جلال قوتها وعظمتها ، وداخل هذا المبنى معارض متعددة لكل ولاية من ولايات الهند وبها ما انتجته من المصنوعات والمحصولات الكثيرة المنوعة

وصناعة الهند لاحصر لانواعها ترى الشيلان الكشميرية الجميلة على اشكال بديعة والملابس الحريرية المزركشة وسن الفيل بحجمه الطبيعى يبلغ طول السن نحو ثلاثة امتار ، والخزف الجميل المزخرف غاية فى الابداع وحسن المنظر ، وانواع كثيرة معدومة النظير يسرك منظرها وتدهشك صناعتها

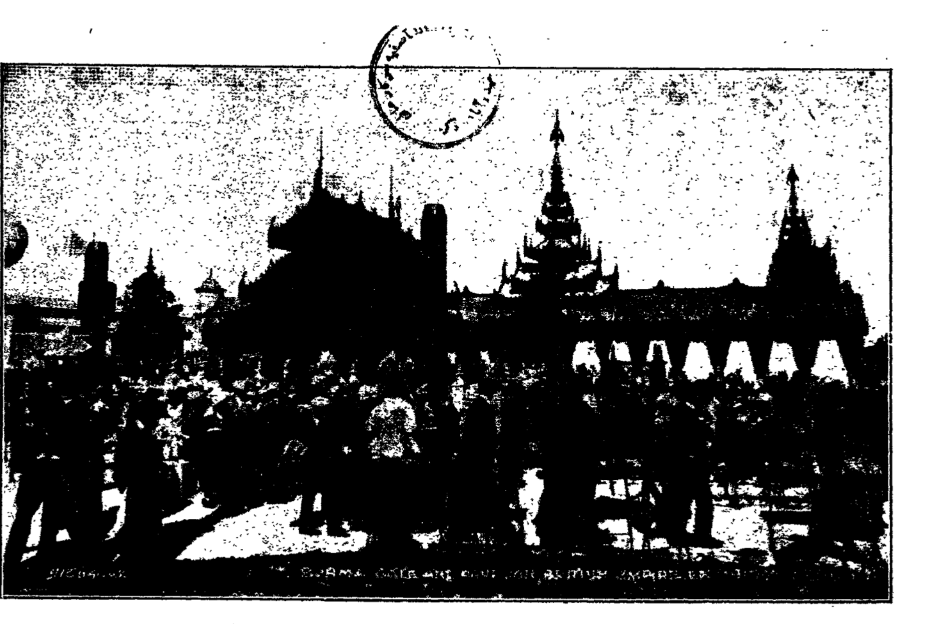
ومما يلفت النظر معرض الشاى فان الاشجار نقلت من مزارعها الى المعرض وعرضت كما تعرض المناظر فى المسارح يتخللها الجانون يبينون كيفية جنى اوراقها وتجهيزها وحملها على الدواب لارسالها الى الجهات وهو لشركة



منظر مبانى الهند فى معرض ومبلى

انكليزية رأس مالها ثلاثون مليونا من الجنيهات ، كما اخبرنا بذلك مدير المعرض الذى قابلنا بذوق كبير وقدم لنا كتابا يحوى معلومات هامة عن الشاى وعما تقوم به الشركة من تنمية زراعته و نشر تجارته »

وامام هذا المعرض محل واسع عاقت فى حوائطه عدة الواح ، وتحف جميلة ، وقد عرض علينا من تلك التحف ماجعلنا نعجب من تقدم صناعة الهند . وقد كتب فى بعض هذه الالواح إحصاء يدل على نسبة المتعلمين فى الهند ذكوراً وإناثا . وقد علمنا من مديره أن تعليم البنات بها ليس أقل من تعليم الذكور غير أن نسبة المتعلمين من المسلمين قليلة بالنسبة للاجناس الأخرى فاسفنا جد الأسف لانحطاط التعليم عند المسلمين فى جميع بقاع الارض وأن عدد المسلمين الآن من الذكور فى جميع المدارس الهندية ثمانية ملايين ينفق عليها سنويا اثنا عشر مليونا من الجنيهات ، وهى نسبة قليلة لعدد سكان الهند . وفى المعرض غير ذلك انواع من الصناعات الجميلة التى لاحصر لها . ثم خرجنا منه قاصدين معرض (برما) وهو بناء غريب فى بابه ليس له مثيل فى بنايات المعرض ، وليس على شكل المبانى المألوفة ، له باب واسع بديع ، زخرف بمواد براقة تخطف الابصار ، وبالباب الخارجى عمودان كبيران ، قد غطيا بهذه المواد البراقة ، يصعد هـذا المبنى بتدريج غريب طبقات بعضها فوق بعض ، كل طبقة أقل مما تحتها بحيث تكون سطحا صغيرا مدرجا ويصعد هكذا حتى تتكون سبع طبقات تنتهى بشكل مدبب كالمئذنة ، تعلق بها الاجراس التى تطن وترن عند هبوب الهواء ، وكل هـذا المبنى من الخشب المخرم البديع المزركش اطرافه ونواحيه ، وقد عرض فيه انواع كبيرة أهمها الاحجار الكريمة المستخرجة من بلادها



منظر مباني برما في معرض ومبلي

وأمام هذا المبنى بناء على هيئة ضريح ينتهى بقبة كبيرة مزينة بانواع الزينة التى زينت بها مبانى برما ، به تمثال من ابدع التماثيل واجملها وهو تمثال المعبود بوذا ، وأمامه تمثال رجل جاث على ركبتيه مادا يديه اليه يطلب منه الرحمة والغفران .

وقد اتبع فى هذا المعرض أن كل مبنى يقام لمستعمرة من المستعمرات يلاحظ فيه أن يكون من نوع مايسكنه أهل تلك المستعمرة ، وفيه تعرض جميع حاصلاتها التجارية والزراعية والصناعية والحيوانية والمعدنية ؛ ويحوى غالبا دارا للخيالة (السنما) تعرض فيه تطور تلك المستعمرة فى عاداتها وصناعاتها وتجاراتها قبل الاحتلال وبعده ، حتى يدرك الزائر مقدار التقدم والتطور الذى حصل على يد الاستعمار ، وما وصل اليه أهلها من الرقى فى كل شىء ، وترى أيضا مناظرها الطبيعية من جبال وتلال وانهار ومعادن وبراكين ومزارع وصناعات ، ترى كل ذلك ممثلا فى مستعمرة نيوزلنده الجديدة التى فيها البراكين تقذف المياه والطين ، وتظهر همجية أهلها قبل الاحتلال فان صناعتهم أولا كانت عبارة عن صناعة الخوص وصيد الاسماك ورعى الاغنام ولكن بعد الاستعمار ظهرت كأحسن دولة متمدينة ، فى صناعتها وتجارتها ورقى اخلاق أهلها ، وغير ذلك مما يصح أن يكون درسا وافيا لاحوال تلك المستمرة فالذى يزور معرض ومبلى يدرس أحوال المستعمرات الانكليزية درسا جغرافيا وافيا ، لانه يرى كل شىء رأى العين وفى داخل البناية باعة من أهل تلك البلاد يبيعون لك ماتريد ابتياعه

بعد أن فرغنا من زيارة معرض الهند ، قصدنا زيارة مبانى الحكومة ، وبها معروضات وزارة الصحة والحربية والمالية الخ ، فرأينا فى معرض

وزارة الحربية بركة واسعة على شكل دائرة ، قد مثلت فيها القارات والمحيطات تمثيلا جغرافياً ، وفى المحيطات تمخر السفن المصغرة التجارية والحربية ، ذهابا وجيئة ، داخلة خارجة من موانيها ، تندفع بقوة الكهرباء فى ذلك الماء ، فيستهوى لبك هذا المنظر البديع ، والسفينة تتبع طريقها ، حتى تصل الميناء وأنت ناظر اليها كأنك فى عالم الخيال ، واذا نظرت الى كمية السفن التى تقطع المحيطات ، ترى اكثرها سفنا المحيط الاطلسى كما ترى أقلها سفناً المحيط الاعظم

أما المحيطان المتجمدان فليس بهما سفن قاطبة ؛ وقد رأينا صور الوقائع الحربية الكثيرة التى انتصر فيها الانكليز على غيرهم ، كما رأينا أضخم المدافع وأرقى أنواع الطيارات .

ورأينا فى وزارة الصحة كثيراً من انواع الامراض فى المناطق الحارة ، وطرق علاجها ، والامراض التى تتولد من كثرة تعاطى خبز الذرة وكيفية معيشة الناس فى الغابات والاحراش والاكواخ .

وقد رأينا فى هذا المبنى كيفية سك النقود والمداليات الذهبية وجلاء النقود اذا لحقها صدأ فتعود الى حالتها الأولى ورأينا النقود المصرية الذهبية التى سكت باسم صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الاول من القطع ذات الخمسة الجنيهات والجنيهين والجنيه ونصف الجنيه والريال الفضى

معرض هنغ كنغ — رأينا فيه كيفية تنقية الاحجار الكريمة ، ووضع الصغير منها فى خواتم يقوم الصانع بصناعتها أمام الزائرين . ولهم مهارة كبيرة فى صناعة اشياء متعددة من الخوص الملون بالاصباغ الجميلة ، وقد

اشتريت منها سفطا غاية فى الجمال محلى بالجوير وبه أقمشة حريرية وعقود مرجانية متعددة الانواع والاشكال

معرض جزيرة سيلان — قد هالنا مارأينا فيه من الحيوانات المفترسة المصبرة وكثير من الصنائع ، ومما يلفت النظر فيه كبر احجار الماس واللؤلؤ وقد رأينا عقداً ثميناً من النوع الاخير ، قيمته الفا جنيه كما هو مكتوب عليه ، وغير ذلك من الاحجار التى تقدر بآلاف الجنيهات

معرض ساحل الذهب ـ فيه رأينا كيف يستخرج الماس من أحجاره ، وكيف يعرف الماس النقى من غيره ، وقد تكاثر الناس لرؤيته ، حتى اضطر الشرطى ان يسير الناس صفوفا منتظمة ليروا الصناع الذين يقومون باستخراجه من احجاره : توضع الاحجار الصغيرة فى حوض مستطيل من الخشب المتين ، مع قليل من الماء ، ثم يقف فوق حافتيه رجلان اسودان قويا العضلات ، يهزان الحوض بارجلهما هزا عنيفا ، فتسمع لاحتكاك الاحجار صوتا قويا وهما كالراقصين المجتهدين ، يميلان يمنة ويسرة ويتصل بهذا الحوض آلة اخرى يقبض عليها رجل يساعدهما فى الهز ، ويمدهما بالماء كلما نقص الحوض

معرض السودان الغربى — واهم مافيه حاصلات الاشجار وثمرها يشبه اللوز ومنها مايشبه الحصى أو الزلط مما لاعهد لنا برؤيته ، وبه محصولاتهم الصناعية وازياء رجالهم ونسائهم مما يعجب الانسان لوجود مثلها فى عصر التمدين ، ومع حكمهم بامة من أرقى الامم مدنية وحضارة .

معرض السودان المصرى — قد عرضت معروضاته فى بناية من نوع مايشيده اهله ، وقد كتب على بابه السودان المصرى الانكليزى وبه

انواع ما يصنع من الخوص والذرة والدخن وازياء الرجال والنساء . ومما لفت النظر فيه وجعل المتفرجين يجتمعون بكثرة شيئان :

(١) نقل شجرة القطن فى براميل بلوزها الكبير المفتح قد يبلغ طول الشجرة منه نحو مترين، وقد وضع خلفها القطن السودانى الناصع البياض مما جعلنا نقف أمامها باهتين ، وقلنا لهـذا تسعى معامل لنكشير فى نشر زراعة القطن هناك ، وتحض الحكومة الانكليزية على التمسك به ، والعض عليه بنواجذها ، مما دعاهم الى اقامة خزان مكوار

(٢) عرض خزان مكوار كما تعرض المناظر فى المسارح ، فترى خزاناً ضخما هائلا لم تر العين مثالا له ، ذا عيون كثيرة ، تجرى على سطحه القطر الحديدية التى تحمل مواد البناء ، وقد صنع فى طرف منه ممر للسفن الذاهبة والآيبة ، وقد بينوا فى لوحة فيه الفوائد التى تعود على السودان من تشييده ، واهملوا الضرر الذى يلحق أرض مصر من ذلك ، وقد قدروا مايتدفق منه من المياه وغير ذلك من المعلومات التى جعلت انظار الزائرين تتجه اليه

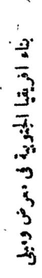
فقلت أين احتجاج الشعب المصرى وحكومته على تمثيله وعده من المستعمرات الانكليزية ، وما معنى قبول الاحتجاج حينذاك ، ورب ان القوى يعتز بقوته ، فلا يسمع نداء الضعيف ولا يشعر بآلامه ، ان العزة لله جميعا .

معرض جنوب افريقية — به محصولات كثيرة منوعة اشهرها البرتقال والتفاح لجماله وكبر حجمه ، والماس وكيفية تنقيته بآلة كبيرة ضخمة مركبة من عدة اجهزة ، وبيان أدواره التى يأخذها حتى يصلح للاستعمال . وبه الفحم الكثير الذى يستخرج من مناجمها وغير ذلك مما لا يحصى . وقد

يسرك جدا رؤية الماس وهو ينتقل فى الاجهزة . وقد رأينا فيه خارطة افريقية مصنوعة من الجبس ، وفيه مثلث السكة الحديدية المنوى ايصالها من جنوب افريقية الى القاهرة مبينا فيها مقدار ماانجز منها وقد مدت من جنوب افريقية حتى قطعت نهر الكنغ ، وقربت من بحيرة فيكتوريا نيانزا ، وبالتأمل فى هذه الخريطة ترى أن الباقى يبلغ نحو الخمس تقريبا وهو معلم بنقط يتبين للناظر اليها بسهولة .

ومما يجدر ذكره عرض انواع النعام حيا وريشه وبيضه وفراخه وله حظيرة فيه . ويروق نظرك عرض قطع الماس الكبيرة التي تخطف الابصار بريقها والكتل الكبيرة الذهبية، وقد بنوا فيه حظيرة للاغنام وبه خارطة تعرض عليك أهم المصنوعات التى عندهم والمناظر الطبيعية والحدائق الجميلة وكيفية ترتيبها وتنسيقها وزراعتها مما يجعلك تتصور تلك البلاد تصورا يقربك من الحقيقة حتى يخيل اليك انها من اغنى البلاد . ويعد من اهم المعارض ومبانيه ضخمة ومحصولاته وتجارته ونظامه وتنسيقه قطعة من عمل اوربا

معرض كندا — هو من اهم المعارض التى زرناها صناعة وتجارة وزراعة وحاصلات، ترى به الشلالات الكبيرة تنحدر منها المياه بقوة فاذا رأيت فيها شلالات نياجارا يغنيك النظر اليه عن الذهاب الى بلادهم كأنك تراه رأى العين ، رأينا المزارع الواسعة الكثيرة التى تعرض عليك فى مناظر جميلة كما تعرض فى المسارح ، وتروعك كثرة الفواكه بها وكبر حجمها ؛ وترى غاباتها الكثيرة وجبالها وخلجانها وموانيها ومايصنع فيها من اللحوم وكيفية حفظها وتصديرها الى جهات كثيرة ، وكيفية صناعة الزبد التى انفردت بكثرته عن المستعمرات الاخرى ، حتى صنعوا منها كثيرا من



بناء افريقيا الجنوبية فى معرض ومبلى

تماثيل البقر والخيل بحجمها الطبيعى . وبه آلات لتنظيف السجاجيد غاية فى الغرابة ، وقد شرح لنا أحد العمال كيفية التنظيف بادارة الآلة امامنا فدهشنا لتقدم الانسان فى تسهيل اعماله كما عجبنا لرؤية آلة قيل لنا انها تزيل آلام الصداع بغاية السرعة ، ورأينا السموك الكثيرة العجيبة طرية كأنها اخرجت من البحر الساعة ، وهى تصدر الى مختلف الجهات

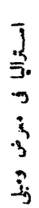
وقد يعجبك كثيرا ويسرك كثرة موانيها وجبالها المتوجة بالثلوج والسفن المصغرة الكثيرة التى تسير مندفعة بقوة الكهرباء متبعة الطرق البحرية الجغرافية ، وكثرة المنازل الجميلة المنتشرة المشيدة على سفوح الجبال تحفها الحدائق الجميلة الغناء ، والاحراج والمراعى الواسعة الكثيرة مما يدل على كثرة خيرات تلك البلاد وفخامة مناظرها الطبيعية ، واجتهاد اهلها فى اتقان الاعمال

وقد كتب تحت صورة امرأة فى اطار جميل عبارة معناها (كندا مستقلة استقلالا حقيقيا مادام يمكن لكل شخص ان يعمل حرا)

ومعرضها يعد نموذجا لحسن المعارض وجمالها وتنسيقها ونظامها

واذا سألت عماله عن شئ اجابوك بلطف وذوق وقدموا لك كتبا تبين لك احوال تلك البلاد من حيث تجارتها وصناعتها وزراعتها ورقيها مما لا يعرف عنه شيئا من كتب الجغرافيا

معرض استراليا — بناء ضخم ، داخله كثير من انواع الحبوب التى تعددت انواعها والوانها ، غاية فى الجودة ، وقد رتبت بهيئة يسهل على الزائرين تمييزها ، وقد احصيت منها نحو الثلاثين ، ولها باجتماعها منظر بهى ، عرضت مراعيها الواسعة ترتع بها انواع الماشية ، وبه كثير من انواع



استراليا فى معرض ومبلى

اللحوم السمينة التى تعطى مثالا لجودة المراعى واعتناء القائمين بشأن تربيتها وتحفظ هذه اللحوم لمدة كبيرة ، ويصدر منها كثير الى جهات العالم ، وقد تعددت به انواع السموك التى لم ار نظيرا لها فى حجمها ونوعها ، وبه مناظر مزارع واسعة متعددة ، اقيمت بها تماثيل الخيول والابقار والاغنام ؛ وتماثيل الرجال يستدفئون وسط الغابات على نيران الحطب ايام الشتاء ، كهيئاتهم الحقيقية ، ولهم مهارة فائقة لاتقل عن كندا فى صناعة الزبد ، وهى من أهم مايلفت نظر المتفرج ، وقد اقاموا منها تماثيل الابقار والخيول كما مر ذلك فى ذلك معرض كندا ، فتقف امامها مسرورا بمنظرها الجميل ؛ وتسرك مناظرها الطبيعبة التى لها روعة فى النفس وهى كثيرة الاشجار والطيور وخرير الماء المنحدر على الصخور والمنساب بين الغابات

وقد أحضرت أنواع الطيور المصبرة والحية ، منها بيغاء ، غاية فى الجمال وحسن الصوت ، تهز رأسها ذات اليمين وذات اليسار وفوق وتحت اذا سمعت كلامها ولم ترها اعتقدت أن الذى ينطق رجل فصيح اللسان واذا قربت منها هزت رأسها وقالت لك بصوت فصيح بالانجليزية (Good bye) وقد اجتمع حولها المتفرجون ليسمعوا كلامها ويروا لعبها

ومما هو جدير بالذكر آلات جز الصوف فانها سريعة جدا فى ازالة الصوف عن جلد الاغنام ، وقد انتظرنا كثيرا ، لنرى فعلها ، وقد جهز لها كثير من الخراف ليرى المتفرجون فعل تلك الآلة الغريبة ، وهى عبارة عن آلة تعلق بين حاملين على ارتفاع نحو مترين ونصف متر تشبه آلة الحلاقة يقبض عليها رجل يوجهها على جلد الخراف كيف شاء فتمر عليه مر السحاب فترى الخراف قد خلصت من صوفها الكثيف بسرعة عجيبة

وبه فواكه كبيرة الحجم ، وقد أحضرت أشجار البرتقال والتفاح محملة بأثمارها الجميلة التى لا نظير لها الا فى معرض كندا ، الذى مر ذكره ، وقد اقيمت تماثيل الجناة وايديهم ممتدة لقطف التفاح والبرتقال ، ووضعه فى الاسفاط ، ونجد كثيرا من البرتقال والتفاح مبعثرا تحت الاشجار . وقد ظهرت مزارعها البديعة كما تظهر على المسارح ، فكان المنظر بهيجا يسر الخاطر ، وقد عرضت فيه كتل كبيرة جدا من الذهب الخالص تساوى الواحدة منها مئات الجنيهات ، كما هو مكتوب عليها

ولهم مهارة كبيرة فى كيفية الغوص والبحث عن اللؤلؤ ، وقد اقيمت التماثيل من الرجال ، مرتدين ثياب الغوص ، شارحين ما يفعله الغائص فى البحر عن اللؤلؤ ، وبيده وفوق جسمه مايقيه من هجوم الحيوانات البحرية

ولهم حذق عجيب فى صناعة الكاوتش (المطاط) حتى صنعوا منه ابسطة منقوشة بنقوش جميلة كما ينقش السجاد

وتعد استراليا من البلاد الغنية بمحصولاتها ومزارعها وحيواناتها ، وداخل هذا المعرض خيالة (سنما) مجانا ، رأينا فيها مناظرها الطبيعية تسحر العقول ، وترى كيفية حياتهم الاجتماعية واحتفالاتهم فى مواسمهم وافراحهم وغير ذلك مما يصور لك احوال معيشتهم قبل الاحتلال الانكليزى وبعده

معرض الرسوم — رأينا فيه الرسوم وتماثيل القرن العشرين (ورسم الدخول فيه نصف شلن) رأينا صنعة جميلة يسائل الانسان نفسه عند مرآها : كيف وصل هؤلاء الرجال الى جودة هذا الرسم الذى ينطق ببراعة الرسامين والمثالين ، وضمت هذه الصور الكثيرة الجميلة الدالة على معانى شتى من شئون الحياة فى حجر غصت بها ، وقد نصبت تماثيل كثيرة

الرسامين من رجال ونساء ؛ كما اقيم للشعراء والعلماء وكبار الكتاب والقواد العظام الذين لهم يد فى نهوض الدولة الانكليزية منها ماهو مصنوع من المرمر او الرخام أوالبرونز ؛ كلهاتشير إلى معانى كثيرة حقيقية وغير حقيقية ؛ كل ذلك آية فى الابداع والجمال

الاستديم — بعد ان تناولنا طعام العشاء الساعة السابعة قصدنا رؤية الاحتفالات التى تقام فيه ، وتدل كلها على مالانجلترا من العظمة والقدرة ، وكان من حظنا ان رأينا الاحتفال بتكريم القواد العظام وعرض جميع انواع الجنود الانكليزية فى جميع مستعمراتها بازيائهم المختلفة التى تناسب تلك البلاد ، وبعض العاب أخرى

اذا عجبت لشئ فى حياتك ، وهالك منظره واخذ من حواسك مأخذه وملك عليك مشاعرك واوقعك فى حيرة ودهشة فأعجب لمشاهدة ذلك الاحتفال الذى اقيم فى الاستديم ؛ فانك تغيب عن رشدك ويخيل اليك انك لست فى عالم الدنيا

نظرت الى الاستديم فرأيت فناء واسعا ، لايدرك الطرف نواحيه وجوانبه ، منخفضا عن الارض ، على شكل دائرة ، يحيط به بناء ضخم اقيمت عليه الاعلام الانكليزية ، يحيط به أنفتيانرو (مدرج) يبلغ ارتفاعه الستين مترا عن سطح الملعب ، قد اكتظ بالناس وحشروا فيه حشرا ، وهذا المدرج المحيط بهذا الفناء يسع نحو ١٢٠ الف نفس تقريبا وقد مثلت به العاب منوعة مدهشة منها ظهور فتيات حسناوات من ناحية من نواحى الملعب يبلغن نحو مائتى فتاة ، مقسمات الى فرق ، فمنهن تلبس ملابس بيضاء ، يتدلى من كل ثوب شريط من الخلف عريض تقبض عليه

من تسير خلفها ، ومنها من تلبس ملابس خضراء وزرقاء وصفراء ، وكل فرقة لها ميزة وشارة خاصة ، وقد سرن بنظام حتى توسطن الملعب ثم وقفن بهيئة أشكال هندسية جميلة تلفت النظر وبعد ذلك اتت سيدة كبيرة ، تحمل مظلة منشورة ، ووقفت متوسطة الملعب بينهن ، وعند ذلك سلطت عليهن الاشعة الكهربائية ، من جميع نواحى الملعب ، فظهرت ملابسهن الجميلة بابدع الالوان والاشكال ، فكان المنظر من اجمل مايرى الناظر ، وهنا أخذ التصفيق يصم الاذان ، بين نغمات الموسيقى والغناء الجميل تردده المغنيات والمغنون من جميع النواحى ، مما جعلنى كانى فى حلم ، وبعد برهة اعطيت لهن اشارة فسرن منظمات على هيئة دوائر ، ثم سرن مثنى مثنى ثم اعطيت اشارة أخرى ، فسرن رباع رباع بحركات غاية فى الدقة والمهارة وسرن حيث خرجن جميعهن من باب واحد كل فرقة تحمل علمها يرفرف فوقها بين التصفيق الحاد ونغمات الموسيقى المشجية وهذه الطريقة التى اتبعت كانت على طريقة حفلات العظماء عند الرومانيين القدماء كما اخبرنا بذلك

وبعد ذلك دخلت فرق من الجنود الملعب رجالا وفرسانا ، مختلفى الازياء مابين ابيض واحمر وازرق ؛ تمثل ازياء الجنود الانكليزية فى جميع مستعمراتها كل فرقة تحمل علمها ، وامامها قائدها ، وسار الجميع بنظام حتى أتمت دائرة الملعب ، وهنا وقفت كل فرقة ثابتة فى محلها على هيئة منظمة ، ثم اتى قائد فتوسط الملعب ونادى فى جميع هـذه الفرق مناداة ، اعقبها اطلاق المدافع ودق الاجراس الضخمة وتصفيق المجتمعين ، وازيز الطاود من فوق الملعب حتى خيل الى أن القيامة قد قامت ، وكل نداء منه تحصل حركة عسكرية من جميع انواع الفرق تفعل الاجراس والمدافع فعلها ، ثم

صدحت الموسيقى بالسلام الملكى، فوقف الجميع رافعين قبعاتهم، فكان المنظر مؤثرا جدا ثم عرض جميع القواد العظام الذين لهم يد فى نهوض الدولة ولهم مواقع مشهودة انتصروا فيها على اعدائهم، سواءاً كانوا احياء أم امواتا، فالاحياء ساروا امام فرقهم، والاموات حملت صور نعوشهم على عجلات تكتنفها المدافع، ثم خرج الجميع من الملعب بين التصفيق والتهليل والاناشيد. ولم ار نفسى قد تأثرت مثل ماتأثرت من هذا المنظر الذى يدل على عظمة الامم ورقيها وصولتها ومجدها وقد اجريت العاب كثيرة يعجز القلم عن وصفها

ومما يزيدك غرابة رؤية معرض الدجاج فان عينى لم تر مثلها نوعا وحجما وبيضها كبير جدا يناسب كبر حجمها

وقد رأيت وانا بمعرض استراليا امرأة عظيمة الجثة على كرسى يدفعه الخدم، سمعتها تقول لشاب يسير بجوارها راجلا (كمان سنتين تنسى العربى) فلفت نظرى اليها هذه اللهجة العربية بين لهجات الاعاجم فعرفت منى ذلك فنظرت الى وقالت أأنت مصرى فقلت لها نعم، فقالت اهلا وسهلا، فانست لها كثيرا واخذنا نتجاذب أطراف الحديث تارة عما يحويه المعرض وأخرى عن أحوال مصر، وطورا عما رأته من المشقة والتعب فى عبور مضيق كاليه وأنها لو كانت تعلم تلك المشقة ما أتت لزيارة المعرض، فاخبرتها اننا عبرنا المضيق عن طريق (دييب) ونيوهافن ولم يحصل لنا شئ مما حصل لك فاختارت ان ترجع منه، ثم افترقنا، وقد اكبرتها فى نفسى لاهتمامها بزيارة آثار الامم الراقية ولو كانت المصريات المتعلمات اللاتى يزرن اوربا يعنين بزيارة الآثار والمتاحف كما فعلت تلك السيدة المصرية الراقية

لتقدمن كثيرا وقد يجمل أن اذكر عبارة مختصرة عامة عن المعرض

اذا نظرت الى سماء المعرض نهارا رأيت المطاود الطائرة تحلق فوق ارضه ذاهبة آيبة ، علقت فيها الاعلانات الكثيرة المدلاة الى الارض تقرأ فيها مايهم عن الصناعة والتجارة فتكسب المعرض جلالا وجمالا

واذا نظرت الى المعرض ليلا ، رأيت شعلة متقدة من نار تعم جميع ارجاء المعرض من ثريات كهربائية ساطعة مختلفة الالوان ينعكس نورها فى بحيرات المعرض وانهاره ، فترى ثريات فى السماء وأخرى فى الماء تمخر فى تلك المياه الزوارق حاملة الشموس والاقمار ، فيأخذك العجب ويوقفك الاستغراب

واذا وقفت فوق الجسور الممتدة على البحيرة والانهار رأيت وسطها الجزر الصغيرة ، اقيمت فيها المراقص على نغمات الموسيقى المشجية

واذا سرت ناحية أخرى وجدت أنواع الملاهى والمطاعم والقهوات ومحال المرطبات بانواعها ، مما يسهل على الزائرين الاقامة فى المعرض طول اليوم وهزيع من الليل

وفى المعرض مبان لجميع مستعمرات انكلترا فى العالم مابين صغيرة وكبيرة من نوع مايسكنه أهل تلك المستعمرات ، كما أن جميع الصناع والباعة والمحصولات الزراعية والحيوانية والمعدنية وتجارتها وتماثيل عظماء رجالها وازياء اهلها وكل ماتمثل حالة بلادهم قد حشرت فيها وعرضت على المتفرجين بابهى نظام واحسن ترتيب فلا يغيب عن الناظر حالة من حالاتهم

المعيشية ، ولهـذا يتسنى للزائر أن يحكم على أهل تلك المستعمرات حكما تقريبيا إن لم يكن حقيقياً .

وقد اختلفت المبانى وتعددت أشكالها وانواعها من حيث كبرها وصغرها وفخامتها وحقارتها تبعا لاحوال أهل المستعمرات

ويدهش الانسان لاقامة هذا المعرض وتنسيقه ونظامه وترتيبه ،وفى أى مدة مثلوا مبانى كل مستعمرة وكيف نقلت هـذه الاشياء المعروضة ، حقيقة ان هـذا العمل لايقوى على القيام به إلا امة عظيمة مثل الامة الانكليزية .

ان هذا المعرض يعطى فكرة حقيقية عن حالة الامة الانكليزية ، وقدرتها على القيام بجلائل الاعمال، بل ربما كان الغرض الاسمى منه بيان عظمتها وقوتها وما تمالكه من مستعمرات وتقدمها فى الصناعة والتجارة والمحاصيل وانه صفحة من صفحات مجدها ومظهر من مظاهر قدرتها وعظمتها

وقديهولك كثرة المتفرجين ،فانهم يسيرون صفوفامتراصة فى الطرقات متكاتفين ، كأنك ترى احتفالا عظيما بفاتح كبير أو حادث خطير ومع سعته نرى كأن الناس قد اجتمعت فى مكان واحد وليس لهـا طريق الى الانتقال فهم فى هرج ومرج ، فترى منظراً بديعاً لم تشاهد مثله . وقد سرت فى هذا المعرض اثنتى عشرة ساعة لم اجلس فيهـا إلا بمقدار تناول طعام الغـذاء والعشاء ، ومع ذلك لم أشاهد إلا المعارض المشهورة . والذى يريد مشاهدة مافيه لايكفيه أقل من اسبوع كما عرفنا ذلك من الدليل ، وأما من يريد رؤية المعارض الشهيرة فيكفيه يوم بشرط أن يتبع الخطة التى رسمها دليل المعرض

وانى معترف بأن الوصف لا يكفى مطلقا لتصوير شىء عن حالة المعرض وما تحويه من العظمة والجمال والكمال ، وانصح لكل شخص عنده متسع من الوقت والمال يريد أن يقف تمام الوقوف على أحوال العالم وما انتجته يد الانسان وما استنبطه فكره من صناعة وتجارة وزراعة أن يذهب لزيارة هذا المعرض الذى لا يسمح الدهر بمثله ولا يكتفى بالوصف ، لانه لا يشفى غلة ، ولا يصور حالة من حالاته وليس الخبر كالعيان

حديقة هيدبارك

من أعظم الحدائق التى زرتها فى سياحتى حديقة هيدبارك ، فانها منظمة الشوارع ، بديعة الترتيب والتنسيق ، غرست على جانبيها الاشجار الباسقة ونضدت فى جوانبها المقاعد الكثيرة التى اعدت للمتنزهين ، تدور حول مظلة الموسيقى كراسى كثيرة بلون الخضرة ، والجالس عليها يدفع بنسين ، والاقبال على سماع الموسيقى كبير ، وقد رأيت رجلا وهو فى حالة السكر يرقص على نغمات الموسيقى ويصيح باعلى صوته ، فكان موضع اضحوكة المتفرجين ، والشرطى لا يتعرض له ، وكنت اظن انه لا يوجد فى بلاد راقية كهذه مثل مايوجد عند عامة قومنا

وقد غصت هذه الحديقة بالمتنزهين مابين راكب وراجل ، غير انى لاحظت ان عدة طرق تمنع فيها مرور السيارات لمجاورتها لمحل الموسيقى حتى لا يترتب على ذلك اقلاق راحة السامعين . وجميع ارضها مغطاة بالحشائش والاشجار الضخمة التى تدعو الناس الى الجلوس والنوم عليها تحت ظلها الوارف ، والتمتع بمرآها الجميل . والكراسى غرست ارجلها فى

الحشائش ، فالجالس عليها ينظر من تحته الحشائش الخضراء ومن فوقه غصون الاشجار الباسقة ، وتجد الاشجار ملتفة بعضها ببعض ، فتكون شبه غابة . وفى الجهة القريبة من البحيرة يجتمع للتنزه فيها أهل الثروة واليسار ، فاذا كان الجو صحواً ، رأيت هناك منظراً بديعا ، ورأيت سيارات متواصلة ، بها النساء متزينات بأفخر الملابس . ومنظر هذه الحديقة فى أيام الصيف يسر النفس ويشرح الصدر لاجتماع الناس فيها بكثرة وترى حولها دور الا كابر والاعيان ، وكثير من هذه القصور فخم جميل جدير بأن يزار ، لمشاهدة ما فيها من آيات الفن والصناعة والزخرف والزينة

وللناس فيها حرية كبيرة ، كما لهم فى غابات بولونيا بفرنسا ، وقد رأيت منها مناظر غريبة تنبئ عن حرية الانسان الكبيرة ، وما يأتيه من الامور المخجلة التى لا تنطبق على الذوق والمروءة والانسانية ، فاذا كانت الحرية لا تجعل الانسان يحافظ على المميزات التى جعلها الله له فرقا بينه وبين الحيوان الاعجم فلا كانت تلك الحرية ولا سطع نورها على أحد . وبعد أن شنفنا اسماعنا بنغمات الموسيقى المشجية ، سرنا حتى وصلنا الى بحيرة جميلة واسعة ، تمخر بها الزوارق الكثيرة التى تحمل كثيرا من الناس ويشاركهم فى السباحة البط والبجع ، ويهب منها نسيم عليل ينعش الافئدة ، وقد رصت على شواطئها المقاعد الكثيرة الغاصة بالمتنزهين

ولا يفوتنى أن أذكر أن الاجتماعات فيها مباحة لكل شخص يريد أن يخطب فى أى موضوع دينى أو سياسى والشرطى لا يتعرض له مطلقا

فترى الاجتماعات قائمة فيها فى كل ناحية ذاك يطعن فى دين من



تمثال الملكة فكتوريا بلندن .

الاديان وذاك يقبح رأى الحكومة وآخر يحبذ دين محمد ويذم الاديان الاخرى وآخر يرى العكس

والحديقة محاطة بسياج من الحديد لها ابواب كثيرة لمرور الراجلين والراكبين، وقد علمت أن هذه الحديقة كانت قديما ملكا لكنيسة وستمنستر، وحولها بعض ملوك انكلترا الى غابة ترتع فيها الغزلان والتيتل، يصطادها ايام تنزهه، ثم جعلت لسباق الخيل والمتصارعين واقبل عليها الناس للرياضة وترويح النفس، ثم حولت الى حديقة غرست بها الاشجار والازهار والحشائش الجميلة، حتى صارت اعظم متنزهات لندن

ويفصل حديقة هيدبارك عن حديقة (جرين بارك) شارع متسع ومبانى غاية فى الفخامة والجمال، ولها سور طويل سرنا بجواره مسافة طويلة يقصدها كثير من الناس كما يقصدون (هيدبارك)

سوق الخضر

سرت فى الجهة الشرقية من لندن، فرأيت مبانى ليست ضخمة ودكاكين ليس بها سلع غالية، فعرفت أنه الحى الفقير بلندن، ووجدت محل ينادى بجودة خضره ورخص ثمنه. وقد كنت لا اعلم أن فى بلاد متمدينة راقية ينادون كما ينادى فى اسواقنا فيعيبون علينا ذلك، وقد رأيت ازدحاما شديدا على باب حانوت ممتد على مسافة طويلة، فلفت نظرى هذا المنظر الغريب وكل شخص يجتهد فى الدخول فيه، وقد سألت عن سبب هذا الزحام، فعلمت أنهم يزدحمون على محل جعة (بيرة) لرخصها فيه فكل يجتهد ليحصل على قدح منها وقد وجدت رجلا ينادى باعلى صوته ان معه

آلة رخيصة الثمن جدا لسن السكاكين وثمنها ثلاث بنسات ، ومن لم يقتنع بصحة مايقول فليقدم مبراته ليسنها له بهـذه الآلة ، فخدع صاحبي بقوله وقدم له مبراته فحطم حدها وجعلهاغير حادة ، فنظر اليه وقال له هل يصح أن تكون كذابا؟ فقال له بصوت منخفض لايسمعه هـذا الجمع الملتف حوله ، أرجوك ألا تظهر ذلك امام الناس ، فوجد صاحبي نفسه امام هذا الرجاء عاجزا عن أن يبوح بشيء يخجل الرجـل ، ويوقعه فى اللوم أمام المجتمعين . فانصرفنا مستغربين لوجود امثال هذا فى بلاد اشتهرت بالصدق فى معاملاتها

وقـد رأيت فى الممالك التى زرتهـا كثيرا من الدجالين والنصابين والمحتالين يسلبون دراهم الناس بغير حق كما كنت اسمع أنه لايوجد شحاذ فى اوربا فوجدت كثيرا منهم فيها . وقد سمعت رجلا فى انكلترا صحيح الجسم الا أنه كفيف البصر ينادى بصوت ذليل منكسر مامعناه (الدنيا فانية ولا يبقى الا الاحسان) على انهم فى الحقيقة قلائل جدا لايذكرون بجانب من اراه فى بلادنا من السيل الجارف المقلق للراحة ، من الشحاذين الذين يضايقون المارة ويخجلونهم بكثرة الحافهم فى السؤال

أخلاق الانكليز وعاداتهم

أن مارأيته من بعض أخلاق الانكليز مع قصر مدة اقامتى فى بلادهم لايعطينى حكما صحيحا عن اخلاقهم وعاداتهم ، غير أنه يمكننى أن اعطى حكما تقريبيا عن بعض أخلاق وعادات تلك الأمة بقدر ماتسمح به الحالة .

رأيت فى بعض من قابلناهم وعاملناهم أنهم ذوو آداب راقية ، لا يظهرون

الصلف ولا الكبر ، ولا يصعرون خدودهم للناس ، مع أنهم لوفعلوا ذلك لكان لهم بعض العذر ، لقبضهم على نواصى أمم كثيرة وبسط سلطانهم عليها ؛ ومع كل هذا فاذا سألت أحدهم عن شئ أجابك بلطف ورقة ، يجعلانك تميل اليهم وتود معاشرتهم ، لايكذبون ولا يراءون ، ولا يلبسون عليك الحق بالباطل ، (اللهم إلا فى الاحوال السياسية).

يسيرون فى الشوارع جادين فى السير ليصلوا الى محال اعمالهم ، فلايتلكئون ولا يجلسون على قهوات ولا فى حانات إلا وقت فراغهم من أعمالهم فى يوم خاص ولم أر قهوة فى لندن مدة اقامتى فيها كما أنى لم أر جالسا يتعاطى بعض الشراب إلا قليلا جدا بل يتعاطاه واقفا أوجالسا على كرسى عال يساوى عارضه الرخامة الممتدة أمام البائع بحيث تكون رجلاه مرتفعتين لاتصلان الى الارض . وترى عليهم مظاهر الفضيلة بين رجال ونساء وفتيات ، ولذا لاتجد للتبرج والزينة مكانا عندهم ، ولا يستعملن الاصباغ ولا التثنى فى السير كما تفعل النساء الفرنسيات ، صادقين فى معاملاتهم ، يحتقرون الكذاب احتقارا مزريا مشينا .

ولقد قص على أحد أصدقائى أن رجلا عظيما من المصريين ذهب لزيارة انكلترا وكان معه لفافات تبغ مصرية ، وهى ممنوعة الدخول عندهم إلا بمكس كبير يؤخذ عليها ، فلما مر بالمكس ، وسئل هل معك مايصح أن تدفع عليه شئ كما هى العادة عندهم ؟ فأجاب كلا مع علمه أنه يؤخذ عليها مكس كبيرة ، فلم يتعرض لتفتيشه أحد فلما نزل فى أسرة أخرج لهم بعض تلك اللفافات وقدمها لهم فسروا منها كما هى العادة عند الغربى إذ يسر جداً لتدخين اللفائف المصرية بل هى أكبر واسطة للتعارف فسألوه

كم دفعت عليها فى المكس ؟ فاجاب بقوله انهم سألونى عنها فانكرتها ، فكان ذلك أكبر سبب لاظهار الاحتقار له واعراضهم عنه وبعدهم عن حديثه فاضطر الى اللحاق باسرة أخرى لاتعرف عن كذبه شيئا

فانظر يارعاك الله الى تلك الاخلاق الفاضلة ، والصدق أس الفضائل ، فاذا صدق الانسان فى معاملاته تلاشت بقية الرذائل الأخرى

وقد نزل معنا فى فندقنا شاب انكليزى اتى من الريف ليرى معرض (ومبلى) ولم يكن قد رأى لندن قبل هذه المرة ، فاخبرنا أنه دهش للحركة فيها : ومع أنه ريفى كان غاية فى الأدب ورقة الحديث ، مماجعلنا نعجب به ونكبره فى نفوسنا ومعرفته اننا مصريون لم تغير من رقة طباعه وحسن حديثه بل كان يظهر التلطف والود لنا وكان يود أن يصحبنا فى غدونا ورواحنا ولكن أغراضنا كانت تخالف اغراضه فلم نتفق معه

وقبل أن اختم رسائلى عن لندن ، يجمل ان أذكر عبارة عن أخلاق الانكليز وعاداتهم عن أحد المؤرخين الشرقيين الذين زاروا انكلترا حديثا قال : « ان أول خلة يراها القريب من الجمهور العامل من أهل الحرف والصنائع ويلحق بهم الفلاحون ، عدم اكتراثهم لمونفورهم منه ، فلا يفرحون لفرحه ولا يحزنون لحزنه ، بل لا يعنى أحد منهم بشأن جاره ، ولا يهمه أمر غير أمر نفسه ، فكل ذى حرفة يشتغل بحرفته طول يومه ، ولا يتطلع الى معرفة شئ غيرها ، فالفلاح لا يعرف شيئا ، إلا ما آل اليه الحرث والزرع والدرس ، والقين لا يدرى مايحدث فى بلاده سوى مايختص برواج سعر الحديد أو كساده وهلم جرا ، وهذا هو السر فى نجاح اعمالهم

ومن طبعهم أنه لايتزاورون كثيرا ولا يسمر بعضهم عند بعض ، ويقومون صباحا فى الساعة الرابعة ، واذا اجتمع المتعارفان منهم وتساءلا ، فلابد أن يبتدئ أحدهم بوصف الجو وصحوه أو برده ، ثم يخبره بماعرض له من وجع فى كتف أو فى رجل ، أو اختلاج فى عين ، فيقول السامع يحزننى ذلك جداً ، ولا يكاد أحدهم يضحك ضحكا طبيعيا ، وانما هو عبارة عن قهقهة، ثم يعقبها الكتم والعبوس، ومن طبعهم أنهم لايحترمون الشيخوخة من حيث هى شيخوخة ، ولايهاب الاولاد والديهم ولايحن الوالدون على اولادهم كما هو الحال عندنا

ومن عادة العامة الملاكمة ويقال لها (البوكس)وقد كانت سابقا بمنزلة الملهى فى اجتماع الناس للتفرج عليها وفى أواخر القرن الماضى كانوا يتعلمونها فى المكاتب

ومن طبع الانكليز عموما التهافت على الشهرة والنباهة بين اقرانهم بأى سبب كان ، ولاسيما فى أسباب العلوم والمعارف

ومنهم من يعتقد بالطيرة والتفاؤل : وظهور روح الميت عند قبره ، وهذا الوهم فاش حتى عند عامة سكان المدن

ومن عادة النساء اذا كلمن أحدا من الخاصة أن ينحنين له عند كل سؤال وجواب وعادة الغلمان أن يضعوا ايديهم على رؤوسهم ، وكذا هى عادة الخادم مع مخدومه عند كل سؤال وجواب واذا خاطبوا أحدا بكلام توبيخ وغيظ قالوا له سير بمعنى (سيد) حتى أنهم يقولونها عند طردهم كلبا أو نحوه ، فيقولون «اخسأ ياسيدى» ويستعملونها أيضا لتعظيم المخاطب واجلاله والرجل يقول عن زوجته معلمتى ، والمرأة تقول عن زوجها معلمى ، واذا

خاطب أحد الخاصة زوجته بلفظ (مادام) كان ذلك اشارة الى تنافرهما ، فخاطب الرضى هو أن يقول لها يامحبتى وياعزيزتى وربما قالوا ياقلبى ، واما ياروحى فلا تكاد تعرف عندهم

واذا دخلت على انكليزى أراك أنه مشغول عنك بما هو أهم من الزيارة، وسألك أن تسرع فى عرض حاجتك ، وعند انصرافك ينهض قائما ويرافقك الى الباب ، وليس عند الانكليز فضول وتكليف على الدخيل فيهم ، بل ولا على من هو منهم، فلا يرونه فى غير وقت الزيارة، ولا يتعرضون لما يأتيه ، ولا تجد خادما يطعن فى مخدومه أو خادمة تعيب مخدومتها ، وإن كانا فى شقاء

واذا نبغ فيهم انسان فى فن أو صناعة ، لم يجد من يتصدى لتجهيله أو تخطيئه فلا يحسد ولا يبخس حقه ، بل يجد من ينشطه ويبسر له أسباب العلم . ومن عاداتهم حسن الترتيب والتدبير فى الاشغال والمصالح ،والتوقيت للعمل فلكل شئ عندهم وقت ، ولكل وقت شغل ، فاذا اتفق ان زارهم أحد فى وقت الشغل ، لم يتحاشوا أن يقولوا له أنسنا بك ولكن علينا قضاء ما لا بد من المصالح ، فلا تؤاخذنا وزرنا فى يوم كذا ، فينصرف عنهم عاذرا لا عاذلا

ومن الخصال المحمودة الحرص على مايؤتمنون عليه حتى اذا استرجعته بعد سنين اعاده عليك كما تسلمه ، بل ربما ازال عنه الوسخ ، ورده اليك نظيفا ،وقال لك وهو معتذر ، قد تجاسرت على ان ازلت الوسخ ، وأرجو أنى لم اسئ فيما فعلت ، وينضم الى ذلك احترامهم للرسائل فلا يفتح أحدهم كتابا باسم غيره ، واذا زارك منهم زائر فلا يمد يده ولا طرفه الى مابين

يديك من الصحف فاذا أراد أن ينظر فى كتاب لم يمسه إلا بعد أن يستأذنك

ومن عاداتهم تنشيط اولادهم على الاشغال وتمرينهم على مايكسبهم واياهم الرزق الكافى والمواظبة على الاعمال والصبر على مايتعاطونه جل أو حقر ، ولا يقول احدهم انى كبرت عن تعلم شئ فلايزالون دائبين كالنمل مادامت فيهم نسمة تتحرك ، ومن أراد ان يكرم نفسه عندهم فليظهر لهم انه مستغن عنهم ولا يعرض لهم فى طلب شئ ، وبناء على ذلك يصاحبون من يصاحبون أياما وشهورا وسنين ، ولا يسألونه عن مقدار دخله وخرجه ولا يريدون ان يسمعوا ذلك منه اذا ذكره

ومتى وثق احدهم بانسان وعرف منه الجد والامانة والاستقامة ، يأتمنه على زوجته وبناته فيذهبن معه ليلا ونهارا بلا مانع ، ومن يحضر الى بلادهم بوصاية من عند معارفهم احتفلوا به وعدوه منهم ، وصموا آذانهم بعد ذلك عن سماع مايقال فيه من الذم

ومن عاداتهم خطاب خدمتهم بالرفق واللين وان اظهروا عليهم العجرفة، فالمخدومة تقول لخادمتها هاتى ذلك الشئ ان اعجبك ، وبعد أن تأخذه منها تشكرها وربما تباخلت عليها فى الاكل والشرب ، وارضتها بمثل هذا الكلام الطيب

ومع هذا الرفق والملاطفة ، فلاتزال المخدومة متباعدة عن الخادمة ، ومظهرة لها فرق المقامين ، واذا غضبت عليها فلا تكلمها بكلام يشف عن سفاهة وخروج عن حد الادب » انتهى ملخصا

في العودة الى باريس

بعد ان زرنا المعرض وجلنا في بعض شوارع لندن ، وزرنا ما امكننا زيارته من المتاحف والآثار : اعتزمنا العودة الى باريس لنمكث فيها عدة أيام ، لترويح النفس من وعثاء السفر ثم الى وطننا العزيز ، فقصدنا محطة فكتوريا الواسعة الكبيرة التي مر وصفها ، وركبنا القطار الذي يقلنا الى مدينة نيوهافن حيث الباخرة تنتظر المسافرين الى فرنسا ، فأخذ ينهب الأرض نهباً ، تارة ينخفض وأخرى يصعد بنا فوق تلال وروابي عالية وطوراً يدخل في نفق حتى وصلنا بعد ساعة ونصف ساعة الى نيوهافن ، ولا أعيد على القارىء وصف ما مررنا به من نضرة الطبيعة وجمالها الفتان ، وما يتخللها من جبال وأغوار وأشجار وما فيها من انفاق ، يغيب فيها القطر آونة ، ويظهر أخرى . وقبل أن ننزل من القطار تسلمنا ورقة بيضاء يكتب كل واحد اسمه فيها ، باللغة الانكليزية ، وحين مرورنا الى السفينة أخذت منا ورقة أخرى خضراء قدمناها الى الواقف على سلم الباخرة ، فسمح لنا بالدخول ، ولم أجد محلا أجلس فيه لكثرة المسافرين ، فرجوت أحد خدمة الباخرة أن يحضر لى كرسياً أجلس عليه ، لأني لا أقوى على الوقوف مدة السفر ، فلبي طلبي فأعطيته شلناً نظير ذلك ، ثم أقلعت بنا السفينة الساعة الثانية عشرة صباحاً وكان الجو في ذلك اليوم متلبداً بالغيوم ، والريح صرصرا عاتية ، والمطر ينسكب منذرا بالويل والثبور ، وعظائم الامور ، والبحر هائج مضطرب ولذا داخلني الرعب والخوف ، لهذا الانذار المرعب .

وبعد أن فارقت السفينة الشاطىء ، أخذت تلاعبها الامواج لعب الصوالج بالاكر وأصبح الجو أسود قاتماً . والامطار زاد انسكابها ، حتى غمرت سطح السفينة ، وتسرب الماء الى الحقائب وامتعة الركاب ، مما ادخل الرعب والفزع فى قلوب المسافرين ، وأصبح كل منا لا يقوى على القرار فوق سطح السفينة ، يترنح الجميع ترنح السكران تبعاً لاهتزازها القوى العنيف ، ولا يقوى أحد على الوقوف ، ولا على الانتقال قدماً واحدة ، بل كل من أراد ذلك يميل يمنة ويسرة ، ولا يلبث أن يقع ، أو يصطدم بحاجز من حواجز السفينة ، فأخذنى الدوار والغثيان ، مما جعل قلبي يكاد أن يتمزق ، واعتقدت انى لا أفيق من هذه الشدة ، مع انه لم يلحقنى دوار مدة سفرى فى البحر الا قليلا ، وما كنت أعلم ان الدوار يكون بتلك الشدة

وفى بادىء الدوار كانت تجلس بجوارى سيدة ، فأخذت تبتسم وتشدد عزمى وتطلب منى أن أكون أثبت جأشاً ، ولكن ما لبثت أن اضطربت وظهر على وجهها الشحوب والاصفرار ثم أخذها الغثيان الشديد ، حتى تخيلت انها قذفت خشاشة نفسها . وكان كل شخص منا امامه وعاء لما عسى ان يحدث مثل ما حدث لنا ، وهكذا صار اغلب حال الركاب وازداد الخطب وعم الفزع والهياج ، حين اشتد اضطراب السفينة ، وتعالت الأمواج حتى كادت تعلوها ، واخذ النوتية ، يهدئون روع المسافرين ، وما يزيدونهم بهذا الا اضطراباً وخوفاً وفزعاً

وقد كنت اخبرت ان سفينة منذ اسبوع جنحت بركابها فى هذا المضيق ، من شدة الانواء والامواج ، فاعتقدت ان سفينتنا لا تنجو من هذه الامواج الهائلة ، فتلحق باختها ، فأدركنى الجزع والوهن ، فانكفأت

على حاجز من الخشب واسندت رأسى عليه مطبقاً عيناى ، حتى يذهب عنى الدوار ولا أرى السفينة التى اصبحت فريسة فى يد الامواج تقلبها كيف تشاء

كريشة فى مهب الريح طائرة لا تستقر على حال من القلق

حتى كنت أتخيل ان كل موجة تشق لنا وسط المضيق قبراً ، ولكنها لا تلبث أن تعلو ظهرها ، فكنا بين يأس ورجاء ، وأخذ كل يفكر فيما ستؤول اليه حالته حتى لاحت لنا من بعد شواطىء فرنسا ، فحمدنا الله على السلامة ونجاتنا من هذه الكارثة العظمى والمصيبة الدهماء . وبعد وصولنا وجدنا كثيراً من أهل دييب منتظرين على الشاطىء يهنئون الركاب بالسلامة من هذا النوء الشديد وقد علمنا ان هذا الاعصار قد خرب جزءاً من شواطىء مدينة دييب وهذا المضيق الذى لاقينا به تلك الشدة ، معروف انه شديد الاضطراب تتعالى أمواجه ، وتجعل السفر فيه من أصعب الأمور وأشقها ، فاذا جاءت الأمواج من البحر الواسع ، انحصرت فيه لضيقه ، وعلت بسبب اضطرابه وهيجانه ، ولذا كان الدوار فيه لا يوصف . ويظن المسافر فيه فى كل لحظة ، ان السفينة ستهبط الى مقره لكثرة ارتفاعها وانخفاضها وميلها يمنة ويسرة

وكثيراً ما عرضت الشركات أن تبنى نفقاً تحت مضيق المنش يوصل انكلترا وفرنسا ، لتسهل المواصلات بينهما ، وتنجز الأعمال بسرعة فلم تقبل الحكومة الانكليزية ذلك . لانه يفقدها مزية كونها جزيرة فى

البحر محصنة تحصيناً طبيعياً ، لانها محاطة بالمياه من كل جانب تحميها البوارج الحربية الكثيرة القوية

وبعد أن وصلنا ونزلنا من السفينة ، وجدنا القطار المسافر الى باريس فى انتظارنا فركبناه وسار بنا ، وأنا أهتز كأنى لا أزال فى السفينة لان التعب أخذ منى مأخذه مدة ثلاث ساعات متواليات

وقد فاتنى الغذاء ولم أشعر بجوع ، ومع ذلك فانى قصدت حجرة الاكل فى القطار وتكلفت تناول الشاى والبسكوت ، فلم أشعر بلذة ولا طعم ، فتركته بعد ان دفعت ثمنه سبعة فرنكات (بالقطع الفرنسى) وسار بنا القطار يطوى الارض طياً ؛ حتى وصلنا الساعة السادسة والنصف مساء ، وبذا نكون قد قطعنا المسافة بين انجلترا وباريس فى ثمانى ساعات ، وقد امتنعت عن تناول طعام العشاء هذه الليلة لشدة ما لحقنى من التعب

ثم مكثنا فى باريس عدة ايام ، امتنعت فيها عن زيارة المتاحف والآثار وتقييد المذكرات حتى أعطى لنفسى بعض الراحة لتستعيد قوتها

واقتصرت على زيارة بعض اخوانى المصريين هناك ، وخاصة قنصل مصر فى باريس والسفارة المصرية لاتسلم منها خطاباتى لانى جعلتها محطاً لها ، قبل حضورى اليها وبعده ، وكانت باسم صاحب العزة المهذب عبد السلام بك الجندى فكانت أشهى ايام لدى ، لرؤية اهل باريس ، وحسن جمالهم ، وما هم فيه من الافراح الدائمة ، والحظ الوفير ، وتهافتهم الكبير ، على انتهاز السرور والملذات ، كأن البؤس لم يطرق لهم باباً . وبعد أن انقضت تلك الايام اللذيذة التى كأنها أحلام نائم ، اعتزمنا السفر الى مرسيليا ومنها الى جنوه لنبحر منها الى وطننا المفدى ، بعد أن تركت تلك المشاهد والمناظر

القريبة في نفس أثراً لا يمحى ، لا يدرك حقيقته الا من زار تلك البلاد ، وقصد أن يرى ما فيها ، ليعرف ما عند القوم من كل تليد وطريف من الآداب والمجتمعات والمناظر والتحف والآثار

من باريس الى مرسيليا وجنوه

كنا قد أخذنا جواز الرجوع ، من محل كوك في روما ، فلما أردنا العودة ذهبنا الى محله بباريس، لنعلم منه ماتم في حجز محال لنا بالباخرة التي اردنا الرجوع فيها الى مصر ، فلم يكن عند موظفيه علم بها، فقال المدير ، سأسأل محلنا في روما وأخبركم بما يتم ، فاخبرناه بعزمنا على زيارة معرض (ومبلي) فاخذ عنوان فندقنا بباريس فلما رجعنا من انكلترا وجدنا خطابا منه غاية في الرقة وحسن الأدب والذوق، يخبرنا فيه، بالباخرة التي تقوم من جنوه في التاريخ الذي اخترناه وأرقام حجرنا وختم خطابه بقوله (اني رهن خدمتكم وانا عبدكم الخاضع المطيع)

أخذنا الخطاب باسم السفينة وارقام حجرنا وأقمنا بضعة أيام بباريس ثم يممنا محطتها ، لنركب القطار الذي يقوم منها الساعة الثامنة صباحا ، فسار بنا وأخذ كل منا ناحية ، لينظر ضواحيها وهو ناء عنها ، فاشرفت من إحدى نوافذه ، لأرى ، فرأيت ما يسر النفس ويشرح الصدر : مزارع نضرة ، وبساتين انيقة ، وحيوانات ترتع في المراعي الواسعة مع الطيور الداجنة

وقد يسرك منظر أطفال الفلاحين ، وهم يركضون ، وينبطحون على

بطونهم فوق ذلك البساط السندسي الجميل . ومنازل الفلاحين هنا التمشيدة على نظام صحي ، مبعثرة وسط المزارع والحقول تحيط بكل منزل حديقة جميلة ، مؤلفة من طبقة أو طبقتين ، مغطاة سطوحها بالطوب الاحمر ، وهو نظام سطوح جميع منازل أوربا ، لتنزلق الامطار الكثيرة عنها الى الارض

والقطار يقطع المسافة بين باريس ومرسيليا فى نحو اثنتي عشرة ساعة ، فى ارتفاع وانخفاض ، وانفاق ، وجسور فوق انهار ووديان ومروج غاية فى الابداع وجمال المنظر لايمل الناظر رؤيتها . وبعض المنازل تغطى سطوحها وجوانبها بالخضرة والازهار ، تحفك الجبال الشامخة المكسوة سفوحها بجميل الاشجار ، فتري عظمة الجبال وعلوها

ومما يزيدك غرابة اشتراك المرأة مع زوجها فى زرع الحقل وحفظه ، ورعى الانعام ، وقيامها بالتطريز اثناء ذلك . وما كنت اظن أن المرأة فى غير بلادنا تشترك مع زوجها بهذا القدر والاجانب يعيبون علينا اشتراك الفلاحة المصرية مع زوجها فى مثل تلك الاحوال

وترى كذلك الغياض الجميلة ، وجداول المياه المتسربة من الامطار تدب دبيب الثعابين بين تلك المزارع ، وترى بحيرات صغيرة تحفها المنازل والمزارع

وقد أخذ القطار يجد فى السير فى تلك المناظر من الوديان والروابى والجبال ، حتى اشرفنا على مدينة ليون العظيمة ، وهى مدينة كبيرة يشطرها نهر الرون شطرين عظيمين ، مشيدة على روابى عالية ، مبانيها من اضخم مبانى المدن التى رأينها ، محطتها واسعة جدا يدخلها عدة قطر ولها عدة خطوط الى جهات كثيرة ، وللمدينة ضواح جميلة .

والطريق من ليون الى مرسيليا لايختلف كثيرا عن المناظر السالفة الذكر ، إلا أنها قليلة الخصوبة ، وبها تلال وجبال جرداء صماء

وبعد أن قام القطار من ليون أخـذ ينهب الاوض نهبا لا يقف إلا بعد ساعات ، وقد يخيل لى أنه لم يقف بين باريس ومرسيليا إلا أربع مرات مع أن المسافة بينهما أكثر من اثنتى عشرة ساعة . وقد لاحت لنا مدينة مرسيليا إذ كانت الساعة التاسعة مساء ، فرأينا منظر الانوار المتلألئة تأخذ محاسنها بمجامع القلوب ، وكلما تقدم القطار اليها غمرتنا أنوار المصابيح، حتى وصلنا الى محطتها الساعة التاسعة والنصف مساء

ولما نزلنا فى محطة مرسيليا سألنا عن القطار الذى يقوم الى مدينة جنوه فأخبرنا أنه يقوم الساعة الواحدة والثلث صباحا فاعتزمنا السفر فيه فاودعنا حقائبنا فى مخزن الأمانات . ونزلنا فى المدينة لتناول العشاء ولنرى بعض شوارعها ومنازلها وحركة الناس فيها ، وبعد أن أكلنا واسترحنا قليـلا سرنا فى الشوارع فرأينا القهوات الواسعة غاصة بالنساء اللاتى يزدن عن الباريسيات فى تبذلهن حاسرات عن اقفيتهن وصدورهن وسواعدهن بحالة تخجل الناظر اليهن ولم يكفهن ذلك بل يتعرضن لبعض المارة ممن يلوح عليهم أنهم غرباء

وقد رأينا حركة الناس فى الشوارع ليلا كبيرة . وقد أدى بنا المطاف فى الشوارع الى عدم الهداية الى الطريق الموصل الى المحطة فسألنا عنها . فارشدنا بعض الناس إرشادا غير كاف . وكانت الساعة إذ ذاك الثانية عشرة ونصف . وبذلك سرنا على غير هدى .فاخترقنا شوارع عدة. ظهر الفجور فيها باجلى معانيه . فالنساء فيها يعترضن المارة ويمسكن بهم ولذلك هلعت

قلوبنا . وخفنا خوفا شديداً أدى بنا الى الاسراع فى السير بل الى الهرولة ثم الى الركض خوفا من لحوق الأذى بنا كما توهمنا ذلك ، حتى وصلنا الى الشارع الموصل الى المحطة بعد أن تصببنا عرقا ، وحمدنا الله على نجاتنا من هذه المصيبة العظمى

ولقد سألنا عن كثرة النساء وتبذلهن فى مرسيليا فاخبرنا أن الموانئ تكثر فيها مثل هذه الاحوال خصوصا مرسيليا فانها مشهورة بذلك . ولما وصلنا الى المحطة تسلمنا حقائبنا من المخزن وسلمناها الى رجل من الموظفين فيه ليحضرها لنا وقت مجئ القطار مقابل رضيخة (بقشيش)

وكذلك فعل ، فلما جاء القطار وركبناه قام بنا فى موعده ، ومن حسن الحظ ان حجرتنا لم يكن بها أحد ، فحمدنا الله على ذلك ، لان السفر طويل يحتاج الى راحة . سار بنا القطار ونحن بين النوم واليقظة ، ولم تغتمض عيناى . لانى أخبرت ان فى هذه المسافة التى نقطعها ليلا اجترأ لصوص على المسافرين وقتلوا بعضهم وسلبوا أمتعتهم ، فاستعصى النوم علىّ ، حتى لاح الفجر فظهر شاطئ البحر ، والاشجار تحفه ، والامواج تنبسط مياهها على بساط من الرمل فيتجعد ، فلزمنا النوافذ وان كان البرد شديداً لنرى حسن الطبيعة وجمالها الفتان الذى جعلنا نسبح الله الواحد القهار الذى أحسن كل شئ خلقه

وما زلنا نشاهد الطبيعة وجمالها ، والجبال الشامخة وعلوها ، والاشجار الباسقة وارتفاعها ، والمنازل البديعة وحسنها ، والحدائق وأزهارها وشوارع المدن ونظافتها ونظامها ، حتى أرسلت الغزالة أشعتها الذهبية على سطوح المنازل الحمراء ، تغمرها الحدائق الواسعة الغناء

وقد كنت أسمع بجمال ساحل الريفييرا وتجلى الطبيعة فيه بحسنها وجمالها فتشتاق نفسى لرؤيته ولو فى المنام ، حتى رأيته رأى العين . رأيت جماله الساحر الباهر ، تجلت فيه آيات القدرة الالهية ، والعظمة الربانية ، يقف الانسان أمام مناظره حائرًا لا يدرى ماذا يقول فى ابداع الخالق مهما أوتى من الفصاحة وقوة البيان لان وصفه فوق مقدور الانسان

يسير القطار فى هذا الساحل متعرجاً تابعاً ساحل البحر فى الدخول والخروج فكان البحر والشاطىء عن يميننا ، والجبال الشامخة المكسوة بالاشجار والمنازل بحدائقها فوق الروابى وسفوح الجبال عن يسارنا فلا ندرى أإلى اليمين ننظر حيث البحر والامواج المتكسرة على الشواطىء أ الى اليسار حيث الجبال الشامخة والأشجار الباسقة فحرنا بينهما كما يحار الانسان فى اختيار احد شيئين جميلين ، فوقفت بين النافذة وباب الحجرة ، التى نظرى الى اليمين تارة ، وأخرى الى اليسار ، حتى وصلنا الى مدينة نيس الجميلة ، كثيرة الحدائق والمنازل البديعة ، المشيدة فوق الجبال وسفوحها ، ترى الفنادق فوق قنن الروابى وقد نظمت الطرق الموصلة اليها وغرست على جوانبها الأشجار مشرفة على البحر من بعد لعلوها الشاهق تعطى منظراً بديعاً يملأ العين نوراً والقلب سروراً

وقد اخترقها القطار فى سيره فشاهدنا أحسن ما اكتحلت بمرآه العين ، من المناظر التى لهج الناس بذكرها ، وقصد التنزه فيها القريب والغريب لجودة هوائها وجمال مناظرها

ولبث القطار يحاذى الشاطىء تارة ويمر في نفق تارة أخرى وهنا ننغمس فى ظلام حالك يخيف ، لكننا لم نكترث به ولم نفزع له بعد ان

مرورنا فى أطول نفق بين ايطاليا وسويسرا ، ثم لاحت لنا مدينة مونا كو الشهيرة بمبانيها الفخمة وجبالها الشامخة وفنادقها الواسعة ، ولم نلبث الا قليلا حتى ظهرت مدينة (مونتكارلو) التى يعجز القلم عن وصفها وجمالها وحسن موقعها ، ونخامة فنادقها ، لأنها مصيف لأغنياء العالم ، يقصدها السقيم والصحيح فالأول يستشفى بهوائها ، والثانى يتمتع بجمال مناظرها وحسن موقعها ، لأن جزءاً كبيراً منها مشيد على جبل ملتو داخل فى البحر فيكون لساناً شيدت المنازل على قنته وسفحه فتشرف على البحر من ثلاث جهات ، والجزء الآخر مشيد على الروابى أيضاً تعمر منازله الحدائق الواسعة ، وهذه المدينة ومناظرها ، تشبه كل الشبه مناظر سويسرا وجمالها الطبيعى . وقد وقف القطار بنا فيها مدة طويلة : فتعنا النظر فى غضونها بجمال الطبيعة ، وعرفنا السر فى انها محط رجال الثروة والخلاعة يقصدها الناس من جميع انحاء العالم ، يفضلونها على كل مدن فرنسا حتى باريس ، وهى مشهورة بانها مركز مقامرى العالم ، يدخلها المثرى مملوء الحقائب والجيوب ، فيخرج منها خالى الوفاض بادى الانفاض . فيفضل أن يخرج من دنياه على أن يبقى فيها يتجرع كأس الندم ويعض بنانه أسفاً وحسرة على ما فات . يرى نفسه فقيراً معدماً بعد ان كان غنياً مثرياً. وقد انتحر فيها كثير من الرجال العظام الذين يفضلون الموت على العار ، والغانيات الفاتنات اللائى يحضرن اليها ليصدن الأغنياء لا يلبثن أن يقعن فى شراك القمار فيفلسن بعد الغنى والثروة فيفضلن الانتحار . وقد أخبرت انه انتحر فيها أكثر من الف من الرجال والنساء وهنا تذكرت قول الشاعر المجيد نجيب الحداد

لـكل نقيصة في الناس عار وشر معايب المرء القمار
تشاد له المنازل شاهقات وفى تشييد ساحتها الدمار
يصيب النازلين بها سهاد فافلاس فيأس فانتحار

وبعد أن فارقناها سار القطار مسرعاً حتى وصلنا الى حدود ايطاليا الساعة الثامنة والنصف صباحاً . فعرضنا حقائبنا على مركز التفتيش كما هى العادة فى حدود الممالك . وطلبوا منا أجوزة السفر فسلمناها لهم فاعلموها بما يفيد السماح لنا بالمرور كما اعلموا الحقائب بالطباشير حتى لا يتعرض لها أحد بعد ذلك

وقد ركبنا القطار فسار بنا فى مثل المناظر السالفة الذكر الا انه أكثر من دخول الانفاق وهنا شعرنا بتغير الجو فجأة . وانقلب البرد الى حر ونزعت الشمس برقعها الذى كانت محجبة به فى فرنسا وانكلترا . وارسلت أشعتها الحارة التى كنا نتمناها هناك . كما اننا شعرنا بثقل ملابسنا التى كانت لا تغنى عن البرد شيئاً فى جو فرنسا وانكلترا الممطرين

وقد كنا نسينا الجو الحار فلم نفكر مطلقاً فى أن نشعر بحرارة فى جو ايطاليا ومصر كما ينسى الانسان فى الشتاء حر الصيف

وقد تغير سير القطار تغيرا كلياً . فأصبح بعد السرعة الهائلة يسير بطيئاً يتلكأ فى كل محطة صغيرة وكبيرة اذ يركبه المستحمون فى البحر . ليصلوا من محطة الى اخرى قريبة منها . فشعرنا بالمضايقة الشديدة بعد هذا السفر الطويل وان لم يكن مملا . وسار القطار على هذا النحو حتى وصلنا الى مدينة جنوه فى ايطاليا بعد سفر احدى وثلاثين ساعة لم يتخللها الا انتقالنا من قطار الى آخر

مدينة جنوه

هى مدينة ليست كبيرة ولا ضخمة البناء ، ولكنها جميلة ا كثرها مشيد على تلال ومرتفعات فالمنازل على هيئة مدرج عجيب من اسفل الجبل الى اعلاه ، فترى حدائق المنازل كانهامعلقة فى السماء ، يصعد اليها بدرجات حفرت فى الجبل متعرجة حتى يسهل الصعود فيها ، فترى لها منظرا شيقا جميلا ، وقد صعدت فى إحداها ، فسرت مسافة طويلة حتى تعبت ولم آت الى آخر البناء ، ففضلت الرجوع على المضى ، وكلما صعدت نحو مائة درجة أو ا كثر تنتهى بشارع كبير به منازل جميلة وحوانيت عامرة ، ومن هذا الشارع تبتدىء درجات سلم آخر تنتهى بشارع آخر وهكذا حتى يصل الانسان الى اعلى بناء شيد فوق القمة ، ومن هناك تشرف على منازل جميع جنوه ، وجل منازلها على هـذا النمط ، وقليل من شوارعها مستقيم ، فهى تشبه شوارع نابلى فى ارتفاعها وانخفاضها ،وكلهاعامرة بالدكا كين ، والحركة بها كبيرة، ويقطع هذه الشوارع ازقة ضيقة منخفضة عن سطح الشارع ينزل اليها الانسان بعدة درجات ، تشبه الازقة القديمـة عندنا ، الا انها نظيفة ، مرصوفة جميعها بالاحجار وفى بعض ميادينها تقام سوق الخضر صباحا ، فيفد اليها الفلاحون يحملون الخضر والفا كهة ، وينادون بجودتها وحسنها باعلى اصواتهم ، وهنا يقبل عليها الشارون وقد لاحظت أن القوطة عندهم تسوى بالفا كهة لارتفاع ثمنها

ولاعتراض الهضاب للشوارع حفرت بها انفاق ، بعضها خاص بمرور الناس والبعض الآخر خاص بمرور المركبات الكهربائية ، ويحرس هذه

الشوارع جنود الفاشست ، فى كل مسافة صغيرة شرطيان متلازمان لا يفترقان كأنما شدا بحبل وكلهم شبان ، يلبسون ملابس سوداء بشريط احمر على الجنب كما يلبس ضباط البوليس عندنا، والسترة مصنوعة على هيئة ريديجود مشقوقة من الخلف ، يلبسون قبعة منحنية الى الامام، لها طرفان ممتدان من الجانبين وضع فى مقدمها تاج ، يحملون السيوف والمسدسات، فلفت نظرى كل هذا النظام الخاص ، فسألت عن حكمة المصاحبة والتسليح، فعلمت أنهم يخافون من مهاجمة الاشتراكيين على غرة . وفى مفارق الطرق العامة ، تقف جنود تخالفهم فى الملابس وفى كبر السن ، وضخامة الاجسام ، لا يحملون سلاحا مطلقا ، ولم أعرف السبب فى ذلك .

وعلى الجملة فمدينة جنوة لطيفة جميلة ، يصح أن تكون مصيفا حسنا لجودة هوائها ، ولتشييد بعض منازلها فوق الجبال والهضاب ، وأهلها على جانب كبير من الهدوء والسكينة ، ليسوا كاهل نابلى فى شراسة الاخلاق .

ولما وصلنا الى جنوه الساعة الثانية والنصف بعد الظهر نزلنا فى فندق جميل أمام المحطة فتغذينا فيه وخرجنا لنرى بعض متاحف المدينة وشوارعها فسرنا حتى وصلنا الى متحف صغير يسمى (بنجوه) فيه صور بديعة تمثل حالات حربية ودينية وسياسية كلها غاية فى الغرابة وجودة الرسم والتمثيل، سقفه مطلى بالذهب مزخرف ومزين بابدع زينة ، ومن بين هذه الصور صورة ملكة مصر كليوبترا حاسرة عن بطنها وثدييها وقابضة بيدها على ثعبان فمه فى حلمة ثديها وهى فى حالة غيبوبة شديدة ، تمثل الهلع والجزع والالم ، فكان المنظر مؤثراً ، خصوصا من يتخيل عظمتها وابهتها فى ملكها ، وما

لعبته من الادوار مع أعظم رجال السياسة والحكم فى روما، وما كانت فيه من العز ورفعة الجاه حتى كانت تحمل على الاعناق فى الشوارع فترمى بالازهار والرياحين من جميع النوافذ، وما أعقب ذلك من خذلانها وافول نجمها فى شباب حكمها، ثم خرجنا منه الى زيارة

كنيسة اونو نسياته

هذه الكنيسة لها مدخل فخم بسلم عريض تدل على العظمة، مقامة على أعمدة من الرخام الابيض الجميل، وعلى حنايا كثيرة، ولها دواخل كثيرة فى الحوائط رسم فيها عدة صور مختلفة تشير الى أحوال دينية قديمة، أو تمثل حالة العذراء ومعها السيد المسيح وهو صغير، أو صورته وهو مصلوب والدم يسيل من رجليه. ولها مذبح غاية فى الجمال والزخرف والزينة، نصبت أمامه الشموع المتقدة ليل نهار: سقفها مموه بالذهب الوهاج من ابدع ما رأيته فى الكنائس التى زرتها، مرصوفة ارضها بالرخام الابيض وهى ليست كباقى الكنائس فى الكبر والاتساع إلا أنها من أعظمها أبهة وزينة

وفى اليوم الثانى من حلولنا بجنوة اصبحنا قاصدين ميدانها العظيم فادى بنا السير فى الشوارع والتفرج على البضائع وحركة الناس ومراقبة احوالهم إلى ميدان فسيح فيه تمثال أحد ملوكها الابطال (فكتور عمانويل) يمتطى جوادا فوق قاعدة من الرخام الجميل ماسكا قبعته بيده، وهو الملك الذى سعى فى توحيد ممالك ايطاليا وجعلها مملكة واحدة يحكمها ملك واحد فوصل الى ذلك بجده واجتهاده وعزيمته التى لا تقل كما هو معروف فى التاريخ

وأمام هذا تمثال آخر على ربوة عالية هو تمثال الخطيب السياسى

المشهور (مازيني) وهو مقام على باب حديقة تسمى (نجرو) غرست اشجارها وازهارها فوق تل كبير من تلال جنوة ، يصعد المتنزه الى أعلاها فى طرق متعرجة حتى يصل الى أعلى نقطة فيها فاشرفنا منها على سطوح مبانى جنوه وحددنا مبانيها بالنظر المجرد ، وشاهدنا الجبال العالية التى تحيط بالمدينة من خلفها ، والمنازل المدرجة من اسفل الجبال الى أعلاها ، فكان المنظر شيقا تسر له النفس وترتاح لرؤيته العين . وفى هذه الحديقة طيور منوعة منها ما يسبح فى جداول تسير بين الصخور ، ومنها ماهو فى اقفاص ، كما توجد بعض الحيوانات الداجنة وغير الداجنة . وبها شلال جميل تنحدر منه المياه بقوة فيسمع لها دوى عظيم ؛ وجميع طرقاتها مظللة بالاشجار الباسقة ، فيطيب السير والجلوس فيها ، فجلسنا على مقاعدها الطبيعية من حجرية وخشبية كما جلس غيرنا من المتنزهين ، وفى اعلاها دائرة جميلة دارت حولها المقاعد لجلوس الناس ، بها عدة مصورين ، يأخذن صورة من يريد ذلك تذكاراً لزيارة هذه الحديقة ، ثم خرجنا منها معجبين بحسن ترتيبها وتنسيقها فوق هذه الربوة العاليه ، ويقابلها من الجهة الاخرى حديقة مثلها فهما يكتنفان الميدان من جهة والمبانى والشوارع من الجهتين الآخريين

ويتفرع من هذا الميدان ستة شوارع عظيمة سرنا فى أحدها حتى وصلنا الى الميدان الكبير وهو ميدان واسع تحيط به العمائر الضخمة والمبانى الفخمة ، مثل البورصة ومصرف روما وغيرها من الحوانيت الكثيرة المكتظة بالسلع الغالية ، وبه جلاريا (مازيني) وهى على هيئة شارع طويل مغطاة بالزجاج ، فهى ليست فى القامة والعظم مثل جلاريا روما ونابلى ، بها القهوات الفاخرة والحوانيت الغاصة بانفس السلع

خرستوف كلمب ومنزله

مقلم لخرستوف كلمب تمثال عظيم فى ميدان المحطة يراه الانسان اول دخوله من باب المحطة الى المدينة ، أقيم وسط حديقة صغيرة فوق قاعدة عالية من الرخام الابيض بزيه القديم ، وقد ذكرتنى رؤيته أعماله العظيمة التى قام بها من كشف امريقا وايجاد دنيا جديدة عادت على العالم بالفوائد الجمة ، فكانت مورد رزق عظيم ومهجرا لكثير من الممالك التى اكتظت بسكانها فهاجر اليها كثير من أهالى أوربا ، وطاب لهم المقام فيها ، وتغلبوا على سكانها الاصليين الحمر فاندمجوا فيهم وبتوالى السنين هضموهم فاصبح عددهم قليلا جداً لايكاد يذكروهم يشتغلون فى أعمال الفلاحة ،وقد أصبحت امريقا بفضل اجتهاد الاوربيين أغنى ممالك العالم ثروة وتجارة وعلما، فالفضل كله يرجع الى هـذا الملاح الصغير الذى ذاق الألم وتجرع كأس الصبر فى سبيل تحقيق فكرته يقصدملوك أوربا يشرح لهم ما يجول بافكاره ويطلب منهم المساعدة بامداده بالرجال والاموال فيردونه خائبا فيعض بنان الاسف والحسرة نحو عشرين سنة حتى قيض الله له أحد ملوك اسبانيا فامده بما يحتاج لسفرته المشهورة ثم رجع الى قارة اوربا مكللة أعماله بالنجاح ، فتقاطر زوار العلم على هذه القارة حتى أتموا كشفها ، ومع كل هذا فقدقام فى وجهه الحساد وجعلوا عمله هذا معلوما بالضرورة ، وفى امكان البعض القيام به ، واعقبت ذلك مناظرة أمام حفل من الناس ، فكان من رده عليهم ان أحضر اناء فيه ماء وبيضة وكلف أحد مناظريه ان يجعل هذه البيضة على أحد طرفيها فى ذلك الاناء ، فلم يمكنه ذلك ، فاخذهـا خرستوف كلمب ، وكسر الجزء

المدبب فيها . ووضعها عليه فاستقرت ، فقال مناظروه ، في قدرة كل واحد منا ان يفعل ما فعلت ، فاجابهم بقوله ولكنكم لم تفكروا فى هذا ، ومع ذلك فقد مات مسجونا ، ولم تسم حتى القارة باسمه بل سميت باسم رجل يسمى (امريك فِسبُوس) قد كشف سواحل امريقا الجنوبية ، وقدقامت ايطاليا بتكريمه واقامت له التماثيل العدة ، حتى أصبح مفخرة ايطاليا فى العالم كله

وقد شغفت برؤية منزله الذى كان يسكنه صاحب هذه النفس التواقة لعظائم الامور ، كما شغفت بزيارة منزل دانتي الشاعر الايطالى المشهور أيضاً فسرنا من شارع الى شارع ومن زقاق الى آخر ، حتي وصلنا اليه ، فوجدناه فى حى فقير جدا بجواره الازقة والطرقات الضيقة والمبانى الحقيرة وهو منزل صغير لا نزيد طوله عن عشرة أمتار فى ارتفاع عشرة أيضاً ، واجهته لا تزيد عن خمسة أمتار ، بابه مصنوع من الحديد ، تعلوه نافذتان صغيرتان ، ليس به نوافذ غيرهما ، وهو الذي كان يسكنه وهو ملاح صغير ولم نجد من يسهل لنا زيارته من الداخل ورقم هذا المنزل (٣٧)

وهنا تذكرت ان أعاظم الرجال من الصناع والعلماء والفلاسفة الذين سطعت أنوار معارفهم على العالم فاهتدى الناس بها الى أمور معاشهم ومعادهم نبتوا من مثل هذا الكوخ الحقير

وقد رجعنا الى فندقنا ونحن مسرورون من رؤية منزل هذا المفكر الجليل وقد استيقظنا فى اليوم الثالث من حلولنا فى جنوه وهو اليوم الذى تركب فيه الباخرة الى وطننا العزيز ولم نعمل فيه شيئاً سوى تجهيز حقائبنا وإعداد أنفسنا الى السفر . وبعد اتمام المعدات ذهبنا الى الميناء لنعرف محل رسو الباخرة فعرفناه وعرفنا ميعاد قيامها فاتفقنا مع أحد الحمالين على ان يأتي

الفندق الساعة الثالثة بعد الظهر ليأخذ الحقائب الى الباخرة ، ورجعنا نسير في الشوارع على غير هدى فرأينا رجلا في ناحية من شارع يبين للناس مايهمهم من أمر مستقبل حياتهم بالنظر الى وجوههم وايديهم وعيونهم وقامتهم ويقيد كل ذلك في ورقة عنده ويقدمها لمن يريد معرفة مستقبله مقابل ليرتين فتقدم اليه شيخ طاعن في السن فأخذ يصوب نظره فيه ويصعده والرجل واقف أمامه كالصنم لا يتحرك ، فكان موضع اضحوكة الواقفين فخجل ولما تسلم ورقته وضعها في جيبه وبعد أن فرغ منه أخذ ينادي باعلى صوته بانه يعرف المستقبل بوضوح وهو على مرأى من الشرطي ولم يتعرض له

ثم ذهبنا الى الفندق فتناولنا طعام الغداء وانتظرنا الحمال حتى حضر وحمل الحقائب وسرنا خلفه لقرب الميناء من الفندق ولخوفنا من أنه ربما يكون حمالا مزيفا فنرجع من سفرنا بخفي حنين ثم أتى حمالوا الباخرة وتسلموها منه ونقلوها الى حجرتنا مقابل عشر ليرات ، وقد انتظرنا قيام الباخرة بفروغ صبر ، إذ تقوم الساعة الثامنة مساء

من جنوه الى نابلى

لما حانت الساعة الثامنة مساء ، أقلعت بنا الباخرة من ميناء جنوه تقودها باخرة صغيرة ، وهنا ظهرت المدينة بجمالها البديع ، اذ تراها ملفوفة بالانوار المتألقة ، الصاعدة بعضها فوق بعض ، حيث تتدرج المنازل المشيدة على سفح الجبل ، مما صيرها تشبه مدينتي رجيو ومسيني ليلا ، فوقف المسافرون في طرقات السفينة ، ليشاهدوا جمالها الرائع ، وقد ظهر لنا أنها مشيدة على قوس من الجبل ، يحيط بالميناء الواسعة ، فكان لهذا المنظر

هزة فى النفس وروعة فى القلب . ولما خرجت السفينة من الميناء تلوت قوله تعالى : (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) فسارت تمخر عباب البحر ، فجلست على كرسى استأجرته عند قيام الباخرة ، لأرى ضواحى المدينة الممتدة على مسافة بعيدة فوق التلال ، ولأرى الأضواء تملأ الفضاء ضياء وجمالا ، حتى وافت الساعة التاسعة والنصف مساء ، وقد كانت الباخرة تسير بهدوء . وقد سرنى ذلك كثيرا ، فذهبت الى مضجعى ، لاريح نفسى من تعب اليوم ، فنمت هذه الليلة هادئا ، وقمت مبكرا منشرح الصدر حيث لا اهتزاز ولا امواج ، لأن البحر كان رهواً ساكناً كالحصير تتجعد مياهه تجعداً خفيفاً

فى صباح اليوم الثانى تناولت طعام الافطار ، وجلست على كرسى أكتب مذكراتى فجلست بجوارى سيدة تلوح عليها مخايل الحشمة والوقار ، وطلبت منى مبراة بلهجة عربية فسررت بذلك وأعطيتها المبراة ، فكانت واسطة التعارف وقد أخذنا نتجاذب اطراف الحديث فى شئون شتى ، وعن أغرب ماشاهدناه من أخلاق القوم ورقى آدابهم فى معاملاتهم واجتماعاتهم ومناظر البلاد التى تجمعت فيها محاسن الطبيعة ، وغير ذلك مما يعد نموذجا حسنا لعلو الآداب وبلوغها درجة تقرب من الكمال ، فالهانى حديثها عن مشاق السفر ومتاعبه وقتا طويلا ، وقليل فى السفينة من يتكلم باللغة العربية ، فكانت سلوتى عند شعورى بالمضايقة ، ومما زادنى ائتناسا ، اتفاق هوانا فى الحنين الى رؤية أولادنا الصغار ، وكانت أشد منى شوقا كما هى عادة الامهات ، وتتمنى أن تطير لترى فلذات كبدها ، فكنت أشاطرها ذلك ، وقد علمت من خلال حديثها أنها سورية متوطنة القاهرة من زمن بعيد ،

وكانت السفينة تسير محاذية للشاطىء فظهرت المدن الايطالية المشيدة أكثرها على المرتفعات ، وبرزت الطبيعة بابهى جمال وزينة ، فكانت تسلية لقلوبنا وراحة لأفكارنا. وعلى الجملة فقد كان سير الباخرة ستاراً ونسيم البحر يهب فينعش قلوبنا ويحيي افئدتنا ، فتتسرب اليها القوة والنشاط

ولما حان وقت الغـداء ، اجتمع من فى الباخرة حول المائدة كأسرة واحدة يزينها اشراق الفتيات الجالسات بينهم ! وكل شخص له مقعد معين لا يتغير مدة السفر ، ولا يجلس عليه غيره ولو لم يحضر صاحبه

ومما لفت نظرنا على المائدة أن سيدة المانية تصحب زوجها كانت تأخذ كمية كبيرة جداً من الطعام الذى يقدم لنا ويقلدها فى ذلك زوجها مما لفت نظر جميع الآكلين ، وقال صاحبي مازحا (ان من تـكون هـذه زوجته لا بد ان تهدد دخله)

وقد رأيت شابا يلاحظنى ذهابا وايابا ثم حيانى وجلس بجوارى وسألنى بأدب هل حضرتك فلان فقلت له نعم فاعاد التحية وقال انى كنت تلميذك وأنا طالب الآن فى مدارس المانيا ، وأريد قضاء العطلة الصيفية فى بلدنا بين أهلى وأقاربى فسررت به وحادثته عن حالة المانيا النفسية ، فشرح لى كثيراً من اخلاق أهلها مما يدل على علو تربية هؤلاء القوم

وقد ظهر لى من كلامه انهم لايزالون يحافظون على قوميتهم وما زال يحادثنى حتى افترقنا عند العشاء ، ثم عاد الىّ بعد تناول الطعام ومعه طلبة من المانيا من سيليزيا العليا ، لايزيد سن اكبرهم عن سبع عشرة سنة ، وعرفنى بهم فملئوا عينى نورا وقلبي سرورا ، وقلت هكذا تحيا الأمم بأبنائها العاملين سبعة طلاب اصطحبوا ليروا اخلاق وعادات الأمم المجاورة لهم فاخترقوا

ليروا أخلاق وعادات الامم المجاورة لهم فاخترقوا النمسا وسويسرا وزاروا أغلب بلادهما ، ثم زاروا أكثر مدن ايطاليا ، وقد استمروا معنا حتى آخر ميناء ايطالية ، تخرج منها السفينة الى الاسكندرية ، لباسهم كلباس الاجناد ، تلوح على وجوههم علامة الجد والنشاط والذكاء ، فعجبت كل العجب لسماح آبائهم لهم بهذا السفر الطويل ، وتركهم يعتمدون على أنفسهم فى اختراق هذه الممالك والبلدان ، حتى يربوا فيهم ملكة الاعتماد على النفس فى كل أعمالهم ، لا يرهبون السفر والتجوال فى مشارق الارض ومغاربها . إذا دعت الضرورة لذلك فيشبون رجالا مستقلين عاملين يعتمدون على أنفسهم فى مباشرة أعمالهم ، فمتى يصل أبناؤنا إلى معرفة هذا المعنى من الاعتماد على النفس ، وحب الحل والترحال طلباً للعلم أو المال

ولو أحسنت وزارة المعارف صنعا ، لشجعت طلابها ، على الرحلات العلمية بأن تعطيهم مساعدة مالية ، وترسل معهم من يكون خبيراً بأحوال تلك البلاد ، ودرس كثيراً من آثارها ومتاحفها وعاداتها حتى يرشد الطلبة ارشاداً كافياً ، فيكون ذلك أفيد وأقوم لنفوسهم من هذه المعلومات الجغرافية التى تشحن بها أذهانهم ، من غير أن يعرفوا لها معنى ، بل مجرد ألفاظ تتلى عليهم فيحفظونها ليكتبوها فى ورقة الاجابة ولا تترك أثراً فى النفوس فمتى عرف تلك المشاهد والمناظر والمتاحف ، تصغر قيمة نفسه فى نفسه ، ومتى رأى عظمة المدنية والحضارة وأثرها فى مدينة لم يأخذ عنها فى علم تقويم البلدان إلا أنها حاضرة مملكة كذا وان عدد سكانها كذا وهى مشهورة بكذا الخ علم أنه لم يعرف عنها شيئا ، وهذا ما جربته فى نفسى .

ولقد كنت أعتقد أن جميع الاراضى كأرض مصر مدحوة ، فاذا جلها

تلال وجبال ووديان ولم أشاهد سهلا متسعاً إلا سهل لومبارديا فى ايطاليا وجزءاً من شمال فرانسا ويكون من المفيد جداً دراسة علم تقويم البلدان بالسما (الخيالة) حتى تعرض تلك المناظر الطبيعية بجبالها ووديانها وأنهارها فتتكون لدى الطلبة معلومات حقة حصلوا عليها بالمشاهدة فيكون الطالب كأنه جاب تلك البلاد ورآها رأى العين وإن كان هذا غير كاف ولا يقوم مقام المشاهدة بالنفس والعين

ولقد كان هؤلاء الطلبة الالمانيون موضع اعجابى واحترامى، ولما كانت هيئة ملابسهم تدل على فقرهم وعلموا من الطالب المصرى المتأنق فى ملبسه أنه ينكر عليهم هيئة ملابسهم ، أجابوه بأنها ملابس أعدت للسفر لا للتزين ولا للتنعم مع ملء الجيب ذهبا ، فوجدت الاجابة حسنة تدل على عدم حبهم للظهور والغرور ، وانهم شبان أعمال ومعارف ، لا شبان أزياء وخلاعة

ثم افترقنا للنوم فنمت مستريحا واستيقظت الساعة الخامسة والنصف صباحا وصعدت الى سطح الباخرة ، فرأيتها قد أشرفت على ميناء نابلى ، وظهرت مبانيها الجميلة وكان ذلك يوم الخميس الساعة السادسة صباحا فيكون ماقطعناه بين جنوه ونابلى ليلتين ويوما فى أحسن ما يكون من الهدوء وملاءمة الجو

دخلت السفينة الميناء رويداً رويداً فظهر بركان ويزوف الثائر دائماً وظهر دخانه الذى انعقد فوقه فكون عمامة بيضاء يظنها الرائى طبيعية ، ورأيت زورقا بخاريا قصد السفينة وارتبط معها بحبل متين واقتادها حتى قربت من المرسى ، فادار مؤخرها الى البر ومقدمها الى البحر حتى لا تضطر عند السفر الى الاستدارة فتلاقى صعوبة وبعد رسوها صعد الخدم ينادى كل باسم فندقه كالعادة

وقد اقبل النساء اللائى ينتظرن اقاربهن واحباءهن ، وعند التلاقى أخذت القبلات تتبادل والدموع تتساقط ، ممايدل على طول الغيبة وكثرة الشوق ولواعجه

فهاج هذا المنظر بلابلى ، وملك التأثر علىّ مشاعرى وكادت تسقط لذلك عبراتى وتذكرت فى هذا الموقف قول الشاعر يصف حالهم

هجم السرور علىّ حتى أنه   من فرط ماقد سرنى أبكانى

ونزل الركاب الذين يقصدون مدينة نابلى وغيرهم ممن يريدون التفرج حيث ستبقى الباخرة فى الميناء يومين ، ولما كنت قد مكثت فى نابلى مدة، ورأيت أهم مافيها فضلت البقاء في الباخرة بقية اليوم على الخروج منها واكتفيت وانا بالباخرة بمشاهدة المنازل والجبال والضواحى مما يظهر من الميناء واضحا جليا ، حتى حان وقت الغذاء فتناولناه ، وبعدأن استرحنا قليلا صعدنا فوق ظهر الباخرة ، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث مع من تعرفنا بهم حتى المساء

ولما اصبحنا قمت من نومى نشطا ، فجاءنى صاحب عرفته بالباخرة ، يعرف العربية والطليانية جيدا ، وعرض علىّ أن أذهب معه لزيارة المدينة فلبيت طلبه . وجلنا فى اغلب شوارعها ، وشاهدت بها مالم اشاهده من قبل ، من تماثيل ومتاحف ، رأيت جامعتها ضخمة البناء مزدانة شرفاتها بالتماثيل الكثيرة الجميلة ، يحيط بها من الخارج بناء على شكل نصف دائرة، ورأيت متحف الآثار به من التماثيل والصور مايجل عن الحصر ، خصوصا ما استخرجوه من مدينة بومبى واحضروه بحالته الطبيعية سواء أكان

مأخوذا من الحوائط او مستخرجا من ارضها ، ثم دار البلدية والشرطة وهى بناء عظيم امامها اكبر ميدان غرس بالازهار الجميلة ، اقيم فيه تمثال يمتطى جوادا على قاعدة مرتفعة من الرخام لأحد ملوك ايطاليا ، وغير ذلك من المناظر الجميلة

وقد التقينا بالطلبة الالمانيين فى أحد شوارع المدينة فساروا معنا وفى اثناء السير وجدت طالبا منهم اخترق الشارع بسرعة ووقف امام رجل برهة من الزمن ثم عاد يحمل ورقة ، فسألناه عن عمله هذا ، فقال انى حصلت على امضاء اكبر ممثل ايطالى فى السنما (الخيالة) فلما وقع نظرى عليه عرفته انه هو الممثل الكبير ، فرجوته ان يسمح لى بامضائه ، وهذه اكبر هدية اقدمها لاهلى فى العودة اليهم ، فقلت ما ادق ملاحظات هؤلاء القوم ، حتى الصغير منهم ؟ وما قيمة هذه الامضاء التى سر بها هذا السرور واعتبرها انفس هدية يقدمها لا هله ؟ ان للقوة معانى ورموزا لا نفهمها ، ولا نعيرها التفاتا ، وصلوا الى درجة عظيمة فى الملاحظة الدقيقة ، ومعرفة قيمة ما يعملون وهو فى نظرنا لا اعتبار له ، وما يدريك ان هذه الامضاء ستكون لها قيمة فنية كبيرة على ممر الدهور والاعوام ، كما رأينا مثل ذلك فى المتاحف المصرية

ثم رجعنا الى الباخرة لتناول طعام الغداء وعند الساعة الرابعة ازدحمت السفينة بالركب المسافرين الى قطانيا او الى مصر ، ومن الذين نزلوا بالباخرة حضرة الشاب المهذب محمود بك عبده قنصل مصر فى نابلى ، ومعه محمود عارف الذى قيل عنه انه سافر ليقتل دولة سعد باشا فى باريس ، فقبض عليه فى ميناء نابلى فى شهر يوليه ، وبقى مسجونا الى شهر سبتمبر حتى تمت المخابرة بين مصر وايطاليا بشأن تسليمه ، لانها كانت تتمسك بعدم

تسليمه فى مقابلة عدم تسليم الطرابلسيين الذين التجئوا إلى مصر وأطلقت سراحهم وزارة سعد باشا ولم تسلمه إلا بعد أن طلب هو العودة إلى مصر ومع ذلك فقد أنزلته فى السفينة التى قدم بها خراً والقنصل المصرى قبض عليه داخل الباخرة فسافر معه محمود بك الى آخر ميناء ايطالية ووكل بحراسته جندياً مصرياً

وقد قابلت هذا الطالب ، وحادثنى فى شأنه كثيراً ، فاستنبطت من حديثه ، أن خروجه من مصر ، كان الخلاف بينه وبين والده ، وأثبت ذلك بحوادث كثيرة دلت على اضطهاد والده له ، حتى كان سبباً فى خروجه من وظيفته : التى كان يتقاضى منها مرتباً حسناً ، وليس فى حديثه ما يدل على أن فى طبيعته حب ارتكاب الجرائم لان حديثه كان غاية فى الصراحة وكان يصحبه شىء من الافكار السادجة

ولقد كان يسخط على الحكومة المصرية لاتهامه بما هو بعيد عنه بعد السماء عن الارض ولانها عرقلت مساعيه فى عدم الحصول على بغيته بما كان معه من الدراهم التى ذهبت أيام سجنه وقد وصف حالة سجن نابلى ومعاملة المسجونين فيه مما يدل على نهاية القسوة وخشونة المعاملة بدرجة لا يتصورها العقل

من نابلى الى قطانيا

أقلعت بنا الباخرة من ميناء نابلى الساعة السابعة مساء ، وربما كانت أعظم ميناء فى ايطاليا ، وكان موعدها الساعة الخامسة مساء ، فظهر لنا جمال المدينة وبرز نورها الساطع المدرج فوق سفوح الجبال والتلال ، كنظيراتها

مما تقدم وصفه فى مدن ايطاليا ، وبعد أن غادرت الباخرة الميناء ، ظهر بركان ويزوف بلهبه الاحمر العجيب ، وظهر الطريق الموصل إلى قمته ، بنوره المتلألىء ، كأن الكهرباء فيه عقود الجمان ، قامت بتنظيمه وتمهيده شركة كوك الشهيرة فى العالم ، فالسياح يقصدون زيارة ويزوف ليلا ليمتعوا أنفسهم بهذا المنظر البديع ، خصوصاً أيام الصيف ، وليتناولوا طعام العشاء على قمته ، وكثير من الأمريكان يفعلون ذلك ، وقد ذكرت فى رسائلى السابقة ما يقوم به كوك من تسهيل السياحة على السائحين من كل وجه ، فله الفضل الجزيل على جميع سائحى العالم

وفى هذه الليلة هاج البحر وماج ، فاضطربت الباخرة ، وأخذ أغلب الركب الدوار ، وقد تعبت جداً من الدوار ، فذهبت إلى حجرتى على أن أستريح ، ولكنى لم أنم لما لحقنى من الالم ، وبعد مدة نمت نوما متقطعا ، حتى الساعة السادسة صباحا ، فخرجت من حجرتى ، وأخذت أسير فى طرقات الباخرة ، واذ ذاك ظهر بركان استرامبولى الذى وصفته فيما تقدم من الرسائل ، وبعد تناول الافطار ، جلست على كرسى لاكتب مذكراتى إذ حضر حضرة محمود بك عبده ، فأخذنا نتجاذب أطراف الحديث فى شئون شتى حتى الساعة العاشرة صباحا ، فلاح لنا مضيق مسينى ، فوقفنا فى طرقات الباخرة لنمتع الطرف بجمال جباله العظيمة ، والاشجار الكاسية سفوحها

ويرى المضيق من بعد ان ليس به منفذ لانزوائه خلف الجبال ، وكلما تقدمنا ظهر لنا جزء منه ، حتى انكشف لنا جميعه ، فكان له منظر بهيج ، لاكتناف الجبال له من الجانبين ، والمنازل مبعثرة ومجتمعة فوق سفوح الجبال

ومما يلفت النظر فى هذا المضيق شيئان :

(١) رأيت عمودا من الخشب على الشاطئ يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثين مترا تقريبا فى اعلاه رجل قد علمت أنه يراقب طول اليوم سمك التونة الذى يكثر وجوده فى هذا المضيق ، وبالقرب منه على الشاطئ عدة قوارب ؛ فاذا ظهر السمك على سطح الماء ؛ عين الى نوتية القوارب محل ظهوره ؛ فيخرجون بسرعة ويحيطون بهذا السمك الذى لا يستمر محتجبا تحت الماء، ويضربونه بآلة عندهم جعلت لذلك ، فيغوص تحت الماء ولا يلبث إلا قليلا حتى يظهر ، فيضربونه مرة أخرى ، ولا يزالون به حتى يميتوه ويخرجوه ، فيكون لذلك عندهم رنة فرح ، لأن جزءا كبيرا من الناس تتوقف ارزاقهم على صيده والتجارة فيه ؛ وهذا السمك عظيم الجثة ؛ وقد يبلغ طوله نحو خمسة أمتار ؛ واذا تعب المراقب حل محله آخر ، ويكون سخطهم عظيما اذا لم يظهر هذا النوع من السمك ، كما أخبرنا من يعرف ذلك

وقد رأينا المنازل الجميلة المنتشرة فوق الجبال وسفوحها ، وقد جددت بعد خراب مدينة مسينى بزلزال سنة ١٩٠٦ ، فمنظرها غاية فى الجمال، وكلها مركبة من طبقة او طبقتين خوفا من حدوث الزلازل فتؤثر فيها وتهدمها وقد رأينا بالمنظار المعظم اطلال المنازل التى هدمها هذا الزلزال وجعلها بالية

وقد غرست اشجار الفاكهة وكروم العنب بكمية وافرة على سفوح الجبال وهى تنمو هنالك جيدا ؛ وقد ظهر لنا من الشاطئ الايسر مدينة رجيو التى مر وصفها عند مرورنا بهذا المضيق ليلا

(٢) رأيت ان قطر السكك الحديدية عند ما تصل قادمة الى هذا المضيق تنزلق بركابها فى بواخر اعدت لذلك ؛ وتسير وسط هذا المضيق الواسع حتى تصل الى الشاطئ الثانى ويتبع هذا القطار نحو اربع عربات بركابها

وبضائعها ، حتى يسهل عليهم المسافة ولا يتحملون مشاق نقل الامتعة الى البواخر واخراجها منها ، فلا يشعرون انهم يجتازون بحرا ، ومتى وصلوا الى الشاطئ الثاني انزلقت هذه العربات الى القضبان وسارت في طريقها . وقد رأيت بالمصادفة هذه البواخر تحمل العربات سائرة أمام باخرتنا فعجبت لهذا التسهيل الغريب

اما ركاب الدرجة الثالثة فينقلون الى الشاطئ الآخر بالبواخر كالعادة المتبعة وقد استغرق سير السفينة في هذا المضيق نحو ساعة ونصف ساعة، لم نجلس فيها لنمتع الطرف بمحاسن الطبيعة التي تجلت في هذا المضيق والجبال المحيطة به ، وعند الساعة الثالثة والنصف أخذت السفينة تدخل ميناء قطانيا ، حتى رست على الشاطئ الساعة الرابعة ، فنزلنا منها يصحبنا حضرة محمود بك عبده وكنا خمسة وركبنا عجلة اوصلتنا الى فندق يسمى (برستول) فاودع القنصل حقيبته فيه وسرنا معا في اكبر شارع في المدينة يسمى (استسكورى) وهو شارع متسع ، تسير فيه المركبات الكهربائية في الوسط ، وله طواران واسعان تسير فيهما الناس ذهابا وإيابا ، وكله غاص بالدكاكين الحافلة بالسلع والبضائع المنوعة . وقد أدى بنا السير فيه الى ميدان واسع ، اقيم فيه تمثال عظيم يعلو قاعدة من الرخام ، يحيط به عدة تماثيل أخرى ، ترمز كلها الى معاني الحرية عندهم ، فاخذ أحد اصحابنا صورنا الشمسية ، لتكون تذكارا لزيارة تلك المدينة ، ثم أخذنا نسير ونتفرج على ما في الدكاكين من البضائع الى أن وصلنا الى حديقة تسمى (فلابليني) فدخلناها فوجدناها غاية في حسن الترتيب والنظام والتنسيق رصت طرقاتها بالحصى الملون كحديقة الحيوانات عندنا .

ويرى الداخل فى مدخلها نافوزة عظيمة تصب ماءها فى بحيرة جميلة ، دارت حولها المقاعد لجلوس المتنزهين ، غرست اشجارها وازهارها على تل مرتفع ، يسير الانسان فى طرقاتها صاعدا متعرجا ، حتى ينتهى الى اعلاه فيرى مظلة الموسيقى غطيت بالزجاج الملون الجميل نسقت حولها الكراسى والمقاعد ، وبه تماثيل كثيرة محيطة بفناء واسع ، وقد اخذت صورنا الشمسية فيه

وبهذه الحديقة نافورات صغيرة ترمى مياهها على زرع عريض الاوراق ، على هيئة نقط متفرقة ، فتسقط عليها وتسيل كانها اللؤلؤ المنثور ، فاوقفنا هذا المنظر الجميل ردحا من الزمن

ومن هذا المكان تشرف على سطوح المنازل وعلى الجبل المحيط بجزء من المدينة المكسو سفحه باشجار الفاكهة المتنوعة ، فكان المنظر شهيا أغرانا ان نقف نتأمل فى محاسنه نصف ساعة

ثم خرجنا من هذه الحديقة عائدين فى شوارع اخرى ، وقد ادى بنا السير الى ميدان واسع يحيط به مبان ليست ضخمة ، يسمى ميدان (الدومو) به نافورة وسط حوض تصب فيه وفى هذا الحوض قاعدة مرتفعة عليها تمثال فيل اقيمت فوقه صورة مسلة وكل هذا يكون منظرا غريبا ، وفى هذا الميدان اكبر كنيسة لهذه المدينة

وقد تبينت وجوه القوم فرأيت انها فى الوانها اميل الى وجوه المصريين ، نساؤهم بعيدون عن الخلاعة والتبرج ، كما انهن لا يستعملن الاصباغ إلا قليلا

والحركة فى الشوارع ليست مثلها فى المدن الايطالية الكبيرة ، والمدينة جميلة ، بعض مبانيها على نظام خاص يخالف مبانى المدن الايطالية الاخرى

ثم رجعنا إلى الباخرة إذ كانت الساعة السادسة والنصف مساء لتناول طعام العشاء ننتظر قيام الباخرة الساعة التاسعة مساء ، وقد تأخرت عن موعدها نصف ساعة ، وعند اقلاعها من الميناء وقف الركب فى طرقاتها ، ليرى منظر المدينة من البحر ليلا ، فظهرت بانوارها الساطعة التى كشفت ربواتها للناظرين وهى تشبه بعض الشبه مدينة جنوه

ويجدر ان اذكر بمناسبة تأخير قيام الباخرة عن موعدها ، انى رأيت مواعيد القطر والبواخر فى ايطاليا مضطربة ، فلم تقم باخرة أو قطار فى ميعاده المحدود الا قليلا وقد سألت حضرة محمود بك عبده عن سبب الاخلال فى المواعيد فاجابنى بان الحالة كانت أشد من هذا بكثير لاضطراب الحالة السياسية حتى صار الاخلال بالنظام من لوازم العمال ، وقد تحسنت الحالة كثيرا ايام موسولينى ، بعد أن كانت الفوضى ضاربة اطنابها ، وكل شخص فى ايطاليا الآن يشعر بالتحسين الكبير فى كل شىء ومع هذا فان بعضهم يقومون فى وجهه ، ويودون ابعاده عن الحكم ، لاغراض نفسية وحزبية ، وقد اتخذوا مقتل (ماتيوتى) النائب الاشتراكى الكبير الذى كان يعارض كثيرا فى سياسه موسولينى سلاحا يحاربونه به ، ليصلوا الى اغراضهم ، وقد نجحوا بعض النجاح فى ذلك ، وغيروا نفوس بعض الشعب على موسولينى . وقد رأيت وانا بمدينة ميلانو التى هى مدينة العمال صورة (ماتيوتى) معلقة على جدران حوائطها مكتوب تحتها ، (ليحيي ماتيوتى) مما يدل على تغير النفوس من حكم موسولينى وكل هـذا وهو قابض على ازمة الحكم بيد من

حديد ، ويهدد اعداءه فى خطبه بجيشه العظيم ، وقد انتشر جنود الفاشست فى كل مكان حتى فى المحطات ، يراقبون الناس مراقبة شديدة فى الدخول والخروج ، يسهلون لهم اعمالهم ، ويمنعون الغش والرشوة التى لا تزال باقية الى الآن وان كانت قليلة جدا بالنسبة الى الحالة الاولى

وقد حدثت مظاهرات كبيرة ضد موسولينى والفاشست فى مدن ايطاليا مثل نابلى وغيرها عند ماعثروا على جثة (ماتيوتى)مهشمة ،وطلبت امرأته أن تنام بجواره ليلة قبل دفنه ، فرجاها الفاشست فى أن تمتنع عن هذا خوفا من تهييج الشعب فقبلت ذلك بعد مشقة كبيرة ولـكن مالبثت الحالة ان رجعت الى ما كانت عليه ، وامكنه ان يتغلب على اعدائه

وموسولينى محبوب عند أكثرية الشعب ، ويعدون أيامه ايام اصلاح ونظام ولو لم يكن ذلك ماتسنى لموسولينى أن يسيطر على شعب عريق فى المجد والتاريخ بقوة جيشه وسلاحه . وقد عرفنا من تاريخ الامم مايعزز ذلك الاعتقاد وان الامم لاتحكم الا بارادتها لان مدة الظلم قصيرة مقامة على غير أساس وعدل مهما هدد صاحبها واوعد ، والتفريق سبب من أسباب طول مدة الظلم ، كما ان الاتحاد قوة لاتنهى وسبب من أسباب تقلص ظل الظالم

ونقول انه لو نزع كل منا مافى صدره من غل وحقد ،وباعد ضميره عن بغض الغير وحب الانتقام والتشفى ، وجعل غرضه خدمة وطنه خدمة حقة ، وتعاون الناس جميعا فى الوصول الى هذا الغرض، لما كان مانحن عليه الآن من التباغض والتنابذ ، والتقاطع والتدابر ، حتى فتحنا ثلمات كثيرة فى صفوفنا ولجها العدو بسهولة ، وفرقنا ايدى سبا ، وأتى على البقية الباقية من اتحادنا ، ونحن لا نعتبر ولا نتعظ بل غشى بصائرنا وطمس على قلوبنا ،حب

الانتقام والنكاية، فذهب ريحنا، وحقت علينا كلمة العذاب والخذلان

فاللهم قيض لنا من ينقذنا من هذه الهاوية المظلمة، ويهدينا الى سواء السبيل. حتى لانحرم من إشراق شمس الحرية التي يتعشقها كل كائن حي حتى الطيور فى سمائها والسموك فى مائها

من قطانيا الى الاسكندرية

اقلعت بنا الباخرة من ميناء قطانيا الساعة التاسعة مساء فوقفنا فى طرقاتها لنرى منظر المدينة ليلا، فظهرت ربواتها العالية مجللة بالانوار المتألقة تشبه فى منظرها العام مدينة جنوه. ومازلنا نراقبها وضواحيها حتى توارت عنا، فقصدنا مخادعنا، ونمنا مستريحين حتى اصبح الصباح فرأيت البحر ساكنا هادئا، فحمدت الله على ذلك، وجلست على كرسى استقبل نسيم البحر العليل، لا اشعر باهتزاز ولا اضطراب. وقد اصبحنا بعد أن اقلعنا من ميناء قطانيا بين السماء والماء، لا نرى جبالا ولا مدنا ولا جزرا، كما كنا نراها من حين الى آخر من جنوه الى قطانيا، لأن الباخرة بينهما كانت تسير قريبة من الشاطئ. فكانت تمر بتلك المناظر التي تؤنسنا أما الآن فلا، اذ نحن متوجهون الى الاسكندرية، فلا ترسو الباخرة إلا فى مينائها

وقد كنا كل يوم نتعرف الى جملة من الركب فى الباخرة من المتوطنين مصر، وجلهم من ايطاليا. فكان الاجتماع شهيا. وقد أصبحنا كأسرة واحدة نجلس على المائدة ضاحكين مسرورين

وفى صباح اليوم الثانى لنزوحنا من مدينة قطانيا هب الهواء شديدا فعلت الامواج سطح البحر، وظهرت الرغوات البيضاء، وتحركت الباخرة

وأخذت تعلو وتهبط . وتميل يمنة ويسرة . ولكنها لم تخش صولة البحر . بل أخذت تشق لها طريقا بين الامواج الهائلة مما جعلها تندحر امامها وهذا ثاني منظر رأيته مخيفا ، والاول في بحر المنش . ومع اضطراب السفينة لم يحدث للركب هلع ولا ذعر .

ثم لاحت لنا أشباح جزيرة قنديا الساعة الثانية . ومازالت تقترب منا حتى كنا الساعة الثالثة امامها ، فبرزت جبالها الشامخة يتقطع عليها السحاب ، وتلالها المرتفعة المكسو بعضها بالحشائش والاشجار

وقد رأينا منها الجزء الصخرى المجاور للبحر الذى ليس به بلاد ولا سكان وقد علت الامواج واضطرب البحر أثناء مرورنا بالجزيرة ، مما غير البحر عما الفناه فى عودتنا . وقد اخبرنا ربان الباخرة أن هذه الامواج ستهدأ الساعة السادسة مساء . وقد كان ذلك . فانها بعد هذه الساعة أخذت الامواج فى الهدوء والسكينة . حتى انمحت عند ذهابنا الى النوم

وقد اذكرتني رؤية هذه الجزيرة فنزيلوس الذى لعب بسكانها وببلاد اليونان دورا مهما واظهر دهاء كبيرا . فانتشر ذكره حتى بلغ آذان ملك اليونان فاستدعاه ليكون وزيراً له ومشيراً . فنال عنده وعند عامة الشعب منزلة سامية . وعاهد الملك على أن يخلص له ويساعده . وقد طرأت على بلاد اليونان حوادث لم يفز فيها كثيرا فخرج من بلاده متجولا فى فرنسا وانكلترا ليجد له جوا صالحا . يبذل فيه المساعى ضد تركيا . فتمكن من تحريض انكلترا عليها حتى يتصيد فى الماء العكر . ونتج عن مساعيه

وقوع الحروب بين اليونان وتركيا . بعد أن أخذ وعدا صادقا من انكلترا بإمداد بلاده بالمال الكافى . ولكن الزمن لم يحقق حلمه إذ تغلب الترك على اليونان وكسروهم شر كسرة تعد من أعاجيب الحروب وفنونها

فلما رأى أن سياسته كانت شرا ووبالا على بلاده فر مع زوجته وابنه الى فرنسا . بعد أن أخذ كثيراً من المال : مما يجعلهم فى بحبوحة وخفض العيش وترك بلاده تقاسى آلام نتيجة أعماله . وظهر لهم مقدار البلايا والرزايا التى جرها عليهم . فكرهوه ونقموا عليه بعد الاحترام والتقديس . وساد الاضطراب والاختلال بلاد اليونان وقامت الثورات المتعددة إلى الآن ولا يعلم ماذا تكون نتيجة أمرهم

وقد استمرت السفينة تسير أمام الجزيرة الى الساعة السابعة ليلا ، وهى شهيرة بتصدير الصابون المسمى باسمها ، وكذا العسل والفواكه والزيتون ، ولها تجارة كبيرة فى هذه الانواع مع مصر

ولقد كان أغلب ركاب الباخرة على جانب عظيم من الاخلاق، وحسن الحديث وحب الألفة ، يمازح بعضنا بعضا رجالا ونساء فتيات وفتيانا ،

ومما لفت نظرى ان شيخا ايطاليا تتدلى لحيته الى صدره طويل القامة واسع العينين جميل المحيا حلو الحديث ، وان كانت الايام قد محت سواد شعره ، تصحبه ابنته العذراء ، هذا الشيخ كان يدعو ابنته للعزف على المعزف (البيانو) وهو يرقص بين الحاضرين على نغماته ويوقعها بفيه ، فكان مظهر من مظاهر التسلية والمجون كما أنه كان يتولى العزف ويكلف ابنته الرقص

ويدعو بعض الفتيات الى ذلك ، فكانت كل واحدة تقوم بدورها مما جعلنا في سرور عظيم

وقد كان ذلك موضع الغرابة عندى ، لأنى لم آلف أن رجلا مهما بلغت به خفة العقل ، ان يرقص امام ابنته وهو فى هذا السن ولا فى غيره كما أنه لا ينبغى له مهما كانت الظروف والاحوال أن يكلف ابنته الرقص أمامه وأمام الحاضرين ، ولكن للقوم عادات وحالات ليست لنا ، ولهم حياة فى أسرهم ، لا يسمح الشرقى لنفسه بها ، لانه يعتقد أن ذلك يذهب بجلاله واحترامه أمام أولاده وزوجه، بل يجعلهم يخطمون الفوارق والآداب الواجب اتباعها أمامه وهذا هو اعتقادى

اذا كان رب الدار بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وأرى ، ولكل شخص رأيه ، ان الآداب فى الأسر الشرقية أرقى منها فى الأسر الغربية

وفى اليوم الثالث قمت من نومى نشطا مسروراً وصعدت فوق ظهر الباخرة فوجدت الهواء بليلا والنسيم عليلا ، فارتاحت نفسى لذلك ، لأنه لم يبق على الوصول الى مدينة الاسكندرية إلا هذا اليوم وليلته

وفى هذا اليوم تعرفت بشاب عراقى يسكن بغداد ، جاب أكثر ممالك أوربا يسمى (جورج يوسف عذاريا) فقد قضى فيها خمسة أشهر ، وهو من الشبان الاذكياء

وقد حدثنى عن العراق من وجهة التعليم ، فقال إن أهله ليسوا على جانب كبير فيه ، وان الامية ضاربة أطنابها ، وأن جزءاً كبيراً منهم باق

على بدويته ، يسكنون الجبال والخيام ، بعيدين عن كل مدنية وحضارة . وليس عندهم ميل الى التعليم

أما الحالة السياسية هناك ، فبعض أهل العراق يرغبون في بقاء الانكليز فى بلادهم ، خوفا من تطلع الامم المجاورة الى بلادهم خصوصا الترك ، وقد ذاقوا مرارة حكمهم القديم ، حتى يشتد ساعدهم ، ويقوون على القيام بشئون انفسهم ويكونون لهم جيشا ، يمكنهم أن ينتفعوا به عند الطوارىء ، عند ذلك يسعون فى التخلص من الانكليز واستقلال بلادهم فقلت له هيهات أن يتخلصوا من ناب الانكليز اذا كانت هذه افكارهم لان الانكليز اعطونا اكثر من ثلاثة وستين وعدا ، لم يبروا فى واحد منها ، ولو بقى جندى انكليزى واحد فى العراق أو فى مصر لاعتبرتا محتلتين .

كما حكى عن « جحا » انه أراد بيع بيته ، واشترط على الشارى ان يبقى له ملك مسمار فى البيت ، فامتنع الشارى عن شرائه ولكن كثيرا من الحاضرين قالوا له ماذا عسى يصنع هذا المسمار حتى تترك فرصة شراء البيت ؛ فاقتنع بكلامهم واشتراه ولكن جحا كان يزور مسماره كل يوم وقت الغداء والعشاء ، فيزاحم أهل البيت مزاحمة اضرت بهم ، فكلمه صاحب البيت فى هذا ، فاجابه بانه يتمتع بما له من الحق الذى اشترطه لنفسه ، فلا يجد الرجل سبيلا إلى التخلص منه ، ولما ضايقه اضطر الى الخروج من البيت وتركه له

فقال نحن نعلم ذلك ، ولكن ما الحيلة ، وهم متوغلون فى كل شىء ؟

فقلت له أما نحن فلسنا تاركين لهم امرنا ، ولو زعموا لانفسهم ان لهم عندنا الف مسمار

وقد حدثنى ان افراد الامة العراقية لايرغبون فى مفارقة اوطانهم ليروا عجائب اوربا واميركا ، ولم يظهر الرغبة فى ذلك الا افراد يعدون على الاصابع ، ويمكن أن اكون أول شخص ساح هذه السياحة الكبيرة فى بلاد اوربا . وسانشر ماعلمته عن تلك البلاد متى رجعت الى بلادى ، حتى اولد فيهم حب الهجرة والسياحة ، لان فوائدها اجل من أن تحصر ، ولا يعرف ذلك الا من عالجها ، وعلم مافيها من الفوائد الجمة ، والعلم الغزير ، والاطلاع الواسع والفضل الكبير

لايعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

وهذا الفتى مراسل لجريدة فرنسية وانكليزية وعربية ، وجريدة الهلال بمصر كما اخبرنى بذلك

وقد نمنا ليلتنا هذه التى يعقبها صباح الوصول الى الاسكندرية فرحين مستريحين . ثم قمت مبكرا ، فرأيت طيورا بيضاء ، تطير قريبة من السفينة ، فقلت يالله ، كأنها طيور (خرستوف كلمب) التى دلته الى قرب النجاة والوصول الى امنيته ، وهى كذلك دلتنا على قرب وصولنا الى وطننا العزيز المفدى . وما وافت الساعة السادسة حتى لاحت لنا من بعد مدينة الاسكندرية فوقفنا فى طرقات الباخرة ، لنرى منظرها الجميل من البحر ، وكيفية دخول الباخرة الميناء حتى دخلتها الساعة السابعة صباحا ، وهنا رأيت الزوارق قد احاطت بالباخرة ، ناشرة الاعلام المصرية ، ترفرف فوق الطرابيش

الحمراء التي حرمنا رؤيتها زمنا طويلا ، وهي تحمل الأطباء الذين يقابلون ربان الباخرة ، ليعرفوا منه مافي السفينة من مريض وصحيح ، ومنه ضباط الشرطة يتسلمون اجوزة الركاب ويعلمونها ، دليلا على السماح لهم بالنزول من الباخرة مقابل شيء من النقود

ولما رست الباخرة غصت الميناء بالمنتظرين ، وأخذت المناديل تلوح من الجانبين ونحن ننظر اليهم ، ثم رجعنا الى داخل الباخرة ، منتظرين اعلام أجوزتنا ، وبعد الانتهاء من ذلك سمح للمنتظرين والحمالين بالصعود الى الباخرة ، وهنا اختلط الحابل بالنابل ، واشتغل كل بنفسه ،وافترق الاحباء الذين اجتمعوا بالباخرة زمنا ، ولبث كل يشيع الآخر بنظرات تشف عن أسف وانتهاء مدة السرور والاجتماع ، ويبحث عن الطرق التي تسهل له الخلاص الى المكس ، وقد يبحث الانسان عن حتفه بظلفه

رأيت في مكس الاسكندرية مالم أره في مملكة من الممالك ، رأيت العطل كثيراً والبحث دقيقا ، لا يكتفي العامل بمايراه أمامه في الحقائب بل يبحث بحثا دقيقا في كل ماتحمله من حقيبة وصرة وحذاء ، فيقلب مامعك رأساً على عقب ، فيفكك أوصاله ويباعد بين أجزائه ويسألك عن الثمن الذي اشتريت به. واذا لم يرق له الثمن الذي رصدته في قائمة جعلت لذلك في المكس أخذ مامعك من الاشياء مبعثرة مفككة مفرقة ،وعرضها على مثمن بالمكس أعد لذلك يحدد لها أثمانا كما يشاء ويختار . وتمكث في انتظار وأخذ ورد نحو ساعتين حتى تسأم نفسك ، وتكره أن تأتي بهدية لأولادك أو أقاربك من المشقة التي لا تراها في غير مكس الاسكندرية ، مع قلة الذوق، في المعاملة والجفاء في المخاطبة

والويل لمن لم تكن لديه وصية يحملها لمستخدمى المكس ، فانه يقاسى الآلام ويعانى الصعاب ، فاذا خلصت من هذا وقعت فيما هو انكى لما يفرض عليك من ضريبة الحمالين التى لاتطاق والتى لاتتناسب مع عملهم فاذا لم تسلم بها بادىء ذى بدء مكثت تحاول معهم مستحيلا ، وتترقب مجبراً مجتمعون عليك كاللصوص فلا تخلص من يدهم حتى تدفع ماطلبوه صاغراً وإلا حجزوك طول يومك ، وتشعر شعورا تاماً بانك لم تصادف طول سياحتك فى الممالك والبلدان ماصادفته فى ميناء الاسكندرية . وبعد الانتهاء من هذا كله ركبنا أول قطار قام من الاسكندرية الى القاهرة فرحين بسلامة العود.

هذه ، أيها القارىء الكريم ، نبذة عرضناها على مسمعك الشريف ونظن أننا قد أبرمنا عليك فى مشاهدات قد يكون فيها مالا يتناسب مع رأيك ، ولا يتصل بشعورك ، ولا يمتزج بوجدانك ، ولكننا رأينا أن نعرض أمامك ماشاهدناه ، كما يعرض البائع سلعه ، لتكون متناول الانظار ، فيختار منها الشارى مايشاء ، ونحن وإن كنا نعتقد أن بضاعتنا غير موفورة ، ولكن تشجيعا للعاملين من أهلياقنا بهذا الواجب على ضآلته

وإنا نستودعك داعين الله سبحانه وتعالى أن يوفق كلاً منا الى خدمة بلاده بمايستطيع ، والله المستعان .

